

# الأمومة والبنوة

## في الشعر العراقي الحديث

### (١٩٥٨-١٩٠٠)



د. ساجدة عبد الكريم خلف التميمي



الأمومة والبنوة

في الشعر الحديث

(م 1900- 1958)

المملكة الأردنية الهاشمية  
رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية  
(2016/6/2735)

التميمي، ساجدة عبد الكريم  
الأمومة والبنوة في الشعر الحديث / ساجدة عبد الكريم التميمي  
عمان: دار غيداء للنشر والتوزيع 2016  
( ) ص  
ر. ا. : (2016/6/2735)

الوصفات: الشعر العربي // النقد الأدبي /  
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعتبر هذا المصنف عن رأي دائرة  
المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

Copyright ®  
All Rights Reserved

جميع الحقوق محفوظة

ISBN 978-9957-96-248-7

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي وسيلة أو بـ أي طريقة إلكترونية كانت أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل وخلاف ذلك إلا بموافقة علىـ هذا كتابة مقدماً.



دار غيداء للنشر والتوزيع  
مجمع الحساف التجاري - الطابق الأول  
電話: +962 7 95667143  
E-mail: darghidaa@gmail.com

تلع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله  
نداصين . 02 + 962 6 5353402  
من.ب . 520946 عمان 11152 الأردن

# الأمومة والبنوة

في الشعر الحديث

(1900-1958م)

أ. د. ساجدة عبد الكريم خلف التميمي

الطبعة الأولى

ـ 1438هـ - 2017م



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)

رابط بديل  
[lisanerab.com](http://lisanerab.com)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

( قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتٍ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ  
كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا {18/109} )

صدق الله العظيم

(سورة الكهف، آية 109)



## الإهداء

بكل اعتزاز وفخر أرفع هذا العمل المتواضع الذي سهرت من أجله الليالي الطوال وأفرغت فيه كل جهدي وطاقتني هدية إلى...  
اللذين قرن الله طاعتهما بطاعته وبذلا كل غالٍ ونفس من أجلي والدي الكريمين أطال الله في عمرهما... داعية من الله أن يرحمهما كما ربياني صغيراً.  
وإلى أستاذى العلامة الجليل د. محمد جواد الغبان... إخلاصاً وعرفاناً...  
سائلة الله العلي القدير أن يحفظهم ذخراً لي ويجزىهم عنى خيراً إنه نعم المولى ونعم النصير...  
ساجدة التميمي



# الفهرس

11.....	المقدمة
21.....	التمهيد
22.....	- الأمومة والبنوة في عصر ما قبل الإسلام
33.....	- الأمومة والبنوة في العصر الإسلامي
40.....	- الأمومة والبنوة في العصر الأموي
50.....	- الأمومة والبنوة في العصر العباسي
61.....	5- مدخل إلى العصر الحديث

## الفصل الأول

### العلاقات الأسرية والتربوية في شعر الأمومة والبنوة

65.....	- مكانة الأم في البيت وأثرها في العلاقات الأسرية
80.....	- تربية الآباء المثالية لأبنائهم
87.....	- بين الأمهات المتعلمات والجاهلات
96.....	- أثر الحجاب في تعليم المرأة
104.....	- عمل الأم خارج البيت وأثره في تربية الأبناء
111.....	- وصايا الآباء لأبنائهم

## الفصل الثاني

### العلاقات الاجتماعية في شعر الأمومة والبنوة

123.....	- حقوق المرأة الاجتماعية
129.....	- الزواج
139.....	- الطلاق
146.....	- ترمل المرأة وأثره في حياتها
151.....	- الitem وأثاره الاجتماعية في الأمومة والبنوة
161.....	- وقوع المرأة في الخطيئة والآثار المترتبة عليه

### الفصل الثالث

#### العلاقات العاطفية في شعر الأمومة والبنوة

169.....	- مناغاة الآباء والأمهات لأبنائهم
184.....	- مشاعر الأبناء تجاه أمهاتهم
192.....	- حنين الأبناء إلى الأمهات في رسائل شعرية
199.....	- تحايا شعرية من الأبناء إلى الأمهات في عيد الأمومة
206.....	- رثاء الوالدين لأولادهم
216.....	- رثاء الأبناء لأمهاتهم
237.....	المصادر

## المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، والصلوة والسلام على رسوله محمد الذي أتاه جوامع الكلم،

وخصه بمزيد فصاحة وحسن بيان.

وبعد...

منذ بدايات دراستي في مرحلة البكالوريوس كان في نفسي ميل شديد وطموح قوي إلى التخصص في دراسة الأدب العربي الحديث بمختلف مجالاته الواسعة، وبمرور الأيام تعمق ذلك الميل في نفسي حتى أصبح رغبة ملحة وحاجة عميقة أطمح إلى تحقيقها. وحين أنهيت مرحلة البكالوريوس وتوجهت بتوفيق الله سبحانه وتعالى إلى دراسة الماجستير، كانت تلك الرغبة تزداد اتساعاً وعمقاً وتشغل حيزاً كبيراً من فكري.

وإذا سألني سائل عن أسباب تلك الرغبة تجاه الأدب الحديث، فإنها تتلخص في أن الأدب الحديث بما ينطوي عليه من تجديد في الأساليب وتجديد في الأغراض يجعل مادته أشد التصاقاً بالقضايا الإنسانية والاجتماعية المعاشرة وأكثر تعبيراً عن العواطف والأحساس الصادقة تجاه تلك القضايا، وتجعل أساليبه أكثر نفاذًا إلى أعماق النفس لسهولتها وبساطتها وعدم تعقيدها مما حبه إلى نفسي.

وحين جاء دور اختيار الموضوع لدراسة الماجستير لم أخرج بطبعية الحال عن دائرة ذلك التوجّه بل صرت أكثر التصاقاً وارتباطاً بها، ولكنني في الوقت نفسه وجدت نفسي في شبه متاهة من طريق طويل متشعب الجوانب وذلك لأن الأدب الحديث واسع المجالات بحيث لا يستوعب مجالاته عد ولا حصر، وبينما أنا أمام تلك المتاهة وقف إلى جنبي أستاذي الفاضلان (د. محمود عبد الرزاق ود. أحمد العزاوي) فعرضنا على الكتابة عن موضوع (الأم في الشعر العراقي الحديث) فكان ذلك بداية وضع قدمي على معلمٍ محدد واضح المعالم من تلك الدائرة الواسعة.. وهرعت إلى المكتبات لأبحث عن مصادر الموضوع، فلم أجد فيها ما يكفي لتقديم موضوع أرغب أن آتي فيه بشيء جديد، وهنا جاء دور أستاذي المشرف د. عناد غزوان بعد أن راجعته حول المتاهة التي أنا فيها

فنصحني بتوسيع الفكرة لجعلها أكثر مرونة كأن تكون مثلاً (الأمومة في الشعر العراقي الحديث) وللأمومة جرسها الموسيقي في نفسي فدخلت هذه الفكرة رأساً في حنائي حتى أصبحت تماسيني وتصابحي كل يوم، ولكنني في الوقت نفسه كنت أشعر أن هذا الموضوع ليس بالشكل المتكامل الذي أطمح إليه وذلك لأن الأمومة التي شغلت فكري لا يكتمل معناها في الذهن إلا بالنبوة التي تتلامس معها تلامساً كاملاً، وأخيراً انتهيت إلى أن يكون موضوعي (الأمومة والبنوة في الشعر العراقي الحديث) وحددت له فترة زمنية مساحتها من بداية القرن العشرين حتى نهاية عام 1958م فأحسست بانشدادي إلى هذا الموضوع وإذا أنشد الإنسان إلى شيء انصرف إليه بكل طاقاته وإمكاناته؛ ومما زادني اهتمام بهذا الموضوع وانشداداً إليه أني خلال تبعي في البحوث والرسائل الجامعية لم أجد رسالة واحدة تعالج موضوعي أو تطرح الأفكار التي اهتمت بها فصوله أو تهتم بجمع مادته الشعرية الجديدة الرائعة التي يشير اعتزازي أنها تكون ديواناً رائعاً يعبر محتواه عن مشاعر الشعراء الرائعة التي يشير اعتزازي أنها تكون ديواناً رائعاً يعبر محتواه عن مشاعر الشعراء المجددين تجاه الأمومة والبنوة من مختلف جوانبها.

وهرعت إلى المكتبات أبحث عن مصادر الموضوع من جانب وعن الكتب والدراسات والرسائل المتعلقة به أو تقترب منه أو تحوم حوله من جانب آخر.

وبالنسبة للمصادر فإنها بطبعية الحال تتعلق بالشعر، وبالشعر وحده فبدأت أبحث عن المادة الشعرية التي تتعلق بالأمومة والبنوة، فتبين لي أن تلك المادة من الشعر العراقي الحديث كثيرة وغزيرة ولكنها مبثوثة في ثانياً دواوين ومجموعات شعرية مطبوعة ومخطوطه، ولا أظنبني أحتج إلى شرح المعاناة الصعبة التي عشتها في الحصول عليها جميعاً لأن تلك الدواوين والمجموعات وحتى المطبوع منها ليس متوفراً في جميع المكتبات العامة والخاصة، فقد يكون قدم المطبوع وندرته سبباً مهماً في عدم تيسير الوصول إليه بسهولة ويسر، بالإضافة إلى أن المخطوط من تلك الدواوين والمجموعات يكون الحصول عليه أكثر صعوبة، ويحتاج إلى مزيد من البحث والمراجعت لذوي الشأن من أصحاب تلك المراجع المخطوطة وهناك كثير من الشعر لشعراء لم تطبع دواوينهم ولكن شعرهم مبثوث

عليها.

وهكذا فإنني بذلت كل ما يمكن أن يبذله طالب جاد يريد موضوعه أن يقارب الكمال، لأن يبلغه، لأن الكمال له وحده، وعلى سبيل المثال فإبني وفي صدد الحصول على ديوان مطبوع واحد - مثلاً - راجعت مكتبات عامة وخاصة، فلم أظفر بالحصول عليه إلا بعد جهد جهيد في مكتبة واحدة من المكتبات الخاصة.

ذلك بالنسبة للمصادر أما بالنسبة للكتب المؤلفة والمتعلقة بالموضوع فقد حاولت جاهد الوقوف على تلك الكتب المتعلقة بهذا الموضوع سواء من جوانبه العامة أم جوانبه الخاصة فوجدت كتبًا كثيرة كانت عناوينها تلفت انتباхи فأهرع إليها وحين أقرؤها بغية الإفاده منها لم أجد شيئاً جديداً أضيفه إلى ما لدى من الآراء أو الأفكار أو المادة الشعرية.. وذلك ما أخذ مني الوقت الكثير ولم يعد على موضوعي حتى بشيء القليل وإن كان قد عاد على معلوماتي العامة من دون شك بما يوسع من آفاقها ويزيد من خزينها.

أما بالنسبة للدراسات والرسائل الجامعية التي تخص الموضوع أو تقترب منه أو تحوم حوله، فقد استقصيت كل تلك الرسائل المتوفرة في المكتبات الجامعية لعلني أجد فيها ما يعود علي بالفائدة المبتغاة. وبعد الاستقصاء المضني وبذل الجهد والوقت اللازمين للاطلاع على محتويات تلك الرسائل لم أظفر فيها بما يغني بحثي بالملادة أو الأفكار أو الآراء وكل ما وجدته بين تلك الرسائل الكثيرة جداً هو ثلاث رسائل رأيت فيها ما يمس موضوعي من طرف من أطرافه حتى لو كان ذلك المنس خفيقاً جداً... كانت أولاهما - رسالة الدكتورة المقدمة من الأساتذة الدكتورة عربية توفيق لازم والموسومة بـ (المرأة في الشعر العراقي الحديث) التي تستعرض المرأة بصورتها العامة في حين أن موضوعي يتعلق بالمرأة الأم وحدها بما تحمل الأمومة من خصوصيات وبما تنطوي عليها - ويندمج معها - من البنوة التي هي أغلى ثمرة تقتطفها البشرية من شجرة الأمومة الخالدة.

والرسالة الثانية - هي (التيار الاجتماعي في الشعر العراقي الحديث) للدكتورة ابتسام عبد الستار محمد، والتي كانت أكثر قرباً من رسالتى وأشد التصاقاً بها لأن فصلاً كاملاً من رسالتى هو الفصل الثاني بكماله أتحدث فيه عن (العلاقات الاجتماعية في شعر الأمومة والبنوة) ومن هنا تلك الرسالة موضعاً لاتفاقى بمادتها وأفكارها وآرائها في فصل من فصول هذا البحث.

والرسالة الثالثة - هي رسالة (الأمومة والبنوة في التراث العربي حتى نهاية القرن الأول الهجري) للدكتورة انعام داود سلوم، فنحن إذاً التقينا عليها نظرة عاجلة نجدها تتحدث عن موضوعي نفسه.. ولكن في إطاره العام لا الخاص لأنها تحدد مساحة موضوعها تمت من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الأول الهجري.. أما أنا فقد اتخذت موضوعي مساحة أخرى تمت من بداية القرن العشرين حتى نهاية عام 1958م ولكن - والاعتراف من سمات الأمانة العلمية - لا بد لي أن أقول أن موضوعها بإطاره العام هو الذي بلور لي الأفكار التي كانت تخالجي حول موضوعي حتى أخذ شكله النهائي (الأمومة والبنوة في الشعر العراقي الحديث).

وأما تحديد الفترة الزمنية لبحثي من بداية القرن العشرين حتى نهاية عام 1958م فإن سببه يعود إلى أن بدايات هذا القرن نضجت فيها عوامل النهضة الأدبية الحديثة وآتت ثمارها جنية شهية فكان التجديد الشامل في مجال الشعر وموضوعيه، حيث كان الأسلوب بعيداً عن التكلف والتعقيد، معتمداً السهولة والاسترسال وعدم التكلف، وكانت مواضيع الشعر وأغراضه جديدة كل الجدة، تعنى بأمور المجتمع في شتى مجالاته عناية فائقة، مما جعل الأمومة والبنوة تأخذ من تلك العناية ما يعني شتى جوانبها بالشعر الحديث الرائع، فلم يدع مجالاً من مجالات الأمومة والبنوة إلا وطرق إليه ولا مشكلة من مشاكلها إلا وعالجها.

وأما نهاية مساحة البحث فإننا حين جعلناها تمت إلى انتهاء عام 1958م فإننا نبغي من وراء ذلك أن نستثمر معطيات ثورة تموز التي أعادت للمرأة عموماً، وللأم بصورة خاصة ولابنائها بصورة أخص مزيداً من الحقوق، ونفضت عنها غبار الجهل والتخلف

لتقف المرأة إلى جنب أخيها الرجل في ميادين العمل الجاد من أجل النهوض بمستوى الأسرة والمجتمع، ومما يجب أن لا ننساه في ذلك المجال أن الاحتفالات بعيد المرأة ويعيد الألم ونحوها كان من تلك المعطيات لثورة تموز الخالدة.

أما مادة البحث التي تتكون منها فصول الرسالة فهي تعتمد كل الاعتماد على شعر الأمومة والبنوة الذي جادت به قرائح شعراء العراق المجددين على امتداد مساحة ثمانية وخمسين عاماً. وهي فترة واسعة كثيرة العطاء، فقد كانت تمثل غزارة الإبداع الشعري الحديث وقمة نضجة واتساع معالجاته لقضايا الإنسان والمجتمع في شتى مجالاتها، وبطبيعة الحال فقد كان نصيب الأمومة والبنوة كثيراً من تلك الغزارة الشعرية ومن مساحة الشعر العراقي الحديث.

وكم أبهجني وأسعدني أن كانت جهود تتبعي موفقة وأتعابي مثمرة حيث وجدت بين شعراء العراقي في تلك الفترة الراخمة بالمبuden المجددين من الشعراء المحدثين (سبعة وخمسين) شاعراً كأنت الأُم في صميم ضمائرهم وكان الأبناء في أعماق وجدانهم، فاغتنموا كل فرصةً وتصيدوا كل مناسبة ليعبروا من خلالها عن أصدق الود تجاه أمهاتهم الغاليات وأبنائهم الأحباء، فاعتصروا أزهار الحب الصميم من جنائن عواطفهم الفياضة ليرووها أشداء عطرة على جبه أمهاتهم وثغور أبنائهم ولحنوا مشاعرهم المتدافعه أغانيات رقيقة ينشدونها لتلك الأمهات، وأهازيج عذبة يناغون بها أولئك الأبناء.. فاجتمع من هذا وذاك ديوان شعري ضخم يضم ثروة شعرية كبيرة تأخذ مكانها الكبير من مساحة الشعر الحديث. وتلك الثروة الشعرية التي اوحتها الأمومة والبنوة والتي كان لي شرف القيام بجمعها وتصنيفها وتبويتها هي التي حددت لي فصول الرسالة وسمت لي عناوين أبحاثها، لأنني وبعد القيام بترتيبها وتنسيقتها وجدتها تدور في ثلاثة محاور كان الأول منها يعني بالعلاقات الأسرية والتربوية حيث تدفقت قرائح الشعراء بقصائد تعرب عن مكانة الأم المقدسة في البيت وأثرها الكبير في بيان دور الأسرة في بناء الأسس الثابتة لمجتمع مزدهر، فكان بحث (مكانة الأم في البيت وأثرها في العلاقات الأسرية) وهناك قصائد أخرى تتحدث عن الأهمية البالغة لما تقوم به الأمهات من تربية مثالية لأبنائهم وما

يعكسه ذلك على سلوك الأبناء أولاً وعلى المجتمع ثانياً.. وحين استقصيت ذلك الشعر وجدته يرسم لنا صوراً بدعة حول الموضوع تكون من خلال الآبوين - الأب والأم معاً - وما ذلك إلا لأنهما في الحقيقة وجهان لعملة واحدة تستهدف بقاء النوع الإنساني وحفظه وتوجيهه الوجهة اللائقة به فكان اسم أحد الوجهين (الأب) واسم الوجه الآخر (الأم) ومن هنا كان الحديث عن دور أحدهما يلزمها بالضرورة أن نتحدث عن دور الآخر لأن رسالتهما النبيلة واحدة وأغراضهما الإنسانية واحدة لذلك كان الشعراً حيث يتحدثون عن تربية الأبناء المثالية فأما يتحدثون عن دورهما معاً لأن دور أحدهما لا يمكن أن ينفصل عن دور الآخر بل هو مكمل له، لذلك كان بحث (تربية الآبوين المثالية لأبنائهم) واقتضاناً الحديث أن نقارن بين الأمهات المتعلمات والجاهلات ومحدود ذلك على تربية أبنائهن حيث يترك الانعكاسات البالغة على حياتهم فكان بحث (بين الأمهات المتعلمات والجاهلات) وجربنا سياق الحديث عن تعليم المرأة إلى أثر الحجاب على عملية تعليمها وما استوحاه الشعراً من ذلك مما أنتج بحثاً عنوانه (أثر الحجاب في تعليم المرأة) وبما أن العصر الحديث ومتطلبات الحياة أنزلت المرأة إلى ميادين العمل مما يتزكى أثاره على تربية الأم لأبنائها، مما لفت انتباه بعض الشعراً المعاصرین وعرضوها كمشكلة من مشاكل الحياة العامة أثمرت بحث (عمل الأم خارج البيت وأثره في تربية الأبناء) وختمت الفصل الأول ببحث سادس يتضمن (وصايا الآباء لأبنائهم) لأن في ذلك من الأهمية البالغة مما يدل على اهتمام الوالدين بأبنائهم وايلائهم ما يستحقون من الاهتمام.

أما المحور الثاني الذي تدور رسالتي حوله فهو يعني بما قاله الشعراً العراقيون حول العلاقات الاجتماعية التي تخص المرأة الأم وانعكاسات تلك القضايا الاجتماعية على حياتها الخاصة ومن ثم على أبنائها، فكان العطاء الشعري حول جزئيات تلك المواضيع كثيراً جداً، جعل ذلك الشعر تنطوي تحته ستة بحوث كانت تدور حول حقوق المرأة الاجتماعية وأثرها في تربية الأبناء، والزواج وما يتربى عليه من مهام ومسؤوليات تربوية، ثم ينتهي بنا ذلك إلى مشكلة الطلاق التي تعد أخطر المشاكل التي تترك طابعاً مهماً على عالم البنوة بأسره، وانتهي بنا الحديث إلى التأمل الذي يحدث لقسم آخر من

الأمهات مما يترك أثره البالغ على حياتهن فكانت له عند الشعراء المعاصرین صور مهمة عرضتها ببحث خاص، والترمل بطبيعة الحال يجرنا إلى الأولاد الذين يصيرون يتامى بعد فقد أبيائهم وانعکاس الitem على حياتهم مما صوره الشعراء أبلغ تصوير، والبحث السادس والأخير من الفصل الثاني ما آثار انتباه الشعراء إلى وقوع المرأة الأم في الخطيئة والآثار الخطيرة التي ترتب على تربية الأبناء وحياتهم.

وكان المحور الثالث لهذه الرسالة أغنى المحاور وأغزرها باللادة الشعرية وسبب ذلك لأن مادته برمتها تدور حول العلاقات العاطفية التي تشد بين قلوب الوالدين وأبنائهم، وترتبط بين بعضهم البعض مما جعل النساء وهم أقدر الناس على التعبير عن مجال العاطفة الإنسانية، يدعون شرعاً رائعاً فيما يتعلق بتلك العلاقات وأول ما يولد الأبناء يبدأ الوالدان بمناغاتهم تعبيراً عن حبهم لهم وتعلقهم بهم، فناغي النساء من الآباء والأمهات أبناءهم بقصائد شعرية تفيض رقة وعذوبة وعاطفة، ومن هنا كان البحث الأول من هذا الفصل يحمل عنوان (مناغاة الآباء والأمهات لأبنائهم) والبحث الثاني - يدور حول ما عبر به النساء الأبناء عن المشاعر الصادقة تجاه أمهاتهم، ووجدت بين مادة هذا الفصل الشعرية قصائد يحن فيها الأبناء إلى أمهاتهم في رسائل شعرية. وحين قامت ثورة تموز عام 1958 التي تنتهي بنهايتها مساحة رسالتها هذه، احتفلت بتكرير الأم الأم الأم فكان (عيد المرأة وعيد الأم) فتفجرت قرائح النساء تكرم تلك المرأة الأم فكان (عيد المرأة وعيد الأم) فتفجرت قرائح النساء تكرم تلك الأعياد وتحتفل بها مما جعل ذلك مادة لبحث (تحايا شعرية من الأبناء إلى الأمهات في عيد الأمومة).

ومن تلك المادة الغزيرة المتعلقة بالتعبير عن العلاقات العاطفية ما قام به النساء الآباء في تصوير مشاعرهم الحزينة والعميقة حين يفجعون بأبنائهم، مما أغنى بحث (رثاء الوالدين لأبنائهم) وكان البحث السادس من الفصل الثالث والأخير من فصول الرسالة

ما تفجرت به قرائح الأبناء حين يفجعون بفقد أمهاتهم الغولي فتحول دموعهم المتناثرة إلى قصائد ينظم عقودها ألم الفجيعة.

تلك فصول الرسالة الثلاثة بما انطوى عليها من المادة الشعرية التي أرى وجوب الإشارة إلى أنني لم أقم بعرض المادة في مواضعها كما هي، بل استعملت ما أملكه من إحساس وذوق فني متواضع، فقمت باختيار الأروع والأجود من ذلك الشعر الرائع الجيد فكانت الأشعار والقصائد المثبتة في فصول الرسالة تدخل كلها في باب الاختيارات التي آمل أن تكون موفقة، كما أني كتبت أحاويل التعليق على كل تلك المختارات لبيان ما تنطوي عليه من صور بد菊花 عن أعماق الأحاسيس والمشاعر المتعلقة بالأمومة والبنوة... وبعد الانتهاء من تهيئه مواد فصول الرسالة التي ألمحت إليها كان لا بد لي من تصديرها بتمهيد استعراض فيه - ولو بإيجاز - ما عبر به الشعراء - على مر عصور الأدب العربي - ومنذ العصر الجاهلي إلى الفترة التي تسبق بداية القرن العشرين، التي هي باية النهضة الأدبية الحديثة، من أشعار تجاه الأمومة والبنوة وما صاغته قرائح الشعراء من تلك المشاعر الإنسانية الغريزية.

و بما أن المساحة - الزمنية - التي يشغلها هذا الشعر واسعة شاسعة، تستغرق عدة قرون، فإن ذلك اقتضى أن أراجع عشرات المصادر الأدبية وعشرات الدواوين الشعرية والدراسات الأدبية المتعلقة بذلك، فاجتمعت لدي مادة غزيرة استغرق جمعها وقتاً كثيراً وجهداً كبيراً، بحيث كانت تلك المادة ربما تفوق بكثيرها حجم رسالتي كلها، فاضطررت إلى الاختصار والإيجاز جهد الإمكان حتى جاء بشكلرأيته أيضاً موسعاً لا يناسب مكانته كتمهيد.. واختصرت مرة أخرى حتى استوى على حجمه الحالي الذي يتتصدر به الرسالة بعد ضغوط واختصارات عديدة.

ومما يجب أن أشير إليه وأنا في صدد الحديث عن التمهيد أن مواضع مادته الشعرية تختلف في كثير من مواضعها عن شعر الأمومة والبنوة الذي قمنا بدراساته في العصر الحديث لأن مواضع دراستي أكثر اتساعاً وأكثر تعبيراً عن العلاقات الاجتماعية

والأسرية التي تربط بين الأمهات وأبنائهن.. وكذلك الأساليب الشعرية فإن أساليب العصور التي يشملها التمهيد يمثل كل منها طابع عصره الذي أنشئت فيه بما ينطوي عليه ذلك الطابع من تعقيد أو تكلف خلاف أساليب العصر الحديث التي تمتاز باليسر والسهولة وعدم التكلف.

ولا يفوتي التنبيه والإشارة إلى أن الأمومة والبنوة التي احتواها التمهيد كانت تشمل العصر الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي، أما بعد ذلك من قرون الفترة المظلمة، فلم يحو التمهيد أي أشعار تتعلق بالأمومة والبنوة، ليس لأنني لم أبحث عنها بل كثفت البحث في الدواوين المتوفرة حول أشعار تلك القرون، فلم أجدها شيئاً يخص الموضوع لا من قريب ولا من بعيد؛ وبعد تتبع طويل استغرق مزيداً من الوقت ثبت لي أن عصور الفترة المظلمة اتصف عطاوتها الشعري بالتعقيد والتلف و الصناعة اللغافية والمواضيع الجافة التي لا تعبر عن عاطفة صادقة وشعور فياض، وإذا وجد شيء نادر من ذلك - وهو ما لم أجده - فإنه خالٍ من أي صدق وأي إحساس عاطفي. ذلك ما أوجزته هنا، ولقد استعرضته بشيء من التوضيح والتركيز بعد (التمهيد) تحت عنوان (مدخل إلى العصر الحديث) ليحكم صلة الرابط بين التمهيد وفصول الرسالة ويشد بين أواصر الماءدة التي أعرضها تكون وكأنها نسيج متماساك الحلقات.

وب قبل ختام هذه المقدمة لا بد لي أيضاً من الإشارة إلى أن كثيراً من المؤلفين الذين يقدمون بحوثاً ورسائل جامعية أدبية مادتها الأساسية من الشعر يقومون بتقديم دراسة (فنية) في فصل خاص من فصول الرسالة، وبعد التمعن في الموضوع والتأمل فيهرأيت - وبعد موافقة أستاذي المشرف - أن لا تحوي رسالتي هذه دراسة فنية للشعر الذي فيها، وذلك لأسباب ربما يكون أهمها - فيما بدني - إن الدراسة الفنية في مثل موضوعي (الأمومة والبنوة في الشعر العراقي الحديث من 1900-1958) فيها شيء من الخروج على المنهجية السلمية، لأنه ليس في عنوان رسالتي أي شيء يشير إلى الدراسة الفنية لا من قريب ولا من بعيد.

ثم أن الشعر الذي يضمه موضوعي والمثبت في ثنايا فصوله وأبحاثه كثير جداً ودراساته تحتاج إلى مساحة كبيرة - إن كانت منصفة ولو بالتركيز- ربما تساوي حجم رسالتي هذه كله.

وثالثاً لأن الدراسة الفنية لقصائد شعراء يبلغ تعدادهم سبعة وخمسين شاعراً ليس كثيراً عليها مثل ذلك الحجم الكبير؛ ورابعاً لأن كل شاعر منهم له أفكاره وأساليبه الخاصة به، فهم يختلفون اختلافاً جوهرياً من هذه الناحية لذلك كله رأيت أن الاستغناء عن تلك الدراسة أسلم وأحجى وأقرب للموضوعية وسلامة المنهيجة.

وأخيراً فإنني أحقت بفصل رسالتي (خاتمة) تضمنت النتائج التي وصلت إليها من خلال البحث والدراسة.

إن رسالتي هذه ينطبق عليها المثل العربي القديم (هذا جنابي وخياره فيه) فهي تمثل الجهد الكبير الذي بذلتها من أجل أن تكون رسالتي على أحسن ما أمكنها لها من سداد، فإن كان ذلك فهو من فضل الله وتوفيقه وإن لم يحالوني التوفيق في شيء منها فذلك ما آمل من أستاذي المشرف وأساتذتي المناقشين أن يقيموا عثراتي ويسددوا خطأي إلى ما فيه التسديد والصواب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين...

## الأمومة من وجهة نظر علماء النفس وعلماء

### التربية والاجتماع

الأمومة: هي (السلوك الذي يتجه نحو رعاية الأطفال).

((الأمومة)) – Mother hood: الدور الذي تقوم به الأم في المجتمع والمرتب على إنجابها طفلاً أو أكثر.

يقال: قرابة الأم Motherkin أي تعلق الانتساب بالأم.

وكانت معظم الأشكال الأولى للديانات الطبيعية تعتقد في الأم الآلهة Mother goddess أو الأم العظيمة

حيث كان الدين يهتم اهتماماً كبيراً بالخصوصية ومن أمثلة ذلك إيزيس في الديانة المصرية القديمة...<sup>(١)</sup>.

### البنوة من وجهة نظر علماء الاجتماع:

جاءت (بنوة – Filiation) أنها: "صلة القرابة تجعل الشخص فرعاً مباشراً لشخص آخر، وهي تقابل في

الفرع صفة الأبوة في الأصل، وتختلف الشرائط التي تتحقق بها هذه القرابة"<sup>(٢)</sup>.

أهمية اختيار الأم:

للأم دور هام في حياة جميع الشعوب البدائية والمتحضرة بل لقد سميت بعض

المجتمعات بالمجتمعات الأممية نسبة إلى "الأم"، أي ظهور ما يعرف (بالنظام الأممي أو النسب

الأمي)<sup>(٣)</sup> أما في المجتمعات العربية التي هي مجتمعات أبووية - النسب الأبوي - فقد ظل

(١) معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: د. احمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، 1978: 274-275.

(٢) معجم العلوم الاجتماعية: تصدير ومراجعة د. إبراهيم مذكور، القاهرة، 1975، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب: 102.

(٣) (النسب الأمي) - هو العلاقة القرابية التي ترجع الفرد إلى نسب أمه، وليس إلى نسب أبيه. وسبب ظهور النسب الأمي في المجتمع يرجع إلى قوّة ونفوذ المرأة في المجتمع وإلى إمكانياتها الكبيرة في التأثير

للام دورها البارز والريادي. فلقد كان العربي قبل وبعد الإسلام يختار الزوجة الصالحة الخالية من العيوب الخلقية والخلقية لتكون أمًا صالحةً، تحسن تربية أبنائها وتنشئهم على الفضائل ومكارم الأخلاق، وتغرس في نفوسهم التقوى وحب الخير للناس.. فكان اختيار الأمهات أول ما يفكر به الرجل إذا ابتغى النجابة لأبنائه، حتى صح أن يكون رأس ما يمن به الأب على أبنائه إذا كبروا، هو حسن اختياره لأمهاتهم.

وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم) في ضرورة اختيار الأم الصالحة: "تخيروا لنطفكم فالعرق

دساس"<sup>(١)</sup>.

ومما تجدر الإشارة إليه، رواية تبين أهمية اختيار الزوجة التي تصبح أمًا فيما بعد، فيحكي أن أمي الأسود الدولي قال لبنيه: "أحسنت إليكم قبل أن ولدتكم وبعده. قالوا: كيف أحسنت قبل الولادة؟ فقال: لأنني اتخذت أمهاتكم من حيث لا تعابون به"<sup>(٢)</sup>.

### الأمومة والبنوة في عصر ما قبل الإسلام:

عندما نريد الوصول إلى حقيقة معينة يجب البحث عن الأصول الأولى لها. وذلك يحتم علينا تتبع نظرية العرب قديمًا للمرأة عامة، والأم خاصة في عصر ما قبل الإسلام.

الأم العربية كانت تعد تربية الطفل مسؤولية كبيرة ودقيقة عليها أن تستكملها على أتم وجه<sup>(٣)</sup>. فال التربية رسالة، واجب على الوالدين تأديتها، والجانب الأكبر منها يقع على عاتق الأم.

---

في سير الأحداث. والفترة الزمنية التي ظهر فيها هذا النسب حسب أراء "وستر مارك" كانت الفترة التي سبقت القرون الوسطى). ينظر: العائلة والقرابة والزواج: د. إحسان محمد الحسن: 41، وينظر - المرأة عبر التاريخ: مونتيك بيتر، ترجمة - هزيت عبودي، بيروت، 1979: 14.

(1) ابن ماجه: 163/1.

(2) محاضرات الأدباء: 1/329.

(3) ينظر - الأمومة والبنوة في التراث العربي حتى نهاية القرن الأول الهجري - رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة: إنعام داود سلوم - جامعة بغداد - كلية التربية للبنات - 1990: 1.

الأم لها مكانتها منذ الأزل حيث كان احترام الأم في الجاهلية طبعاً مألوفاً فأصبح في الإسلام فوق ذلك، فرضاً محظوماً في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يؤثراً الأم ولا ينكران لفضلها<sup>(1)</sup>; وما على الأرض من مسلم إلا ويشهد على حرمة "الأم" بالكلمة الجامحة في قوله (صلى الله عليه وسلم): "الجنة تحت أقدام الأمهات"<sup>(2)</sup>.

لكن صورة المرأة عامة في العصر الجاهلي كان يبدو منها أنها تابعة للرجل بكل شؤونها، يوجهها الوجهة التي يريدها وقد يعلو شأنها ويقوى مركزها ويعظم أمرها حتى تستطيع أن توجه الرجل ذاته. والتاريخ العربي حافل بأمثلة عديدة من ذلك؛ فقد تجلت شخصيات نسائية في هذا العصر في المجالات كافة سواء في الفضائل الخلقية أو القدرات الأدبية والعقلية، لكن يبدو أنها على الرغم من تفوقها هذا ووجود الملكة والمحاربة والشاعرة والحكيمة إلا أنها كانت مستضعفة ممتهنة في أهم علاقة تربطها بالرجل وهي علاقة الزواج..<sup>(3)</sup>. ومن خلال ذلك يصعب إطلاق الحكم إطلاقاً عاماً، فهم يحترمونها في نواحٍ ويمتهنونها في أخرى. حيث أن عدم التوازن في تقييم منزلة المرأة كان واضحأً. فإن هناك بوناً شاسعاً بين المنزلتين.

فبالنسبة للمجتمعات العربية في عصر ما قبل الإسلام لم تعرف الفوارق الكبيرة بين الجنسين بل كانت العلاقة بين الرجال والنساء طبيعية لا تخضع لتلك القيود الثقيلة.

فالنظام القبلي للأسرة الذي كان سائداً خضعت له المرأة تماماً حتى وأن تمتعت ببعض الحرية سابقاً. فكانت المرأة تمشي سافرة في الأسواق وتسيير بين الرجال وتتحدث معهم وتستقبل في بيتها ضيوف أبيها أو أخيها أو زوجها حتى أنها يسمح لها بمقابلة خطيبها وتتحدث معه لتكشف شخصيته وغير ذلك، كل هذا ناتج عن الثقة في سلوكها،

(1) ينظر - الم المصدر نفسه: 7.

(2) مسند احمد بن حنبل: 429/3، وينظر - كنز: 461/16 رقم الحديث (45439).

(3) ينظر - المرأة في الشعر الجاهلي: احمد محمد الحوفي، القاهرة، 1980: ص527.

لكن مقابل هذا فقد كانت تفقد الكثير من حريتها والكثير من حقوقها كإرث مثلاً<sup>(1)</sup> .. ومن المفارقات العجيبة التي تثير في النفس الشفقة على المرأة في هذا المجتمع الفوضوي أنها (إذا مات زوجها وله أولاد من غيرها فالولد الأكبر أحق بزوجة أبيه من غيره، ويعددها إرثاً مشاعاً ضمن إرث أبيه، فإن أراد أن يعلن رغبته في الزواج منها طرح عليها ثوباً حتى تكون له)<sup>(2)</sup>.

ومع ذلك لا يخلو هذا العصر من أمثلة رائعة في تقدير دور المرأة والأم بالذات بدليل أن الانتساب والتكني في هذا العصر كان شائعاً إلى الأم لا إلى الأب كانتساب (عمرو بن هند والمنذر بن ماء السماء)<sup>(3)</sup> ومما جسد هذه المكانة للأم وفي الانتساب إليها حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) حيث قال: "أنا ابن العواتك من سليم"<sup>(4)</sup>، وهذا يدل دلالة واضحة على المكانة الرفيعة التي احتلتها الأم.

وكان الفرسان ينزلون ساحة الوغى وألسنتهم تلهج بذكر أمهاطهم وصواحبهم وأخواتهم.. (ومن الأدلة على رقي العرب في الجاهلية، ارتقاء نسائهم، فقد نبغ واحدة منهن في السياسة وال الحرب والأدب والشعر والتجارة والصناعة)<sup>(5)</sup> فكانت مسألة

---

(1) تطور المرأة عبر التاريخ: باسمة كيال، بيروت، 1981: 53.

(2) المصدر نفسه: 61-55.

(3) ((وماء السماء - هي ماوية بنت عوف بن جشم ملكة العراق وأم ملوكها)) - ينظر - المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: عبد الله عفيفي، القاهرة، د.ت: 66، وينظر - النساء العربيات: كرم البستاني، بيروت، 1964: 146.

(4) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: 66. ((والرسول (صلى الله عليه وسلم) قال الحديث في يوم حنين، و "العواتك": جمع عاتكة وأصل العاتكة المترتبة بالطيب. والعواتك من سليم هن ثلاثة، يعني بهن "جداته" وهن: الأولى - عاتكة بنت هلال أم عبد مناف بن قصي جد هاشم جد الرسول. والثانية - هي عاتكة بنت مرة بن هلال أم هشام بن عبد مناف. والثالثة - عاتكة بنت الأوقص أم وهب بن عبد مناف أبو أمينة بنت وهب أم النبي).. ينظر لسان العرب - مادة (ع.ت.ك.).

(5) للتوسيع - ينظر تاريخ آداب اللغة العربية - جرجي زيدان: 1/ 33-35.

الاحترام والتقدير تتفاوت من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر ومن شخص إلى آخر.. وهذا يجربنا إلى موقف

الآباء من بناتهم فإن بعض الآباء أن يكن الأكثريتهم كانوا يفضلون البنين على البنات، فلم تكن نظرتهم

بمقاييس واحد، فقد (درج الناس على أن يفرحوا بالبنين ويحزنوا عندما يرزقون البنات)<sup>(1)</sup>، فقد أسرف بعض

العرب في كرههم للبنات إلى أن وصل الحال بهم إلى "الواد"<sup>(2)</sup> حتى كان بعضهم (إذا ولدت له الأنثى عراه الغم

الشديد وأخذ يعالج الأمر في نفسه، أقتلها فيدتها في التراب ويتخلص من عيدها وعارها أم يقيها على مضض

<sup>(3)</sup> . ومهانة؟

وعبر عن ذلك القرآن الكريم مستنكراً هذه العادة بقوله تعالى: "وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأنثى ظَلَّ وَجْهُهُ

مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ {58/16} يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَئِمْسِكَةُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ

مَا يَحْكُمُونَ {59/16} <sup>(4)</sup> وقوله تعالى "يَأَيُّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ {9/81}"<sup>(5)</sup> .

ما يدل على أن هذه الظاهرة الشنيعة كانت محدودة، ولم تكن بتلك السعة بين العرب، فإن كثيراً منهم

كانوا على عكس ذلك، يعاملون بناتهم بحنان ودلال. حتى أن بعضهم يكن نفسه بأسمائهم فزهير الشاعر كان

والده يكنى نفسه بأبي سلمي وكذلك النابغة الذبياني يكنى بأبي أمامة...

إذن هناك تفاوت في مواقفهم من الإناث، وما يبين ذلك، أنه من أطرف الحكايات ما جاء في الشعر

العربي أن ((أبا حمزة الضبي هجر امرأته لأنها ولدت بنتاً وصادف أن مر بخبارها يوماً وإذا هي ترقص ابنته

وتنشد:

(1) الأمومة والطفولة في الإسلام: عبد الله احمد ناجي، تونس، د. ت: 12، وينظر - الإسلام والمرأة: سعيد الأفغاني، ط3، دار الفكر،

.14: 1970

(2) الواد: عادة جاهلية وهي أن يدفن الرجل ابنته حية. ينظر - المعجم الوسيط: مادة وأد.

(3) المرأة بين البيت والمجتمع: البهـيـ الخـوليـ، دـارـ العـروـبةـ، طـ3ـ، القـاهـرةـ، دـ.ـ تـ: 16ـ.

(4) سورة النحل: 58-59.

(5) سورة التكوير: 8.

مَا لَأْيِ حِمَّةٌ لَا يَأْتِينَا يَظْلُلُ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِينَا  
غَضْبَانٌ إِلَّا نَالَ الْبَنِينَ تَالَّهُ مَا ذَلَكَ فِي أَيِّ دِينَا  
وَإِنَّمَا نَأْخُذُ مَا أُعْطِينَا وَنَحْنُ كُلُّ الْأَرْضِ لِزَارِعِنَا  
نَبْتَ مَا قَدْ زَرَعْنَا فِينَا

فَلِمَا وَقَفَ أَبُو حَمْزَةَ وَسَمِعَ هَذِهِ الْأَرْجُوزَةَ مِنْ نَحْوِهِمَا، حَتَّىَ وَلَجَ عَلَيْهِمَا الْخَبَاءَ وَقَبْلَ بَنِيهِمَا وَقَالَ:

ظَلَمْتُكُمَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ)) ..<sup>(١)</sup>.

وقول شاعر في محبة البنات:

بَنِيَتِي رِيحَانَةُ أَشْهَدُهَا فَدِيتِي بَنِتِي وَفَدَتِنِي أُمِّهَا!<sup>(٢)</sup>.  
وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى احْتِرَامِ الْبَنِينَ - عِنْدَ بَعْضِهِمْ - يُخِيرُونَهَا فِي زَوْجَهَا كَمَا يَقُولُ جَرجِي زِيدَانُ: (وَالْغَالِبُ فِي  
نِسَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ أَنْ يَخِرِّنَ قَبْلَ الزَّوْجِ، فَلَا يَزُوِّجُ الرَّجُلُ أُبْنَتَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَشَارِرُهَا)، وَاشْتَهَرَتِ التَّيْمِيَّاتُ مِنْ نِسَاءِ  
قَرِيبِشِ بِحُضُورِهِنَّ عِنْدَ رِجَالِهِنَّ، بَلْ وَقْسُوتُهُنَّ عَلَيْهِمُ، كَمَا كَانَتِ نِسَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ يَصْبِحُنِ الرِّجَالَ إِلَى سَاحَةِ الْقَتَالِ  
يَدَاوِيْنِ الْجَرْحِيِّ وَيَحْمَلُنِ قَرْبَ الْمَاءِ...)<sup>(٣)</sup>.

أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَرْأَةِ حِيثُ كَانُوا (يَمْبَزُونَ الْوَالِدَةَ وَيَخْتَصُّونَهَا بِالْإِكْرَامِ، فَالْمَرْأَةُ مَمْ تَكُنْ ذَاتُ شَأنٍ حَتَّىَ تَصِيرَ  
أَمَا فَيَعْلُو مَقَامُهَا. حَتَّىَ أَنْهُمْ مَمْ يَكُونُونَ يَعْزُزُونَ بِالْمَرْأَةِ بَعْدَ مَوْتِهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ أَمَا)<sup>(٤)</sup>.

(1) محاضرات الأدباء: 1/325، وينظر - البيان والتبيين: للباحث، تحقيق - عبد السلام هارون: 1/186.

(2) محاضرات الأدباء: 1/325.

(3) تاريخ آداب اللغة العربية: 1/33-35.

(4) العقد الفريد: 2/264.

فقد عظم العرب المنجبات من النساء وجعلوهن مثلاً في المجتمع يقدر الأم ويجل المرأة، فنرى الأولاد قد

مجدواً أمهاهـم واتخذوهـن مثلاً أعلى يحتذـى بهـ فـلم يكنـ من العـار أبداً أنـ يـقالـ (إنـ فـلانـا تـربيةـ اـمرأـةـ).<sup>(1)</sup>

فـهـذـيـ (كنـزةـ الـقيـسـيـةـ)ـ منـ شـاعـرـاتـ العـربـ قـالـتـ تـحرـضـ أـبـنـهـاـ شـمـلـةـ بـنـ بـرـدـ الـلنـقـريـ عـلـىـ القـتـالـ لـتـؤـجـجـ

فيـهـ الرـوـحـ الثـورـيـةـ،ـ تـقـولـ لـهـ:

فـإـنـ يـكـ ظـنـيـ صـادـقاًـ وـهـوـ صـادـقـ بـشـمـلـةـ يـحـسـبـهـمـ بـهـاـ مـحـسـبـاـ اـزاـ

فـيـاـ شـمـلـ شـمـرـ وـاطـلـبـ الـقـوـمـ بـالـذـيـ أـصـبـتـ وـلـاـ تـقـبـلـ قـصـاصـاـ وـلـاـ عـقـلاـ.<sup>(1)</sup>

نـسـتـتـجـ منـ ذـلـكـ أـنـ (الـأـمـ)ـ كـانـتـ مـجاـلـاـ مـهـماـ لـلـفـخـ وـالـمـدـحـ أـوـ لـلـمـهـانـةـ وـالـهـجـاءـ أـيـضاـ،ـ فـقـدـ يـمـدـحـ الشـخـصـ

بـأـنـهـ (ابـنـ فـلـانـةـ)ـ فـيـفـخـرـ الرـجـلـ بـأـنـ يـقـولـ (أـنـاـ اـبـنـكـ يـاـ فـلـانـةـ)ـ لـشـرفـهـاـ وـنـسـبـهـاـ وـمـكـانـتـهـاـ.

هـذـاـ يـعـنـيـ أـنـ الـأـمـ إـذـاـ كـانـتـ مـنـ ذـوـاتـ الـشـرـفـ وـالـأـدـبـ وـالـأـصـالـةـ وـالـخـلـقـ يـفـتـخـرـ بـهـاـ أـبـنـاؤـهـاـ وـيـتـشـرـفـونـ

بـالـانتـسـابـ إـلـيـهـاـ،ـ أـمـاـ إـذـاـ كـانـتـ الـأـمـ عـكـسـ ذـلـكـ فـتـكـونـ مـدـعـاهـ لـلـهـجـاءـ وـالـذـمـ،ـ فـيـعـيـرـ بـهـاـ أـبـنـاؤـهـاـ.

هـذـهـ هـيـ مـكـانـةـ الـأـمـ فـيـ الـمـجـتمـعـ الـجـاهـلـيـ،ـ وـسـنـوـضـ ذـلـكـ أـكـثـرـ عـنـ الـآـثـارـ الـأـدـبـيـةـ التـيـ خـلـفـهـاـ

لـنـاـ عـرـبـ تـبـيـنـ حـبـ الـأـمـ لـبـنـيـهـاـ وـحـسـنـ تـرـبـيـتـهـاـ لـهـمـ وـبـالـمـقـابـلـ تـرـكـتـ هـذـهـ الـأـمـ الـعـظـيمـةـ بـدـورـهـاـ آـثـارـاـ تـدلـ عـلـىـ

إـدـرـاكـهـاـ لـوـاجـبـاتـهـاـ نـحـوـ بـنـيـهـاـ..

\* \* \*

أـمـاـ عـلـاقـةـ الـأـمـ بـولـيـدـهـاـ مـنـذـ الـأـزـلـ عـلـاقـةـ حـمـيـمةـ تـلـكـ فـطـرـةـ اللـهـ التـيـ جـبـلـتـ عـلـيـهـاـ،ـ فـمـنـذـ الـجـاهـلـيـةـ كـانـتـ

الـأـمـ تـحـمـلـ وـلـيـدـهـاـ وـتـهـدـهـدـهـ وـتـرـقـصـهــ وـهـذـاـ مـاـ عـرـفـ بـأـغـانـيـ التـرـقـيسـ،ـ فـهـذـهـ فـاطـمـةـ بـنـتـ أـسـدـ أـمـ الـأـمـامـ عـلـيـ

(رضـيـ اللـهـ عـنـهـ)ـ كـانـتـ تـتوـسـمـ فـيـ طـفـلـهـاـ "ـعـلـيـ"ـ إـمـارـاتـ السـوـدـدـ وـالـكـرـمـ وـالـشـجـاعـةـ،ـ فـكـانـتـ تـرـقـصـهـ،ـ وـتـقـولـ:

(1) شـرـحـ دـيـوانـ الـحـمـاسـةـ:ـ 701/2ـ .

آنست تک ون ماج دک ریم إذا ته ب ش مآل بلی ل<sup>(۱)</sup>.

وهذه إعرابية أخرى، ترقص ولدها، تعييراً عن مشاعرها تجاه ذلك الولد، تقول:

أهـك زـاكـلـ وـلـدـ ؟ أـمـ لـيـلـ دـقـ بـلـ أـحـدـ ؟  
يـاجـ ذـارـيـ حـ الـوـلـدـ رـيـ حـ الخـازـمـ ئـيـ فـيـ الـبـلـدـ

وقالت (هند بنت عتبة)<sup>(3)</sup> ترقص ولدها معاوية:

لَا يَخْلُفُ الظَّنَّ وَلَا يَخْزِي  
صَرْبَنْتِي فَهَرَبَهُ زَعِيمٌ  
<sup>(5)</sup>  
لَيْسَ بِفَحْشَاهُ وَلَا لَثَيْمٌ  
وَلَا بَطْحَ رُورٌ<sup>(4)</sup> وَلَا سَيْمٌ  
إِنْ بَنْتِي مَعَ رَقَرِيمٍ  
مَحْبُوبٌ فِي أَهْلِهِ حَلَيْمٌ

\* \* \*

فالآن هي النهر المعطاء وينبوع الحنان الذي لا ينضب، فمن حقها بعد كل السهر والتعب أن تناول

المكانة العظيمة التي تليق بها، وأن يكون الain ياراً بها..

إن حب الأم لولدها ليس مثله حب، فسعادتها تكتمل بوجوده إلى جانبها ساماً.

فإن خطف الموت ابنتها تبددت سعادتها وصبت مشاعر حزنها وألمها ولوعتها بالرثاء

(1) أشعار الترقيق، عند العرب: سعيد الدين حمودة، طبع بيروت: 20-21.

(2) عيون الأخبار - لابن قبيصة: 94، وبنظر - المستظرف في كل فن مستطرف - للابشيم، (طعة دار احياء التراث العربي)،

<sup>11</sup> بيروت، د.ت: 11/2، وينظر - المحسن والمتساوئ - للسيقى، طبع دار صادر، بيروت، 1970: 546 والآيات فيه كما يلي:

كأنما ريح الولد ريح الخزام، في البلد...، وينظر العقد الفريد: 245/2.

(3) وهي صحابية قريشية أم الخليفة معاوية بن أبي سفيان. ينظر - شاعرات العرب: 465.

(4) طحورة: طحور - طحورة - طحورية (كعفريه أي لطخ من السحاب) وتعني القليل وقال الاصمعي هي قطع صغيرة مستدرة

رقاق، وورد في الصحاح (الطحور) كصيور (السرير) والطحور (القوس البعيدة الرمي) كالمطرح يكسر الميم). ينظر: لسان

العرب: ج3، ص356، مادة طحر.

(5) بخيم: رحن - شاعرات العرب: 465

بوصفه المتنفس الوحيد لجراحها التي لا تندمل؛ فنجد شواهد كثيرة لأمهات رثين أولادهن بأحر وأروع رثاء.

**مثال:**

<sup>(١)</sup> (السلكة - أم السليك): وهي أم السليك ابن السلكة السعدي أحد عدائي العرب، وكان قد قتله أسد

ابن مدارك الخثعمي، فقالت ترثيه:

طاف يبغ ينج وة من هن لاك فها  
 ليست ش عري ضلة أي شيء قتل؟!  
 كل شيء قاتل حين ثلاثة أجاك  
 طالما باق دُنا تَفي غيرك دِأملِك<sup>(2)</sup>

وأم خالد النميرية<sup>(4)</sup>: قالت ترق ولدها وكان توفي في بعض الغزوات ودفن في الغربية، تقول من أبيات ذلك<sup>(3)</sup> :

أولها:

أَهْنُ لِذِكْرِهِ إِذَا مَا ذُكِرَتْهُ	وَتَهَلَّ عَبْرَاتٍ تَفَيَضُ غَرْبَهُ	أَنْتَاهُ بَرِيَّاً فَطَابَ هَبَوبُهُ	إِذَا مَا أَتَنَا الرِّيحَ مِنْ نَحْوِ ارْضَائِهِ
--	---------------------------------------	---------------------------------------	---

(1) شاعرات العرب: جمع وتحقيق - عبد البديع صقر، ط١، 1967: 166.

<sup>914</sup> (2) شرح ديوان الحماسة - للمرزوقي: 2/914.

(3) من نساء العرب المشهورات بالعقل والذكاء في قبيلتها بنى نمير. نقلًا عن شاعرات العرب: 144.

١١٤ : مفہوم (۴)

حضرتین اسیر نمازح شد قیده واعوال نفس غاب عنها حبیه‌ا<sup>(۱)</sup>

وأم الصريح الكندية<sup>(2)</sup> قتلت أبناءها في إحدى الوقعات الحربية القبلية بجيشان، فرثتهم بقولها:

سقى مستهل الغيث أجداث فتية بجي شان ولينا ناح ورهماء الدما

ومنها:

وَمَا تُمْلَأُ أَعْيُنُهُمْ بِالنُّورِ إِذَا هُمْ يُنَاهَىٰ عَنِ الْمُرْسَلِينَ  
وَلَكُنْ رَأَوْا صَبْرًا عَلَى الْمَوْتِ إِكْرَامًا  
وَلَوْ أَنَّهُمْ مَرَوْا لَكَانُوا أَعْزَةً  
أَبْوَا أَنْ يَفْرُوا وَالْقَنَّا فِي نَحْرِهِمْ  
وَلَمْ يَتَغَرَّبُوا مِنْ رَهْبَةِ الْمَوْتِ سَلَماً  
هُوَتْ أَمْهُمْ مَاذَا بِهِمْ يَوْمَ ضَرْعَوْيَا  
بَجِي شَانْ مَنْ أَسْبَابَ مجَدٍ

**ربيع لهم كذ صول الهدى أربع** **ببيض الوجه لدی الهیجاء كالأسد**

(1) شاعرة من شواعر حضرموت، ولدت في حضرموت حوالي سنة 30 قبل مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم).. شاعرات العرب: 185.

(2) ذكر في مرجع حديث وهو ((شعرات العرب)) للسيد عبد البديع صقر وردت هذه المقطوعة في مكаниن من الكتاب نفسه،  
ففي ص 185 نسبها إلى أم الصريح وفي ص 387 نسبها إلى ماوية بنت الأحباب، وبعد التحرري والتثبت فقد وجدت أن القطعة  
نفسها مذكورة في حماسة أبي قمام في: 933/2 وهي منسوبة إلى أم الصريح، وفي الحماسة البصرية: 1/236 وينسبها إلى أم  
الاخت وليس الأحباب كما ذكرها السيد صقر..

حتى إذا كملوا في السن وأتسقوا أخنى على القوم ما أخنى على بد<sup>(1)</sup>.<sup>(2)</sup>

وقفت إعرابية على قبر ابن لها، يقال له "عامر" ترثيه، فقالت:

اقمت ابكيه على قبره من لي من بعدي يا عامر

تركته في السدار ذا وحشة قد ذل من ليس له ناصر<sup>(3)</sup>

وقيل لأعرابية مات أبنها: ما أحسن عزاءك؟ فقالت: إن فقدي إيه أمنني فقد سواه، وإن مصيبي به

هونت علي المصائب بعده، فأنشدت:

كنت السواد لـ ظاري فعمـي علىـك النـاظـر

من شـاء بـعـدـكـ فـلـيمـتـ فـعلـيـكـ كـنـتـ أحـذـارـ<sup>(4)</sup>

والشاعرة (أم بسطام)<sup>(5)</sup> قالت ترثي ولدتها بسطام بن قيس وكان من متقدمي الفرسان المشهورين في

الجاهلية وقد قتله بنو ضبة:

---

(1) بد: اللبد اللبد من الرجال - الذي لا يسافر ولا يروح منزله ولا يطلب معاشًا. ولبد اسم آخر نسور لقمان بن عاد، سماه

بذلك لأنه لبد فبقي لا يذهب ولا يموت كاللبد من الرجال. وقد ذكرته الشعراء فقال النابغة:

أضحت خلاء واضحى اهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على بد

وفي المثل: طال الأبد على بد. ينظر - لسان العرب: 385/3، مادة بد.

(2) الوحشيات - لابي قام الطائي: تحقيق - عبد العزيز الميمني ومحمود محمد شاكر، طبع دار المعارف، ط. 3، 1987: 143.

(3) شاعرات العرب: 436.

(4) المصدر نفسه: 436/وهذا نبيان نسبهما ابن خلكان في وفيات الأعيان، تحقيق: د. إحسان عباس، طبع دار صادر، بيروت،

1968: 47/1 للشاعر العباسي المشهور إبراهيم الصولي وفيه "بكى" "بدل" "فعمي".

(5) بسطام بن قيس النصراني سيد بنى شيبان، وكانت أم بسطام من نساء العرب المتقدمات في الأدب ذات شعر رائق.. ينظر -

شاعرات العرب: .33-32

سَيِّكِيكِ عَان<sup>(١)</sup> لَمْ يَجِدْ مَنْ يُفْكِه وَتَبَكِّيَكَ فَرْسَانَ الْوَغْيَ وَرِجَالَهَا  
وَتَبَكِّيَكَ اسْرَى طَامِلَاقَدَ فَكَكَتْهُمْ وَأَرْمَلَةَ ضَاعَتْ وَضَاعَ عِيَالَهَا  
وَمِنْهَا:

تَغْشَى بِهَا حِينَا كَذَاكَ فَفَجَعَتْ تَمَّيِّمَ بِهَا أَرْمَاهَهَا وَنِبَالَهَا  
فَقَدْ ظَفَرَتْ مَنَّا تَمَّيِّمَ بِعَثَرَةَ وَتَلَكَ لَعْمَ رَيِّ عَثَرَةَ لَا تَقَالَهَا<sup>(٢)</sup>  
وَقَالَتْ اعْرَابِيَّةً أُخْرَى فِي رَثَاءِ وَلَدَهَا:

بَنِي لَئِنْ ضَنْتْ جَفَّ وَنِي بَمَائِهَا لَقَدْ قَرَحَتْ مَنِي عَلَيْكَ جَفَّونَ  
دَفَنْتْ بَكْفِي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصَبَّتْ وَلَلَّنْفَسِ مِنْهَا دَافَنَ وَدَفَنَ<sup>(٣)</sup>  
قَالَتْ فِيهِ أَيْضًاً:

وَلَا دَعَوْتَ الصَّبَرَ بَعْدَكَ وَالْبَكَ اجَابَ الْبَكَا طَوعًاً وَلَمْ يَجِبَ الصَّبَرَ  
فَإِنْ يَنْقُطْعَ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَاءَنَّهَ سَيِّقَ عَلَيْكَ الْحَزَنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ<sup>(٤)</sup>

\* \* \*

ويسرنا ان نختتم الحديث عن دور الأم في العصر الجاهلي، بما خاطبت به سيدتنا (آمنة بنت وهب) ولدتها الرسول الأعظم النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) - في نهاية العصر الجاهلي- وهي على فراش الموت،  
تقوله له:

بارك فيك الله من غلام

يا ابن الذي في حومة الحمام

---

(1) عان: الأسير.

(2) الدر المنشور: 55

(3) ساوية الحزبين: 142

(4) المصدر نفسه: 143

نجا بعون الملك العلام

فودي غادة الضرب بالسهام

بمئنة من ابل سوام

إن صح ما ابصرت في المنام

فأنت مبعوث إلى الأنام

تبعث في الحل وفي الحرام

تبعث بالتوحيد والاسلام

دين أبيك البر ابراهام

فالله ينهاك عن الأصنام

أن لا تواليها مع الأقوام<sup>(١)</sup>

\* \* \*

تلك الصورة نرجو أن نكون قد رسمنا من خلالها الملامح العامة للأمومة والبنوة في العصر الجاهلي..

الأمومة والبنوة في العصر الإسلامي:

إن الإسلام كرم كلا من الأب والأم وألزم الأبناء باحترام أبويهما كما قال تعالى: " وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا

إِيَاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكُمُ الْكِبَرَ أَخْدُهُمَا أَوْ كِلَّاهُمَا فَلَا تَقْلِيلَ لَهُمَا أَفَ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا

.<sup>(٢)</sup> {23/17} كريًّا

(1) شاعرات العرب: 2.

(2) سورة الإسراء: 23-24.

والذي نفهمه جلياً من خلال هذه الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى يأمرنا باحترام الوالدين وإطاعتهم وأن لا يصدر منا ما يسيء إليهما لأنهما عانيا ما عانيا في تكويننا وتنشئتنا وتربيتنا وما احترامهما وطاعتلهما إلا رد لبعض تلك المعنونة.

وقال سبحانه وتعالى في حق الوالدين: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {8/29}"<sup>(1)</sup>.  
فإن الله تعالى يأمر الأبناء في أكثر من آية بطاعة الوالدين والتواضع لهما والرقة بهما، والقرآن الكريم يخص "الأم" ويعظم من شأنها ويأمرنا بالإحسان والحنو عليها في قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلْتُهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعْتُهُ كُرْهًا وَحَمَلْتُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا"<sup>(2)</sup>.

وجسد القرآن المشقة التي تعانيها الأم من تعب وألم في موضع آخر من قوله تعالى: "وصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنأ وفصاله في عامين أن أشكري ولوالديك إلى المصير"<sup>(3)</sup>.  
وكذلك النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) أعطى للأم مكانتها فمن ذلك ما روي من أن "رجلاً جاء إلى الرسول حاملاً أمه يطوف بها، فسأل النبي (صلى الله عليه وسلم): هل أديت حقها؟ قال لا ولا بزفة واحد"<sup>(4)</sup>. وجاء رجل آخر إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يا رسول الله من أحق الناس بحسن صاحبتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال ثم من؟ قال: أبوك"<sup>(5)</sup>.

(1) سورة العنكبوت: 8 / ولمعنى نفسه في سورة الأنعام: 151، وفي سورة البقرة: 83.

(2) سورة الأحقاف: 14.

(3) سورة لقمان: 14.

(4) مسنـدـ اـحمدـ: 1/56.

(5) البخاري: 147/21 ((وهنا نلاحظ أن الرسول الكريم ذكر الأم ثلاث مرات، ولم يذكر الأب إلا مرة واحدة ولعل السر في ذلك هو أن الأم تتفرق عن الأب بأمور ثلاثة: ما تعانيه من أوجاع الحمل - وما تقاسيه من الآم الوضع - وما تقوم به من أوضاع الطفل والشهر على راحتة مدة عامين ثم هي بعد ذلك تشارك الأب في تربية الولد ورعايته، فلا عجب أن يعني بها الحديث عنـيـةـ خـاصـةـ)... يـنظـرـ - مجلـةـ كلـيـةـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـدـرـاسـاتـ الـإـسـلامـيـةـ: الـسـنـةـ الثـانـيـةـ، العـدـدـ الثـانـيـ، 1975: 533).

كل ذلك ليذكر الولد بفضل أمه عليه ومشقتها ليلًا ونهاراً وحنوها عليه أثناء حمله وولادته وإرضاعه

وتربيتها.

فالإسلام بذلك ساوي بين رعاية الإنسان لأبيه وأمه، كما ساوي بين رعايته لبنيه وخص الأمهات بالذات

ملكاتهن العظيمة وجهدهن الكبير. وأن احترام المرأة عموماً منحدر أساساً (من كونها زوجة وأمًا وأبنة، فينبعي

احترامها ومساعدتها الاجتماعية وعلاقتها البيئية بالتساوي مع الزوج والأب والابن، وبذلك تتوفر للمجتمع

الإسلامي - الذي حددت فيه حقوق وواجبات المرأة - النمو والتطور والاستقرار).<sup>(1)</sup>

وأن اهتمام الدين الإسلامي بالمرأة عامة وبالأم خاصة أحدث انقلاباً في أوضاع المرأة، والإسلام إذن لم يبدأ

بإعطاء المرأة حقوقها من كونها أمًا، بل بدأ معها منذ ولادتها حيث منع وأدتها، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك،

وأولاها عنابة خاصة أثناء طفولتها ثم اهتم كل الاهتمام بقضية زواجهما، فأولاها اهتماماً بالغاً، ويتجلى ذلك

واضحاً جلياً في قوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتُسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوْدَةً

وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكَارٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {21/30} ".<sup>(2)</sup>

(ولا يختلف اثنان في أن الزواج الذي يبني على هذا التوافق يكون أمراً محترماً في نفوس الزوجين وتكون

عقدته من المتناء بحيث لا يسهل انحلالها ويكون أيضاً موجباً للعفة والتضور، وكل زواج لا يؤسس على هذا

الائتلاف فهو صفة خاسرة لا خير فيها لأحد من الزوجين).<sup>(3)</sup>

---

(1) تطور المرأة عبر التاريخ: .67

(2) سورة الروم: .21

(3) تحرير المرأة: قاسم أمين، ط.2، مصر، 1941: 127.

وما أروع ما يصف به القرآن الكريم الحياة الزوجية، حيث يجعل الزوجة جزءاً لا يتجزأ من الزوج، في

قوله تعالى: " هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ " <sup>(1)</sup>.

وإن القرآن الكريم أكد تأكيداً بالغاً على أهمية المرأة بوصفها عنصراً من عناصر المجتمع الإسلامي

الجديد المبني على أساس الأخلاق القوية والحميدة، التي تشكل الداعمة الحقيقة في بناء المرأة للأجيال

الجديدة، وهي تحمل نواة التربية والعلم والمعرفة..

فامرأة الأم تشكل الركن الأساس في الأسرة الإسلامية، وإلى ذلك أشار الرسول الكريم (صلى الله عليه

وسلم) بقوله عن المرأة الصالحة في المجتمع: "الدنيا كلها متع، وخير متع الدنيا المرأة الصالحة" <sup>(2)</sup>.

ونود أن نجعل ما توصلنا إليه من النتائج أساساً نطلق منه للحديث عن علاقة الأمهات بأبنائهن،

بغريرة تعجز العقول البشرية عن فهم أسرارها. فكان من المسائل المهمة التي يثار حولها الجدل، وهي قضية

غريزة الأمومة، فلا يعرف سر هذه الغريزة إلا خالقها سبحانه وتعالى الذي ألم الأم معطيات هذه الغريزة التي

هي أساس العلاقات الاجتماعية والرباط المتين الذي يربط ما بين هذه العلاقات، فغريزة الأمومة هي (أقوى

دافع إنساني تقوم به المرأة وبواسطة هذه الغريزة نرى المرأة تقوم باسمي وأكبر التضحيات) <sup>(3)</sup>.

ودليلنا على ذلك قول فاطمة الزهراء في ترقيق ابنها الحسن وهي تؤكد شبهه بجده النبي، تقول:

وأبى شيرش بيه بعيلى أبى شيرش به أبى غيرش بيه بعيلى <sup>(4)</sup>

(1) سورة البقرة: 187.

(2) مسند احمد: 168، وينظر - صحيح مسلم بشرح النووي: 656/3 رقم الحديث (56).

(3) الأمومة والعنابة بالطفل: عامرة عبد الرزاق، بغداد، 1967: 9.

(4) نقلًا عن كتاب لطائف المعارف: 91، وفي العقد الفريد - أنها كانت ترقص الحسين وليس الحسن: 245، وينظر - أشعار

الترقيق عند العرب: 22.

فلم يكن الفخر هنا قبلياً لأن عليا وأباها محمد (صلى الله عليه وسلم) من قبيلة واحدة، ففخرها هنا

إذن بالنبوة التي امتاز بها أبوها..

هذا فضلاً عن أن الأدب العربي زاهر بنصوص شعرية، تصور علاقة الوالدين بالأبناء، وبالعكس... ومن

ذلك قول الزبير بن عبد المطلب عم الرسول، يزفن<sup>(١)</sup> النبي (صلى الله عليه وسلم) من الحسد:

محمـ دـ بـ نـ عـ شـتـ بـعـ دـمـ<sup>(٢)</sup> عـ يـشـ العـ مـ  
لـازـلـتـ فـيـ عـ يـشـ عـ مـ وـدـوـلـةـ وـمـغـزـ  
يـغـنـيـكـ عـنـ كـلـ الـعـمـ وـعـ شـتـ حـتـىـ تـهـ رـمـ<sup>(٣)</sup>

ومن النصوص التي تكشف عن علاقة الأم بأبنها: (ترفين أم البنين الوحيدة)<sup>(٤)</sup> لابنها العباس بن علي بن

أبي طالب (رضي الله عنه) وهي تخاف عليه من الحسد، تقول له:

اعيده بالواحد / من عين كل حاسد / قائمهم والقاعد /

مسلم والجاد / صادرهم والوارد / مولودهم والوالد<sup>(٥)</sup>.

لقد عظم الإسلام شأن الأم وأعلى مكانتها ورفع شأنها فيما سبق أن أشرنا إليه، حيث

جعل من المرأة الصالحة أساساً لبناء مجتمع صالح، بعيداً عن المفاسد والشرور، لأن

(١) الزفن: الرقص، زفن يزفن زفناً وهو شبيه بالرقص، وفي حديث فاطمة عليها السلام أنها كانت تزفن للحسن أي ترقصه وأصل الزفن اللعب والدفع، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها قدم وفدى للحبشة فجعلوا يزفون ويلعبون أي يرقصون ومنه حديث عبد الله بن عمرو أن الله أنزل الحق ليذهب به الباطل ويبطل به اللعب والزفن. ينظر - لسان العرب: 3/356، مادة زفن.

(٢) عبده: يقصد به ابن عبد المطلب وهو مألف في العربية للاختصار.

(٣) المنمق في أخبار قريش: لمحمد بن حبيب، تحقيق: خورشيد احمد فاروق، بيروت، 1985: 349، والبيت الأخير في: الأمالي - للقلالي: 2/115.

(٤) أم البنين - بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد من ربيعة.. نقلأً عن المنمق: 351.

(٥) المصدر نفسه: .351

الأم هي المعيار والميزان الذي يوزن به مستوى العائلة الأخلاقي والتربوي بما تقوم به من أدوار مهمة في تربية

الأبناء وبناء الأسرة...

إن الإسلام قد حث الإنسان على طاعة الوالدين خاصة (الأم) وجعل ثواب المطيع الجنة وعقاب المخالف

النار، فلا يجوز عقوتهم.

\* \* \*

إن مكانة الأبناء عند الوالدين كبيرة وعزيزة، ويتقاسم الأبناء جميعاً هذه المحبة بالتساوي. فقيل

بعضهم "أي ولدك أحب إليك؟ قال: صغيرهم حتى يكبر، ومريضهم حتى يبرأ، وغائبهم حتى يقدم" ..<sup>(1)</sup>

لذا نرى فقد الأبناء يسبب للوالدين ألمًا وحزناً شديدين وجراحًا ليس بعده جرح، ويحكى ((أن عمر بن

الخطاب (رضي الله عنه) نظر إلى رجل يحمل طفلًا على عنقه فقال: ما هذا منك، قال: ابني يا أمير المؤمنين،

فقال عمر: أما إنه إن عاش فتتك وإن مات حزنك))<sup>(2)</sup>، وما يجسد ذلك قول عبيد الله بن أبي بكرة<sup>(3)</sup> فيهم:

(موت الولد صدح في الكبد، لا ينجر آخر الابد)<sup>(4)</sup>.

\* \* \*

هذا والأدب العربي زاخر بنصوص كثيرة تصور عمق عاطفة "الأم" إذا فقدت ابنها فلذة كبدها.

---

(1) عيون الأخبار: 92/3

(2) العقد الفريد: 425/2

(3) عبد الله بن أبي بكرة الثقفي أبو حاتم (14-79هـ / 698-635م): هو أول من قراء القرآن باللالحان، تابعي ثقة. من أهل البصرة كان أول أمير سجستان، وليها سنة 50 الـ 55هـ وعزل عنها. ثم ول إليها في آمرة الحاجاج وولي قضاء البصرة. وكان أسود اللون وهو ابن الصحابي (أبي بكرة) نفيع بن الحارث. ينظر - الإعلام: خير الدين الزركلي، ط. 3، د. ت: 345/3.

(4) عيون الأخبار: 345/3

ومما يدل على شدة عاطفة الأئمة، ما روي من (أن أمًا قتلت لها ابن يدعى فطن بن سريح من بنى

عذرة، فأقبلت إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهي تنشد:

الا تلك المسرة لا تدوم ولا يبقى على الدهر النعيم

ولا يبقى على الحدثان عقر لشاهقة له أم رؤوم

وقالت:

يا جامعاً مع الاحشاء والكباد ياليت امك لم تولد ونم تلد

ثم كبت عليه فشهقت وماتت...)<sup>(١)</sup>

فهذه (جويرية بنت قارظ)<sup>(٢)</sup> قالت في ابنيها اللذين قتلهمَا بسر بن أرتاة أحد بنى عامر بن لؤي:

ألا م ن ب ين الآخ و ي ن ام ه م ا ه ي الشكلي

تسائل م ن رأي ابنيه و ت ستقى ف لاتتسقى

ف ل ما استيأس ت رجعت برة والـ ه حـ رـ يـ

ومن قولها فيهما:

يـ اـ مـ نـ اـ حـ سـ بـ نـ يـ الـ لـ ذـ يـ هـ مـ اـ كالـ دـ رـ تـ يـ تـ شـ ظـ يـ عـ نـ هـ مـ الـ صـ دـ فـ

يـ اـ مـ نـ اـ حـ سـ بـ نـ يـ الـ لـ ذـ يـ هـ مـ اـ سـ مـ عـ يـ وـ قـ لـ بـ يـ فـ قـ لـ بـ يـ الـ يـ وـ مـ خـ طـ فـ<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

(1) بلاغات النساء: 176.

(2) هي حويرية بنت خالد الكتبانية، وتكنى أم حكيم زوجة عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. نقلًا عن شاعرات العرب: 85.

(3) ينظر - الاغاني (ط, 5, 1981): 209/6، وينظر - شاعرات العرب: 85-86.

ومما لفت انتباها ونحن نختتم الحديث عن العصر الجاهلي والإسلامي، أننا لم نجد في أثناء تبعنا قصائد في رثاء الأمهات، لا في العصر الجاهلي ولا في العصر الإسلامي. وأغلب المتراثي التي وجدناها خلال بحثنا كانت في رثاء الآباء، وبيدو لي أن السبب في ذلك يود إلى كون الأب هو رمز الأسرة وعنوان عزتها وكرامتها.....

### الأمومة والبنوة في العصر الأموي:

تغيرت الحياة في العصر الأموي في شتى مجالاتها سياسياً واجتماعياً، فهو عصر تجديد، عصر "ترف" وقدم حضاري حيث ظهرت فيه القبلية والاعتزاز والفاخر بها، هذا من جانب ومن جانب آخر فإنه عصر تقدمت فيه المعارف والعلوم والآداب، ومن مظاهر الترف في ذلك العصر انتشار الغنى وكثرة الجواري والقيان، مما أنتج ألواناً جديدة من ألوان الأدب، في مقدمتها شعر الغزل بشقيه الغزل الماجن والغزل العفيف - العذري - كما ظهر أدب آخر جديد وإن كان موجوداً في العصرين الجاهلي والإسلامي، ذلك هو شعر الهجاء حيث نبغ أكبر شعراء التهاجي كجرير والفرزدق والأخطل وغيرهم. ومنه نشأت القصائد المسممة " بالنقائض".

كما ازدهرت من جانب آخر العلوم الدينية من فقهه وتفسيره وحديثه وعلم الكلام، ومن الطبيعي أن تشارك المرأة في هذه الحركة وتطلب جميع العلوم والمعارف وتساهم في طلب تلك العلوم، وتنكب على دراسة الشريعة والفقه والحديث والشعر والأدب<sup>(١)</sup>.

ولقد عبر عن حال المرأة ووضعها في هذا العصر الأستاذ (محمد جميل بيهم) يقول: (أن النساء وإن لم يقفن في ذلك العصر عند حد روایة الحديث اسوة بأخواتهن في عهد الخلفاء بل اقبلن على العلوم الدينية كافة وأدركن نصياً وافراً منه أهل بعضهن للتدریس إلا أن عدد الشهيرات منها قليل)<sup>(٢)</sup>.

(1) ينظر - تطور المرأة عبر التاريخ: 87.

(2) المصدر نفسه: 88.

وأنني اتفق مع رأي الأستاذ (بيهم) بأن أغلب النساء من العربيات في العصر الأموي كن مغلوبات على أمرهن ومع ذلك فقد كن يدرسن العلوم الدينية ويتعلمون الشعر وفنونه وهن قابعات في بيتهن. ويبدو لنا أن العربية المسلمة الصميمية كانت تفضل البقاء في منزلها على الاختلاط بالنسبة غير العربيات من الاماء والجواري والسبايا اللواتي كثرن - بسبب الفتوحات. ويجب أن لا ننسى بأن المرأة رغم تقدمها هذا كانت محددة بتقاليد وقوانين قبلية ودينية صارمة، لأن حركتها في البيت والمجتمع كانت تخضع دائمًاً لمواصفات وضوابط ترتبط بإرادة الرجل؛ ومع ذلك فإننا لا نستطيع الحكم على الرجل بأنه استعبد المرأة، بل أن المسلمين شعروا بالحاجة إلى حجب النساء (بعد أن استحكمت عادات الحضارة والترف)، وذلك خوف الفتنة وصيانة المرأة من يؤذيها، فاشتدت مع الزمن وطأة الحجاب في الشام والعراق وببلاد فارس لتأصله فيها منذ القدم ثم سرى إلى معظم الأقطار الإسلامية<sup>(١)</sup>، مما يدل على حرصهم على المرأة وسمعتها..

ويجب أن نوضح مكانة المرأة العربية الصميمية أمام مكانة الأمة والجارية في هذا العصر، وما كان يحصل بينهن من التنافس وانعكاس ذلك التنافس بين الحرائر والجواري على دور الأم والأبناء ووضعها في ظل النظام الاجتماعي الجديد.

لا ننكر أن الجواري والاماء أخذن يشغلن الحيز الأكبر من الحياة، ويستلمن قلوب الرجال، فأحب الكثير منهم الكثيرات من الجواري وتزوجوهن فكان لهم أولاد منهن. ومع ذلك فإنهم، (كانوا ينكرون الهجنء من - أبناء الأماء- وينكرون عليهم أن يطلبوا الخلافة ولو كانوا من بيت النبوة)<sup>(٢)</sup>.

وهذا يطمئننا على حال المرأة العربية بسبب تلك العصبيات القبلية مما جعل مكانتها في الذروة والسنام من الأعزاز والاكرام.

(1) الإسلام والحضارة العربية: محمد كرد علي، ط.2، القاهرة، 1950: 1/91.

(2) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: 3/8.

هذا يعني أن المرأة العربية ما زالت لها مكانة جديرة بالاحترام والتقدير رغم تطور وتغير الظروف

الاجتماعية والسياسية العامة.

فنجد للمرأة مكانة عند زوجها حيث كانت دائمًا المعين الأول له والسد في وقت الشدة والعكازة التي

يتوكأ عليها، فيبكي بكاءً حاراً لفقدتها، فهذا جرير يرثي زوجته " خالدة من كليب " وهي أم ابنه " حزرة " بقصيدة تبلغ مئة وخمسة عشر بيتاً، فكانت تلك المرثية من عيون المطراثي في الشعر العربي، ذاكراً ومشيراً إلى دورها الكبير زوجة وأما قال في مطلعها:

لولا الحباء لعادني استعبار ولزرت قبرك والحييب يزار<sup>(١)</sup>

فالمرأة المسلمة في هذا العصر نالت تقدير زوجها، فإن شاء القدر وكتب الفراق بينهما " بالطلاق " ربما تأسف الزوج على ذلك أشد الأسف ومن الشعراء الذين جسدوا هذه الحالة الفرزدق حين طلق زوجته النوار، فيبدو أنها كانت تخاضبه حتى طلقها وهو في حالة من تلك الحالات النفسية التي أشرنا إليها، فقال مصوراً ألمه وندمه الشديد منها قوله:

نـدـمـتـ نـدـمـةـ الـكـسـعـيـ لـمـاـ غـدـتـ منـيـ مـطـلـةـ نـوارـ

وـكـانـتـ جـنـتـيـ فـخـرـجـتـ مـنـهـاـ كـآـدـمـ حـيـنـ لـجـ بـهـ الضـرـارـ

وـكـنـتـ كـفـقـاـيـ عـيـنـيـهـ عـمـداـ فأـصـبـحـ مـاـ يـضـيـءـ لـهـ النـهـارـ<sup>(٢)</sup>.

ولا يفوتنا أن نذكر أن الأم إذا كانت من ذات الحسب والشرف والأصالة يفخر بها أبناؤها معتمدين بنسبها ومعتزين بالانتماء إليها، حيث بقيت الأم المجال الربح للفرح والملح أو للهجاء والذم.

ومن ذلك ما قاله عبيد الله بن قيس الرقيات في أمه<sup>(٣)</sup> مفتخرًا بها:

(1) ديوان حرير - مج 2، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، طبع دار المعارف، مصر، 1971: 862/2، وينظر - الرثاء في الشعر العربي - جراحات القلوب: د. محمد حسن أبو ناجي، ط 2: 135.

(2) شرح ديوان الفرزدق: ليلى حاوي (ط 1983): 1/481.

(3) أمه - قتيله من نسل الياس بن مضر، وعمه قيس بن عيلان بن مضر وأبوه من عامر بن لؤي وكان قصي بن كلاب تزوج من عاتكة بنت هلال وعبد مناف تزوج من عاتكة بنت مرة. وعاتكة زوج

ومن الطريف أن نجد بعض الشعراء من العرب يفتخرون بأمهاتهم الأعمجيات مثل (أبي نخلة) الذي

يقول:

أنا ابن سعد وتوسطت العجم فأنا فيما شئت من خالٍ وعم<sup>(2)</sup>

فالأم تبقى مكانتها عزيزة لدى أبنائهما سواء كانت عربية صميمة أم أعمجية. وما أكثر الأبناء البررة

بأمهاتهم، ويأتي في مقدمة أولئك الإمام (علي بن الحسين زين العابدين) فقد كان من أבר الناس بأمه حتى روى

من بره بها ما لم نسمعه عن غيره، فقد " قيل له مرة، أنت أبر الناس بأمرك ولا نراك توأكل أمك؟! قال: أخاف أن

تسير يدي إلى ما قد سبقت عينها إليه، فأكون قد عقتها"<sup>(3)</sup>.

أما في باب المدح بالأم، أي مدح الشخص لكون أمه ذات حسب ونسبة، فهذا وارد بكثرة على مر

العصور، فنرى جريراً مدح هشام بن عبد الملك بأمه لأنها يتشرف بالانتساب إليها لشرفها ومكانتها وأصالتها

ونسبها، بقوله فيه:

فما الام التي ولدت اباكم بمعرفة النجـار ولا عـيم

وما قـرم بانجـب من ابـيكـم ولا خـالـاـكـم مـنـ ثمـيم

---

عبد مناف بن زهرة هي جدة آمنة أم الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهناك عدد من العواتك في نسب عبيد الله بن قيس

الرقىات.. نقلاً عن ديوانه دار صادر، بيروت، 1958، تحقيق وشرح: د. محمد يوسف نجم: 65.

(1) المهرية: ذات مهر، أي لم تسب.

(2) البيان والتبيين: 225/3، وينظر - الشعر والشعراء - لابن قتيبة: تحقيق - احمد محمد شاكر، طبع دار المعارف بمصر، 1966:

.214، وينظر - العصر الإسلامي: 602

(3) عيون الأخبار: 97/3

وبلغت موجة التمجيد غايتها بجىء يزيد الثاني (101-105هـ/720-724م) فأمه تشبه بالسيدة مريم أم

المسيح، وذلك يتضح في قول الفرزدق، الذي مدحه بأمه يقول:

وهذا الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح عبد العزيز بن مروان واصفاًً <sup>(4)</sup> ونقائها من الدنس

وشرفها وعزتها، يقول:

اَنْ عَلَى الطَّيِّبِ ابْنِ لَيْلٍ إِذَا اثْنَتْ فِي دِينِهِ وَفِي حَسْبِهِ

**أمك بيهضاء<sup>(5)</sup> من قضاة في أول بيته الذي يستقل في طبقة<sup>(6)</sup>**

ثم مدح شاعرنا ابن قيس الرقيات (عبد الله بن الزبير) بأمه يقول:

وابن اسماء خير من مسح الركـ ن فعـالاً وـخـيرهم بنـيـانـا

وإذا قيل من هجان قریش كنـت أنت الفتى وانت الهجانا<sup>(٧)</sup>

(1) برة بنت مر - هي اخت تميم وهي أم النضر بن كنانة... نقلًا عن ديوان حرير.

(2) دیوان جریر: 219/1

(3) شرح ديوان الفرزدق - لailia حاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، ط. 1، 1983: 242/1، وينظر - شعراء البصرة في العصر

<sup>166</sup> الأموي: د. عون الشريفي قاسم، دار الثقافة، بيروت، 1972: 166.

(4) أم عبد العزيز - هي ليلى بنت زيان بن الأصبح بن عمرو بن ثعلبة بن حارث من بنى كلب وحاء في الأغافى أنه قال: لا أعطي

شيئاً حتى يذكّرها في مدحه - لشرفها - فكان الشّعراء يذكّرونها في أشعارهم يأسّمها... نقلًا عن ديوان الرّقيات: 14.

(5) بَيْضَاءٌ: يُعْنِي هِيَ أَحْسَنُهُمْ وَجْهًاً وَأَكْرَمُهُمْ أَمَّاً.

(6) ديوان الرقيات: 14، طنية: عمود الخيمة.

.157-156 دیوانه نفسه: (7)

وهذا الشاعر الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك، يقول:

وما مثله في الناس إلا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه<sup>(١)</sup>

\* \* \*

نستدل من ذلك إلى أن الأم مفخرة لأبنائها، فمدحها مدح لأبنائها وهجاؤها تجريح وشتم لهم. فكان

دخولها في مضمار الهجاء - أي أن يهجى شخص بسبب أمه - أمراً اعتيادياً منه، فمثلاً كانت الأم سبباً في المدح

كانت سبباً في الهجاء فالمرأة بشتى حالاتها كانت العامل الذي يثير الشعر العربي، سواء كانت أمّاً أو أختاً أو

حبيبة أو زوجة أو ابنة.

\* \* \*

أما علاقة الأم بوليدتها، وحبها له وحنانها عليه، ذلك الحنان الذي هو بمثابة النور الذي ينير ظلمة حياة

الأبناء، وذلك الحب العظيم الذي يودع فيه سر الأمل بالمستقبل.

وتبقى الأم معمورة بعاطفة عظيمة تجاه ابنها ويبقى خوفها عليه من كل سوء ومن كل شر منذ

طفولته إلى شبابه وحتى بعد كبر سنها وهرمه. وزاه قد تتوضّم في ابنها إمارات السعادة منذ كونه صغيراً وتتجسد

ذلك في ترقیصه معبرة عما تحسه تجاهه وما تتوضّم فيه، فقد كانت أم الفرزدق ترقصه وتقول له:

قصصت روئيأي على ذلك الرجل ف قال لي قولاً وليلست لما يقال  
لتلدن عضلاً من العضل ذا منطق جازل إذا قال فصل<sup>(٢)</sup>

(1) الموسوعة في مآخذ العلماء على الشعراء: المرزباني، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، 1934: 124.

(2) أشعار الترقیص عند العرب: 35، عضلة: الدهمية.

ونجد إعرابية تدعو لابن لها وقد وجّهته إلى حاجة، فقالت له وهي تحصنه بدعواتها الطيبة لتبعده عنه

الشر والأذى: (كان الله صاحبك في أمرك وخليفتك في أهلك وولي نجح طلبتك، أمض مصاحباً مكلوءاً، لا اشمت الله بك عدواً ولا أرى محبيك فيك سوءاً<sup>(١)</sup>).

فعلاقة الأم بابنها وحبها له علاقة حميمة صميمة غير قابلة للجدل. لكن يختلف الأمر عند الحديث عن مدى علاقة الابن بأمه، فقد تكون سلباً أو إيجاباً، وقد يقدر الابن تضحيات والديه فيطيعهما أو يكون جادحاً ناكراً للجميل فيعقولهما، رغم معرفته بجزاء العقوبة.

وقد يكون تدليل الوالدين له تأثيره الإيجابي في نفس الأبناء، هذا من جانب، ومن جانب آخر قد يكون سلبياً وربما يؤدي - التدليل الكثير - إلى عدم تربية الأولاد تربية رصينة متينة، وفي ذلك يقول عبد الملك بن مروان: (أضر بنا في الوليد حيناً له فلم نؤدبه، وكأن الوليد أدبنا)<sup>(٢)</sup>.

هذا الافتراض الذي في غير محله، ربما يقود الوالدين إلى نتائج سيئة، فلا يقدم لهم الابن شيئاً سوى عقوبهما، ومن ذلك: قيل لأعرابي كيف ابنك؟

وكان به عاقاً، فقال: (عذاب لا يقاومه الصبر، وفائدة لا يحب فيها الشكر، فليتني قد استودعته القبر)<sup>(٣)</sup>.

فنجدها الآباء الذين لولدهم الموت رغم قساوة ومرارة ذلك على نفسه..

ومن الذين ابتلوا بالعقوبة " الفرزدق " (كان له ثلاثة أولاد يقال لهم - لبطة، سبطنة، حنظلة - وكان بطة) من العقيقة فقال فيه أبوه الفرزدق:

أَنْ أَرْعَشْتَ كَفَا أَبِيكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدَالِيَّثْ فَاءَنَّكَ جَاذِبَهُ  
رأَيْتَ تَبَاشِيرَ الْعَقَوْقَهُ هِيَ التَّيِّيَّهُ مِنْ أَبْنَ امْرَئٍ مَا إِنْ يَزَالَ يَعَاتِبَهُ<sup>(٤)</sup>

(1) العقد الفريد: .8/4

(2) الم المصدر نفسه: .245/2

(3) العقد الفريد: .51/4

(4) ديوان الفرزدق: 1/175

وإنصافاً للآباء فإن عواطفهم ومشاعرهم تجاه أبنائهم لم تكن أقل من عواطف ومشاعر الأمهات، وأن

حب الأبناء ليس وقفاً على الأمهات فقط، فالآباء أيضاً عبروا عن حبهم العميق لبنيهم لأن الأبناء فلذات الأكباد.

فبالنسبة لعلاقة الأب بابنته علاقة قوية تبع من حبه لها وخوفه عليها، على عكس ما وجدنا في

الجاهلية تماماً، فالإسلام أنصفها، ونالت معزتها وحقها في حب أبيها، فكانت صورة تطور وارتقاء (تحول فيها

شراسة البدو وجموحهم الواضح في المراحل الأولى - باطراد وتدرج - إلى ضرب من التسليم والخضوع لمواصفات

الجماعة والانصياع لأوامرهم<sup>(1)</sup>.

وحتى طريقة إرشاد الأولاد وتقديم الموعظة لهم كانت تتخذ طابعاً خاصاً، نابع من عمق الصلة بينهم،

ومن ذلك ما قاله (يزيد بن الحكم الثقفي) يعظ ابنه بدرأً:

يَا بَدْرَ وَالْمَثَلُ إِلَيْكَ يَضْرِبُهَا لَذِي الْلَّهِ بِالْحِكْيَمِ  
دَمَ لِلْخَلِيلِ بَلْ بِمَا خَرَبَ يَرْوَدُ لَا يَرْدُومِ  
وَأَعْرَفُ لِجَارِكَ حَقَّهُ مَهْكُرِيَّمِ  
وَاعْلَمُ بِأَنَّ الْضَّيْفَ يَوْمَ مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلْوَمِ  
وَالنَّاسُ مُبْتَدِئُونَ: مُهَمَّودُ الْبَنَادُورَةُ، أَوْ ذَمِيرَمَانَ<sup>(2)</sup>

ومن هنا نستطيع أن نضع أيدينا على الجرح العميق الذي لا يندمل أبداً الدهر، من فقد الأبناء الذين

هم قرة أعين الآباء.

(1) شعراء البصرة في العصر الأموي: 170.

(2) شعراء أمويون: دراسة وتحقيق د. نوري حمودي القبسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1982، القسم الثالث: 272.

ونجد دموع الشعرا تتفجر شعراً تعبيراً عن ذلك الحب العميق المتدايق، وذلك الألم الذي يعجز القلم عن تجسيده مهما كتب من آلاف السطور والقوافي ففي الحلق غصة وفي القلب حسرة لا يفيها القلم حقها.

نحن نعلم أن الرثاء هو المتنفس الوحيد للتعبير عن الألم منذ الجاهيلية إلى الآن؛ وأن الرثاء في العصر الأموي لم يختلف عن الرثاء في عصر الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا في جوهره ولا في معناه، لأن عصر بنى أمية قريب الصلة بعصر صدر الإسلام، بل هو جزء منه لامتداد حياة كثير من الصحابة أو أبناء الصحابة وكان الدين ما زال حياً نابضاً في نفوسهم وقلبوهم، فتربى العصر الأموي مرتبطاً أشد الارتباط بالعصر الإسلامي بعاداته وتقاليده الشعرية؛ رغم قلة الرثاء في هذا العصر والتتوسع في باقي الأغراض وكثرتها<sup>(١)</sup>.

فالرثاء ليس فقط رثاء الزوج زوجته، ولا رثاء الأم لأبنائها، بل رثى الآباء الأبناء، وهذا الفرزدق يرثي ابنيه

بقصيدة يقول فيها:

فلن يرجع الموق حنين المآتم<sup>(٢)</sup>

فما ابناك إلا ابن من الناس فأصبرني

وقال عكرشة أبو الشغب العبسي يرثي ابنه:

عزاً تزاد به في عزها مضر  
لبيست الخلتان الثكُل والكبُر  
دكاً فلم يبق من أركانها حجر<sup>(٣)</sup>

قد كان شخب لو أن الله عمره  
فارقت شغباً وقد قوست من كبر  
ليت الجبال تداعت عند مصرعه

(1) ينظر - الصورة الأدبية في العصر الأموي: محمد حسين علي الصغير، رسالة ماجستير، كلية الآداب، بغداد، 1975: 163.... ويعزى أسباب قتلته إلى عاملين: 1. مادي .2. سياسي.

(2) شرح ديون الفرزق: 2، 395/2، وينظر - الرثاء في الشعر العربي - جراحات القلوب: 136.

(3) شرح ديوان الحماسة: 296.

وقال آخر پرثی ولده:

فلا ه در الـدافنيك عشية أما راعـهم مـشوـك في القـبر أـمـردا<sup>(١)</sup>

وقال أبو ذؤيب الهذلي حين هلك بنوه الخمسة في عام واحد، في قصيدة طويلة تبلغ خمسة وستين بيتاً

هي من عيون شعر الراي العربي نذكر منها قوله:

أما فقد البناء لآبائهم فإنه من الفجائع العظام التي تعصف بهم في حياتهم، فتحيلها إلى حزن ممض وألم شديد. فمن ذلك ما عبر عنه عبيد الله بن قيس الرقيات حين فوجع بأبيه وهو لا يرى من حوله إلا أمه الثاكلة التي جلّلها الحزن وغمرها الألم وليس معها من يعاونها ويعينها على البكاء والنحيب ولا من يواسيها فأجاد في

تصوير حال اليتيم وأمه الأرملة، يقول:

<p>يَا مَنْ يَكُونُ أَبَاهُمْ وَلَمْ يَعْلَمْ دِهْرَ لَهُمْ سَاءَهُمْ</p> <p>وَارْمَلَةٌ يَعْتَرِيهُ اَنْجِيلُهُ</p> <p>تَبَكَّى رِجَالٌ بْنَى عَمَهُ</p>	<p>إِذَا نَامَتِ الْأَعْيُنِ النَّاعِمَةُ</p> <p>وَإِخْوَتِهَا وَحْدَهُمْ قَائِمَةٌ<sup>(3)</sup></p>
---	---

\* \* \*

(1) شرح ديوان الحماسيه: 296.

(2) المفضليات: المفضل بن محمد الضبي، تحقيق - احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، مطبعة المعارف، مصر، ط.٦، ١٩٧٩:

.421

(3) ديوان الرقات: 101.

ومن ذلك نخلص إلى شيء مفاده:

في هذا العصر لم تفقد المرأة احترام أبيها ولا تقدير زوجها ولا حب أبنائهم، وتكريهم لها، فكانت محور التفاف الأسرة ورمز أخلاقياتها..

### الأمومة والبنوة في العصر العباسي:

إن العصر العباسي هو نقطة تحول في الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية، ليس من اختصاص هذا البحث ذكر أسبابها، وإنما الذي يعنينا هو الإشارة إلى المظاهر العامة لتلك الحياة.

فمن الناحية السياسية انتقل الحكم والخلافة من فئة إلى فئة كل منها تعتمد قيم وأساليب وأهداف خاصة بها، ومن الناحية الفكرية ازدهرت في هذا العصر العلوم والفنون والآداب في شتى مجالاتها ازدهاراً عظيماً.

ومن الناحية الاجتماعية انتشر الرخاء وعم البذخ والترف بأوسع مجالاته، وكان من مظاهر ذلك البذخ والترف انتشار الجواري انتشاراً واسعاً وصارت للرقيق أسواق كبيرة يعرضون فيها أجناساً مختلفة من السبيات للبيع والشراء، فلا يكاد يخلو بيت من جارية أو أمة، حتى أصبحت كثرة تلك الجواري والقيان سبباً مهما وخطيراً من أسباب التنافس بينهن وبين الناس الحرائر من العربيات، فالمرأة العربية تعتز كل الاعتزاز بانتمائها القبلي ومجد عائلتها وكرم منبتها، بينما تعز تلك الفئة المنافسة الأخرى من الجواري والإماء والقيان بما تتقن من مهارات الفنية كالغناء والشعر والموسيقى وغير ذلك..

ومن البديهي في هذا العصر الذهبي - ظهور نساء لهن باع في الأدب فنبغت شاعرات كثيرات تميزن في فن الشعر، فكانت الدواوين حافلة بأشعار بد菊花 وسجل لنا التاريخ وكتب الأدب أسماء الكثيرات منهن؛ وأرى أن طبيعة المرأة ورقة شعورها ورهافة حسها دفعتها إلى غرضي المدح والرثاء، فهي مدح أخاً أو أباً أو ترثي ابنًا أو زوجاً. وكان لكثير من الزوجات الفاضلات مكانة حسنة وكبيرة عند أزواجهن، مما جعل فقدان تلك الزوجات يثير مشاعر الزوج ويفجر قريحته شعراً في رثائهن، فقد رثاها بأروع ما يكون تأسياً على فقده إياها.

ومن ذلك قول (عز الدين محمد بن أبي القاسم المسبحي - ت 420هـ) في رثاء زوجته:

وفادحة م تبـق للعين مـدمعا

فـلـهـ هـمـ ماـ أـشـدـ وـأـجـعـا

إـلاـ فـلـيـتـ الـمـوـتـ أـذـهـبـنـاـ ماـ<sup>(1)</sup>

لاـ فيـ سـبـيلـ اللـهـ قـلـبـ تـقـطـعـا

أـصـبـراـ وـقـدـ حلـ الـثـرـىـ مـنـ أـوـدـهـ

فيـ الـيـتـيـ لـلـمـوـتـ قـدـ مـتـ قـبـلـهـاـ

وقـالـ أـعـرـابـيـ يـرـثـيـ اـمـرـأـتـهـ:

وـذـكـرـيـهـ أـيـنـاـهـ وـأـجـعـ

أـمـ العـاشـقـ النـايـ بـهـ كـلـ مـضـجـعـ<sup>(2)</sup>

فـوـ اللـهـ مـاـ أـدـرـيـ إـذـ الـلـيـلـ ضـمـنـيـ

أـمـنـفـصـلـ عـنـ ثـدـيـ أـمـ كـرـيـةـ

وـقـدـ رـثـيـ بـعـضـ الـأـزـوـاجـ زـوـجـاتـهـ مـنـ حـيـثـ كـوـنـهـنـ أـمـهـاتـ لـأـبـنـاهـمـ وـأـنـهـنـ تـرـكـنـ هـؤـلـاءـ الـأـوـلـادـ يـتـامـيـ بـغـيرـ

أـمـ،ـ فـمـنـ جـيـدـ مـاـ رـثـيـ بـهـ النـسـاءـ وـأـشـجـاهـ وـأـشـدـهـ تـأـثـيـرـاـ فيـ الـقـلـبـ وـأـثـارـةـ لـلـحـزـنـ،ـ قـوـلـ (ـمـحـمـدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ)ـ فيـ أـمـ

وـلـدـهـ:

بعـيـدـ الـكـرـىـ عـيـنـاهـ تـبـتـدرـانـ

بـيـتـانـ تـحـتـ الـلـيـلـ يـنـتـجـبـانـ

بـلـبـلـ قـلـبـ دـائـمـ الـخـفـةـانـ

جـلـيدـ،ـ فـمـنـ بـالـصـبـرـ لـابـنـ ـهــانـ؟ـ<sup>(3)</sup>

أـلـاـ مـنـ رـايـ الطـفـلـ الـمـفـارـقـ أـمـهـ

رـأـيـ كـلـ أـمـ وـابـنـهـ اـغـيـرـ أـمـهـ

وـبـاتـ وـحـيـداـ فيـ الـفـرـاشـ وـتـحـتـهـ

فـهـبـنـيـ عـزـمـتـ الـصـبـرـ عـنـهـاـ لـأـنـنـيـ

\* \* \*

(1) تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، ط.3، 1981، بيروت: 88/3.

(2) العقد الفريد (ط 1952): 281/3.

(3) الرثاء في الشعر العربي - جراحات القلوب: 158-159.

إن عاطفة الأمومة أثارت الكثيرات من الأمهات، فنذكر في هذا الصدد السيدة (زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد) حيث قامت بتعزية ولدها (محمد الأمين) في جارية له اسمها (نظمي) التي كان يهواها واشتد جرعاً على موتها، فقالت له والدته زبيدة:

نفسي فداوك لا يذهب بك التلف ففي بقائك ممن قد مضى خلف<sup>(١)</sup>

وفي هذا العصر تردد ذكر صورة الأم وصورة الأبناء في صور وأغراض مختلفة...

وفقدان الأبناء ربما يكون جرحة ألم ووقدة على نفوس الآباء والأمهات أوجع وأفظع، وديوان الشعر العربي وخصوصاً في العصر العباسي حافل بالشعر الحزين الصادر من أعماق القلوب والمؤثر في حنايا النفوس، ولا يسعنا إلا أن نعرض منه نموذجين من رثاء الآباء لأبنائهم، ذلك الرثاء العاطفي البليغ، الأول منها قصيدة (ابن الرومي) الحزينة المؤثرة التي قالها في رثاء ابنه والتي تبلغ واحداً وأربعين بيتاً، نختار منها:

فجوداً فقد اودي نظيركما عندي  
بنبي الذي اهدته كفای للثرى  
ألا قاتل الله المنايا ورميهما  
توكى حمام الموت أو سط صبّي  
طواه الردى عنى فأضحي فزاره  
ولاني وإن متعمت بـأبني بعده  
أولادنا مثل الجوارح ايهما  
هل العين بعد السمع تكفي مكانه

في اعزه المهدى ويَا حسرة المهدى  
من القوم حبات القلوب على عمد  
فلله كيف اختار واسطة العقد  
بعيداً على قرب قريباً على بعد  
لذاكه ما حانت النيب في نجد  
فقدناه كان الفاجع البين فقد  
أم السمع بعد العين يهديك ما تهدي<sup>(٢)</sup>

(1) تطور المرأة عبر التاريخ: 67.

(2) ديوان ابن الرومي: تحقيق د. حسين نصار، القاهرة، مطبعة دار الكتب، 1974، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب 2/624.

وثاني الشاهدين من رثاء الأبناء في العصر العباسي قصيدة (أبي الحسن التهامي - ت 416هـ) في رثاء ابنه

والتي تعتبر من أشهر وأشجع رثاء الأبناء في الشعر العربي كله؛ والحقيقة أنه قد رثى أبنه الصغير (أبا الفضل)

بقصائد عديدة كلها من عيون الشعر، ولكن القصيدة التالية أشهرها وهي تبلغ سبعة وثمانين بيتاً، اختار منها:

حکم المنية في البرية جار  
طبعت على كدر وانت تريدها  
وملک ف الأيام ضد طباعهـا  
وإذا رجـوت المـستحيل فأـنـهاـ  
فالعيش نـوم والمـنيـة يـقـظـة  
يا كوكـباً ما كان اـقـصـر عـمرـهـ  
جاـورـتـ أـعـدـائـيـ وجـاورـ رـبـهـ  
والـشـقـ نحوـ الغـربـ أـقـربـ شـقةـ  
منـ بـعدـ تـلـكـ الـخـمـسـةـ الـأـشـيـاـ<sup>(١)</sup>  
شـتـانـ بيـنـ جـوارـهـ وجـوارـيـ  
وكـذاـ تـكـونـ كـواـكـبـ الـأـسـحـارـ  
وـالـمـاءـ بـيـنـ هـمـاـ خـيـالـ سـارـ  
تبـنيـ الرـجـاءـ عـلـىـ شـفـيرـ هـارـ  
متـطـالـبـ فـيـ المـاءـ جـذـوةـ نـارـ  
صـفوـاـ مـنـ الـأـقـذـاءـ وـالـأـكـدارـ  
ماـهـذـهـ الـدـنـيـاـ بـدارـ قـرارـ

والآملاك أيضاً سجلن في رثاء إبنائهم شعراً مؤثراً حزيناً حاولن فيه التعبير عن عاطفتهن الجياشة التي

تقطر ألمًا وحرقة وحسرة على ابنائهم، ونذكر من ذلك ما قالته السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد في

رثاء ولدها الأمين بعد مقتله على يد قائد المأمون "طاهر بن الحسين"، فقد سجلت زبيدة مقطوعة شعرية

أرسلتها إلى المأمون، تقول فيها:

لما رأيت المنايا قد قصدن له  
اصبنا منه سواد القلب والراسا  
حتى سقاوه التي أودي بها الكاسا<sup>(2)</sup>  
والمموت كان به والهم قارنه

(1) ديوان أبو الحسن التهامي: شرح وتحقيق - د. علي نحيب عطوي، نشر مكتبة الهلال، بيروت، 1986: 461.

(2) شاعرات العرب:

أما الموقف من البنات فقد كان مضطرباً خصوصاً في العصر العباسي، بين محب لها مشير إلى منزلها، وبين كاره لها حريص على دفنه... وكل ذلك مرتبط بمستوى التفكير الاجتماعي للعائلة... وأن موقف الكره للبنات، موقف فيه آثار الجاهلية، رغم أن الإسلام قد ألغى هذه النظرية السيئة تجاه البنات بامتثال الإنسانية التي أكد عليها لخدمة البشر جميعاً، لكن جذور ذلك التخلف لم تذهب من النفوس تماماً، بل بقيت حتى العصر العباسي، فاشتدت بهم الحال في كرههم للبنات إلى درجة جعلتهم يعتبرون أن من نعم الله عليهم موتهن؛ وتقديم التهنئة في فقدهن بدل التعزية. وهذا (البحترى) يعزي (أبا نهشل محمد بن

حميد) عن ابنته، بقصيدة جاء فيها قوله:

طاف به من بناته أفاء  
والفتى من رأى القبور لما  
الله منها الأمواال والبناء  
لسن من زينة الحياة كعد  
ورثن الستاد الاقاصي البعداء  
قد ولدن الأعداء قدماً  
لم يئد كثرن قيس قيم  
عليه بـل حميـة وأباء<sup>(١)</sup>

بل أكثر من ذلك فإن بعض الناس كانوا ينظرون إلى آباء البنات بعين الشفقة والرحمة، لأنهم يعتبرون

((موت البنات من المكرمات))<sup>(٢)</sup>.

وبالمقابل كانت هناك نظرة إنسانية إلى البنات حفت الكثير من التزمت تجاههن والكره لهن، فهناك أقوال للعرب وأشعار كثيرة توثق تلك المواقف من البنات كما يوجد في المقابل أشعار أخرى توثق لنا محبة البنات، فمن ذلك ما قاله "محمد بن جعفر":

(1) ديوان البحترى: تحقيق وشرح - حسن كامل الصيرفي، طبع دار المعارف، مصر، ط. 2، 1972: 1/39.

(2) العقد الفريد: 3/282.

"البنات حسنتات والبنون نعم، والحسنات مثاب عليها والنعم مسؤولة عنها"<sup>(1)</sup> وقول "الصاحب" ينهى

عن إنكار البنات:

أيَاكَ أَنْ تُنْكِرَ الْإِنْاثَ فَكَمْ  
انْثَى غَدَتْ فِي فَخَارِهَا ذَكْرًا<sup>(2)</sup>

وهناك مواقف أخرى تكشف عن التعاطف الرقيق بين الأب وأبنته، والبر بها والحنو عليها، من ذلك قول

(اسحق بن خلف - ت 230 هـ) في ابنته:

لَوْلَا أَمِيمَةً لَمْ أَجْزَعْ مِنَ الْعَدْمِ  
وَمَأْجُوبَ فِي الْلَّيَالِي حَنْدَسُ الظَّلْمِ  
وَزَادَنِي رَغْبَةً فِي الْعَيْشِ مَعْرِفَتِي  
ذَلِيلَيْتِي يَجْفُوهَا ذُوو الْرَّحْمِ  
تَهْوِي لِقَائِي وَاهْوَى مَوْتَهَا شَفَقًاً  
وَالْمَوْتُ أَكْرَمُ نَزَالَ عَلَى الْحَرَمِ  
فَاضَتْ لِعْبَرَةُ بَنْتِي عَبْرَتِي بِسَدِمِ  
إِذَا تَذَكَّرْتَ بَنْتِي حَينَ تَنْدَبِني

وأقوى الشواهد أثاره، موقف الشاعر الفارس المشهور (أبي فراس الحمداني) يوم جرح في الحرب<sup>(3)</sup>، وأدى

به ذلك الجرح إلى موته فقال وهو على فراش الموت مخاطبًا ابنته:

أَبْنِيَتِي لَا تَحْزِنِي  
كَلِ الْأَنْسَامَ إِلَى ذَهَابِ  
أَبْنِيَتِي صَرِيرًا جَمِي  
لَا لِلْجَلِيلِ لِمَنْ الْمَصَابِ  
نَوْحِي عَلَيَّ بِحَسَرَةٍ  
مِنْ خَلْفِ سَتْكِ وَالْحِجَابِ  
وَلِي إِذَا نَادَيْتِي  
وَعَيَّتْتَ عَنْ رَدِ الْجَوابِ  
زِينَ الْشَّبَابِ أَبْوَافِرَ

(1) محاضرات الأدباء: 326/1

(2) المصدر نفسه.

(3) فرات الوفيات - محمد بن شاكر الكتبى، تحقيق د. إحسان عباس - بيروت، 1973: 164/1، وينظر - شعراء بغداد من تأسيسها حتى اليوم: 2/114.

(4) ديوان أبي فراس الحمداني - روایة ابن خالویه، طبع دار صادر، بيروت، د. ت: 55.

وبما أن البنت ثمرة من ثمار العائلة، فإن فقدانها يؤدي إلى حزن عميق، تخفف من غلوائه الملواسة والتعزية. كقول (ابن الرومي) في تعزية (علي بن عبد الله بن المسيب) عن ابنته، يخفف من وطأة الألم على ذويها يقول:

<p>ووشك التعزي عن ٰمارك اجدر آبائنا والنساء لا يتعذر غدت وهي عند الله تحبس وتحبر<sup>(١)</sup> ومن أرق رثاء البنات وأصدقه لوعةً في العصر العباسي، رثاء الشاعر (الصنوبري - ت 334هـ) لابنته الوحيدة (ليلي) فمما قاله في رثائها قصيدة تفيض بالحزن واللوعة تبلغ ثلاثة بيتاً، نختار منها قوله:</p>	<p>تعزيت عمن امترتكم حياته تعذر ان نتعاض من أمهاتنا فلا تهلكن حزناً على ابنة جنة أقر صر فـ ما تمـ لـ اـ إـ قـ صـاري أضرـ يـ ثـ كـ لـ يـ لـ يـ وـ فيـ أجيـ لـ فيـ قـ بـ رـ عـ يـ يـ فيـ اشـ تـ اـ قـ رـ ؤـ يـ اـ كـ فـ آـ تـ يـ فـ لـ يـ اـ رـ يـ ةـ الـ قـ بـ الرـ ضـ يـ الـ ذـ يـ قـ وـ مـ يـ إـ دـ اـ رـ كـ قـ دـ اـ نـ كـ رـ تـ استـ وـ حـ شـ دـ اـ رـ كـ مـ نـ أـ هـ لـ هـ اـ كـ نـ تـ لـ قـ رـ يـ رـ العـ يـ إـ ذـ كـ نـ تـ يـ وكـ انـ شـ عـ رـ يـ يـ تـ غـ نـ سـ بـ يـ</p>
---	--

(1) ديوان ابن الرومي، مطبعة دار الكتب، مصر، 1976: 3/952.

(2) ديوان الصنوبري: احمد بن محمد بن الحسن الضبي (ت 334هـ)، تحقيق د. إحسان عباس، نشر دار الثقافة، بيروت، 1970: .99

والذي لفت نظري وأنا أتصفح ديوان الصنوبri، أبني وجدته قد رثى ابنته (ليلي) باشتباه عشرة بين قصيدة ومقطوعة، كلها على هذا النسق من الشعر الذي ينبض باللوعة والحزن. علمًاً بأن ديوانه المطبوع الذي حققه الدكتور (إحسان عباس) لم يشتمل على كل شعره حيث ضاع ولم يبق منه غلا ما قاله الشاعر من حرف الراء حتى حرف القاف.

ومم أجده في حدود تبعي وبختي عن المصادر والمراجع، شاعرًا عباسيًا رثى ابنته بهذا العدد من القصائد والمقطوعات.

ومن أشهر الشعراء الذين رثوا أبنائهم بشع حزين تداولته الألسن على مر العصور هو الشاعر (أبو الحسن التهامي) صاحب قصيدة:

حَكْمُ الْمُنِيَّةِ فِي الْبَرِّيَّةِ جَارٌ مَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِسَدَارٍ قَرَارٌ  
الذِّي سَبَقَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهِ، فَأَنَّهُ رَثَى أَبْنَهُ (أَبَا الْفَضْلِ) بِأَرْبَعِ قَصَائِدِ فَقْطٍ.

ولا شك بأن رثاء (الصنوبri) لابنته الوحيدة (ليلي) من أجود المراثي وأغزرها.

\* \* \*

كذلك نجد صورة (الأم) في أدب العصر العباسي مختلفة السمات والملامح أيضًا، تبعًا لاختلاف الظروف وتبالين النظرة إليها وتبعاد مواقف القائلين فيها. وبدت صورتها مختلفة في أغراض الشعر جميعها كالمدح والهجاء والرثاء. فمما جاء في مدح الأمهات قول الشاعر (أبي الغول) مدح الخليفة الأمين، ويبين في مدحه له

اعتزازه بالانتمام إلى أمه الهاشمية السيدة (زبيدة):

مَلَكُ أَبْوَهُ وَأَمْمَهُ مِنْ نَبْعَةٍ  
مِنْهَا سَرَاجُ الْأَمْمَةِ الْوَهَاجُ  
شَرِبَتْ بِمَكَّةَ مِنْ ذَرَى بَطْحَاهَا  
مَاءَ النَّبِيَّةِ لِيَسْ فِيهِ مَزَاجٌ<sup>(١)</sup>

(1) مروج الذهب - للمسعودي: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط 4، 1964، القاهرة: 3/405.

وتبقى الأم محط فخر الأبناء سواء كانت عربية صميمة أم أجنبية، ومن الطريف أن نذكر فخر الشاعر

بشار بن برد في بعض شعره بأمه الرومية حيث يقول

فهذا (ابن الرومي) يهجو (علي بن سليمان الأخفش) بأمه يقول:

ما واحد جاء من ناقد اخشن	وأمه سيد جاءت به قردة <sup>(2)</sup>
سويدة غاوية المفترش <sup>(2)</sup>	وقال ابن عبد الحميد اللاحقي في أبي نؤاس ثلاث أبيات يهجوه بأمه:
وأم جلبان	أب و نؤاس بين هاني
إلى حروف المعاني	والناس افطن شيء
ما عاش فأقطع لسانى <sup>(3)</sup>	إن زدت بيتاً على ذي

(1) ديوان بشار بن برد: جمع وتحقيق - محمد طاهر بن عاشور، نشر لشركة التونسية، 1967: 389/1. وينظر - تاريخ الشعر في العصر العباسي: د. يوسف خليف، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981: 40.

دیوان ابن الورم : 1247/3 (2)

(3) طبقات الشعر - لайн المعتن: تحقيق - عبد الستار احمد فراج، طبع دار المعارف مصر، 1956: 242.

وتجلو (الأم) بقلبها الحنون كل الهموم وتحمو بيدها الطاهرة كل خطوط الأسى، ف تكون عزاءً وسلواناً في

كل مصيبة، فيجري ذكره على السنة الشعراة في أشد حالات المحنّة والضيق... فهذا (أبو فراس الحمداني) يكتب

إلى والدته من الأسر وقد ثقلت جراحه، بيتها أشجانه ويصبرها على مصابها به، فيقول:

ولعل أصدق تعبير عن تلك الأغراض هو "الرثاء" لأنه لا يصدر إلا عن قلب مفجوع ونفس موجعة

تتدفق منها الأحزان واللوعة. ولا أحسبنا نغالي إذا قلنا أن رثاء (الشريف الرضي) لأمه السيدة (فاطمة بنت الناصر - ت 385هـ) من أروع وأوجع وأبدع ذلك الرثاء الذي ينبع بأصدق المشاعر والأحساس، ومما جاء في

تلك الرائعة الحزينة قوله:

(1) دیوان آبو فراس: روایه این خالویه، طبع دار صادر، د. ت: 232.

مما لم فكنت انت فدائي  
 صعب، فكيف تفرق القراء  
 غني البنون به ساعن الاباء  
 أو كان يـ معك التراب نـدائي  
 وعلمت حـسن رعايتي ووفـائي<sup>(١)</sup>  
 قد كنت امل أن أكون لك الفدا  
 وتفـرق البعـداء بعد مـودة  
 لـو كان مـثالك كل أم بـرة  
 لـو كان يـبلغك الصـفيح رسـائلي  
 لـسمعت طـول تـأوهـي وتفـجـعي  
 و(المتنبي) يرثي جدته لأمه ماتت وهو طفل رضيع، فقامت جدته لأمه بتربيتها فكان يعتبرها أمه  
 الحقيقية. وورد عليه كتاب من جدته، تشكو شوقها إليه وطول غيبتها عنها، فكتب إليها كتاباً يسألها المسير إليه،  
 فقبلت كتابه وحمت لوقتها سروراً به وغلب الفرع على قلبها فقتلها، فقل يرثيها:

فـما بـطـشـها جـهـلاً لا كـفـها حـلـما  
 قـتـيلـة شـوقـغـير مـلـحقـها وـصـما  
 وأـهـوى مـلـواـهـا التـراب وـمـا ضـما  
 وـذـاقـكـلـانـاـثـكـلـ صـاحـبـهـ قـدـما  
 فـما تـسـرـورـاـيـ فـمـتـ بـهـاغـما  
 تـرـىـ بـحـرـوـفـ السـطـرـ أـغـرـبـةـ عـصـما  
 أـشـدـ منـ السـقـمـ الـذـيـ أـذـهـبـ السـقـما  
 لـكـانـ أـبـاكـ الضـخـمـ كـونـكـ لـيـ أـمـا<sup>(٢)</sup>  
 أـلـاـ أـرـيـ الأـحـدـاثـ مـدـحـاـ وـلـاـ ذـمـا  
 لـكـ اللـهـ مـنـ مـفـجـوعـةـ بـحـبـيهـا  
 أـحـنـ إـلـىـ الـكـأسـ التـيـ شـرـبـتـ بـهـا  
 بـكـيـتـ عـلـيـهـ أـخـيـفـةـ فـيـ حـيـاتـهـا  
 أـتـاهـاـ كـتـابـيـ بـعـدـ يـأـسـ وـتـرـحـةـ  
 تـعـجـبـ مـنـ لـفـظـيـ وـخـطـيـ كـأـنـماـ  
 وـلـمـ يـسـلـهـ إـلـاـ الـمـنـايـاـ وـأـنـماـ  
 وـلـوـ لـمـ تـكـوـنـيـ بـنـتـ اـكـرمـ وـالـدـ

(1) ديوان: الشـريفـ الرـضـيـ (تـ404ـهـ): إـصـارـاـتـ مؤـسـسـةـ الـاعـلـمـيـ لـلـمـطـبـوعـاتـ فيـ بـيـرـوـتـ، نـسـخـةـ مـصـوـرـةـ عـلـىـ الطـبـعـةـ الـأـصـلـيـةـ الـأـوـلـىـ،

.دـ.تـ: 18/1

(2) شـرحـ دـيـوـانـ المـتـنـبـيـ - لـلـبـرـقـقـيـ، طـ2ـ، 1938ـ، (مـصـوـرـةـ) عـنـ طـبـعـةـ بـيـرـوـتـ، دـارـ الـكتـابـ الـعـرـبـيـ، 1986ـ؛ 226/4ـ.

وشاعر عباسي ثالث هو (الصنوبري - ت334هـ) رثى أمه بقصيدة تفيض حزناً وتفجر لوعة نشير منها

إلى قوله:

قد صوحت روضتي المونقة  
لا يبعدن مثواك يَا أَمَّ مَا  
لله أُمْ مَا يَنْ حِزْنَهَا  
من تحمامي أَنْ ترى ظلمَةٌ  
ومن تضيق الأرض في عينهَا  
مدخل إلى العصر الحديث

ألزمت نفسي في دراستي أثناء التمهيد الذي بدأت به هذه الدراسة، بتجسيد عواطف الأمومة والبنوة في الشعر العربي خلال العصور المختلفة، وسرت فيها على منهج يبرز دور الأمهات والأبناء في مختلف الأغراض الشعرية المتداولة في تلك العصور كالرثاء والمدح والفخر والهجاء، وعرضنا في ثانياً الدراسة النماذج والشواهد التي يتطلبها سياق البحث، من ذك النتاج الشعري الرائع الذي يعبر عن العواطف والمشاعر في شتى مواقفها ومختلف انفعالاتها.

والآن يحق لنا أن نتساءل، هل بقيت تلك الأغراض الشعرية في تلك العصور السابقة على ما هي عليه في العصر الحديث الذي هو محور بحثنا ودراستنا ! سيتولى بحثنا نفسه الإجابة عن ذلك بالتفصيل في فصول هذه الدراسة.

ولكننا في هذا المدخل نرى لزاماً علينا أن نقدم خطوطاً عامة تؤهل هذا المدخل لأن يرسم ملامح خاطفة عن ذلك.

---

(1) ديوان الصنوبري: 442.

عواطف الأئمة ومشاعر البنوة تجاهها، هي هي لا تختلف باختلاف العصور والأمكنة لأنها مشاعر إنسانية ذاتية غريزية، ولكن الذي يختلف بين عصر وعصر ومكان هو الأفكار والأساليب التي يعبر بها عن تلك المشاعر، فلكل زمان أفكاره المستحدثة ومعانيه الجديدة المستوحاة من مستوى تقدمه الفكري والثقافي والاجتماعي، بالإضافة إلى ما تفرضه تقاليد كل عصر وعاداته.

وبطبيعة الحال فإن الأساليب تكون بما يتناسب مع ذلك المستوى الاجتماعي والفكري والثقافي، فمعاني العصر الحديث - إذن - مستوحاة من صميم عاداته وتقاليده الجديدة والتي يؤثر فيها تأثيراً بالغاً التقدم الفكري والحضاري الهائل الذي يسود روح هذا العصر.

أما أساليب العصر الحديث، فقد اختلفت هي الأخرى عن الأساليب القديمة حيث امتازت في هذا العصر بالبساطة والعفوية التي لا تخرج بها عن التعبير الفصيح وربما البلاغ أيضاً، ولكنه يبتعد به عن التعقيد والجفاف والجمود، فيعمل الأسلوب الحديث على تعميق التأثير العاطفي في النفوس والاستحواذ على المشاعر.

وللأفكار الجديدة التي تعبّر عنها أساليب العصر الحديث مجالاتها الجديدة والحديثة أيضاً، فالফخر مثلاً أختلفت بواعته ودعاعيه، والهجاء انحسر - في الغالب - انحساراً كبيراً، ولم يديع أصبحت تفرضه قيم جديدة، والرثاء باعتباره عاطفة إنسانية بقي هو هو، ولكن معانيه اختلفت وأفكاره أخذت أبعاداً جديدة، ربما تكون - كما سترتها في ثانياً البحث - في تأثيرها العاطفي أبعد مدى وأوسع نطاقاً وأعمق صدى في النفوس والقلوب.

هذا بالنسبة للأغراض القديمة؛ وبطبيعة الحال فإن تلك الأغراض القديمة لم تبق وحدتها في ميادين شعر الأئمة والبنوة في العصر الحديث، بل استجدها أغراض أخرى فرضتها طبيعة العصر ومستويات تفكيره فتشعب شعر الأئمة والبنوة بروح الوطنية والتطورات الاجتماعية والاتجاهات السياسية، فأخذ طابعاً يختلف كل الاختلاف عن مثيله من أشعار العصور السابقة في أفكاره وأساليبه.

كما سيتجلى ذلك لنا واضحأً كل الوضوح في ثانياً فصول هذه الدراسة...

## الفصل الأول

العلاقات الأسرية والتربيوية في شعر الأمومة والبنوة



## الفصل الأول

### العلاقات الأسرية والتربوية في شعر الأمومة والبنوة

مكانة الأم في البيت وأثرها في العلاقات الأسرية:

خلقت المرأة لتأدية دور إنساني عظيم تؤدي من خلاله واجبات كثيرة وكبيرة، تكون من خلالها منبعاً فيياضاً للتربيـة القوية والأخلاق السديدة والسجـايا العالية والثقـافة الرصـينة ومثـالاً حـيـاً لـصـفاتـ الـكمـالـ التي نـنـشـدـهاـ فيـ تـرـيـةـ الـأـبـنـاءـ.

ما من أحد ينكر المكان البارز الذي تحتله الأم في الأسرة والبيت<sup>(1)</sup>، فهي المحور الأساس الذي تلتف حوله كل أطراف الأسرة.

ونخص الأم - لا الأب - بهذه الرسالة، لأن هناك فوارق أزلية أبدية بينها وبين الرجل (اقتضتها الحكمة الكونية العميقـةـ التيـ تعـنيـ دائـماًـ بـالـتمـيزـ الدـقيقـ،ـ عـنـيـةـ تـتـطـلـبـهاـ عـمـارـةـ هـذـهـ العـوـامـ القـائـمـةـ عـلـىـ تقـسـيمـ الـأـعـمـالـ) <sup>(2)</sup>.

فالأم أساس الأسرة وعمادها، للخصائص الطبيعية التي تميـزـ بهاـ دونـ الرـجـلـ،ـ وـمـهـماـ أـرـيدـ لهاـ أـنـ تـخـرـجـ عـمـاـ خـلـقـهـ اللـهـ سـبـحـانـهـ وـهـيـئـهـ لـهـ مـنـ إـدـارـةـ الـأـسـرـةـ وـتـدـبـيرـ شـؤـونـ الـمـنـزـلـ وـتـرـبـيـةـ الـأـطـفـالـ وـبـرـ الزـوـجـ،ـ فـإـنـ ذـلـكـ خـرـقـ لـلـقـانـونـ الـطـبـيعـيـ الـذـيـ خـلـقـ لـهـ وـالـفـطـرـةـ الـتـيـ فـطـرـهـ اللـهـ عـلـيـهـ.

(1) الأسرة - هي الأساس الأول في القبيلة عند أكثر الأمم القديمة وبعد الأب رئيسها، تساعده زوجته، ويحيط به أولاده الذين يمثلون عوامل ربط في قوة الأسرة واستمرارها، على أن عضوي الأسرة اللذين يعدان الأساس الأول لما هما (الأب والأم) يرتبط كل منهما بأواصر أسرية سابقة تأخذ نمطاً جديداً في التنظيم الأسري بعد المعاشرة، يطلق عليه العمومة والخـوـلـةـ الذي يـمـثلـ الأنـصالـ الجـذـريـ بالـانتـمامـ إلىـ رـكـنـيـ الـأـسـرـةـ.ـ يـنـظرـ -ـ الـعـمـلـاتـ الـأـسـرـيـةـ فـيـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ قـبـلـ الإـسـلـامـ:ـ حـمـيدـ أـدـمـ ثـوـينـيـ،ـ جـامـعـةـ بـغـدـادـ،ـ كـلـيـةـ الـآـدـابـ،ـ قـسـمـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ،ـ 1981:ـ 10ـ.

(2) الأسرة والمرأة - سعيد الألغاني: 110.

كما أن الرجل هيأه الله بموجب خلقته وصفاته وطبياعه الغريزية إلى أن يؤدي أعمالاً جساماً أخرى هي بطبيعة الحال غير الأعمال الممنوعة بالمرأة.

فالحياة المثلالية إذن لا يمكن أن تقوم لها قائمة صحيحة وسليمة إلا بالمرأة والرجل معاً، لأن كلاً منها متمم للآخر وبطبيعة الحال تبقى الحياة نافعة ومعطلة بعمل طرف واحد من طرفها الأساسيين، كما عبر عن ذلك الشاعر (الزهاوي) بقوله:-

وكـل جـنس لـه نقـص بـفيـدـه      أـمـا الـحـيـاـة فـبـالـجـنـسـيـن تـكـتـمـل<sup>(١)</sup>  
ولـكـنـ الشـيـءـ الـذـيـ يـجـبـ عـلـيـنـاـ أـنـ لـاـ نـنـسـاهـ وـلـاـ نـتـغـافـلـ عـنـهـ أـبـدـاـ هـوـ إـنـ قـيـامـ أـيـ مـنـ الـطـرـفـيـنـ -ـ الرـجـالـ  
وـالـنـسـاءـ -ـ بـمـ تـؤـهـلـهـ لـهـ طـبـائـعـهـ وـغـرـائـزـهـ يـؤـدـيـ بـلـاـ شـكـ إـلـىـ تـدـمـيرـ الـأـسـرـةـ،ـ ثـمـ بـالـتـالـيـ الـمـجـتـمـعـ الـإـنـسـانـيـ كـلـهـ،ـ الـذـيـ  
تـكـوـنـ الـأـسـرـةـ بـذـرـتـهـ الـأـوـلـىـ.

(لذلك فليس غريباً أن نجد شاعراً من رواد النهضة الأدبية في العراق هو الشيخ " محمد رضا الشبيبي " يرى أن الطبيعة البشرية هي التي تحكمت في الواجبات والمسؤوليات الملقاة على عاتق كل من المرأة والرجل. إذ لا يمكن للحياة أن تكون بشكلها الأمثل إلا إذا قام كل من النساء بما هيأتهم له طبيعتها البشرية)<sup>(٢)</sup>.  
فيقول (الشيخ الشبيبي) في هذا الشأن من قصيدة " سراب الآمال ":

وأرباب الحجج لهم حق وقو  
بنسبتهم كربيلات الحجال  
بتدبير المنازل هن أولى  
وهن أولى بتدبير النزال  
ولو كلفن جلب الرزق كانت  
وظيفة تهن طوع الاختلال

(1) ديوان الزهاوي - (ط1972)، دار العودة، بيروت، بقلم عبد الرزاق الهلالي: 492، من قصيدة "الرجل والمرأة".

(2) المعارك الأدبية حول الدعوة إلى تحرير المرأة في الشعر العراقي الحديث (كتاب مخطوط) ألقى ملخصه في مؤسسة عبد الحميد شومان، المملكة الأردنية الهاشمية، في 31/8/1996م، بقلم: د. محمد جواد الغبان: ص.9.

ومن للنسل تربيةً وحفظاً

فيما بنت الكمال نعمت بالآ

صنيعك لليمين تهـوم فيهـ

وهذا شاعر آخر من جيل الشيببي ومن رواد الشعر الحديث هو الشيخ (علي الشرقي) يعتبر صدر المرأة

الحنون هو بيت الحياة وحياة البيت، فيقول في نفس المعنى الذي نحن بصدده<sup>(2)</sup>، من قصيدة عنوانها "الشرقية

أو عذراء الشرق":

فيما صدر الفتـاة ولـست إلا حـيـاةـ الـبـيـتـ أوـ بـيـتـ الـحـيـاةـ

حنـانـكـ هـلـ عـطـفـتـ عـلـىـ صـبـيـ

بكـيـتـ عـلـىـ الـبـنـاتـ دـمـاـ بـعـيـنـ

وهذا شاعر آخر من شعراء النهضة الحديثة هو الشاعر (المعروف الرصافي) يعبر عن المعنى نفسه في

قصيدة " التربية والأمهات " بقوله:

فيما صدر الفتـاة رحبـتـ صـدـراـ

نـراكـ إـذـاـ ضـمـمـتـ الطـفـلـ لـوـحـاـ

لـوـ اـسـتـنـدـ الـوـلـيدـ عـلـيـكـ لـاحـتـ

لـأـخـلـاقـ الـوـلـيدـ بـكـ إـنـعـكـاسـ

وـمـاـ ضـرـ بـأـنـ قـلـبـكـ غـيـرـ درـسـ

فـأـوـلـ درـسـ تـهـذـبـ السـجـاياـ

(1) ديوان الشيببي، طبع القاهرة، 1940: ص.100.

(2) المعارك الأدبية حول الدعوة إلى تحرير المرأة في الشعر العراقي الحديث: ص.10.

(3) ديوان الشرقي، طبع وزارة الإعلام، 1979: ص.42.

فـي نـظـن بـالـأـبـنـاء خـيرـا  
 وـهـل يـرجـى لـأـطـفـالـ كـمـالـ  
 فـمـا لـأـمـهـات جـهـاـنـ حـتـىـ  
 حـنـون عـلـى الرـضـيـع بـغـيـر عـلـمـ  
 وفي مطلع هذه القصيدة " التربية والأمهات " نفسها يؤكد شاعرنا (الرصافي) على أهمية الأخلاق ودورها الكبير والعظيم في تربية الأمهات لأنوثهن وانعكاس ذلك الدور على سلوكهم وتوجيهاتهم في حياتهم الخاصة والعامة. بقوله:

هـيـ الـأـخـلـاقـ تـبـتـ كـالـبـنـاتـ  
 تـقـةـ وـمـ إـذـ تـعـهـ دـهـاـ الـمـرـبـيـ  
 وـتـسـمـوـ لـمـكـارـمـ بـاتـسـاقـ  
 وـتـنـعـشـ مـنـ صـمـيمـ الـمـجـدـ روـحـاـ  
 إنـ الشـرـيـعـةـ الـإـسـلـامـيـةـ السـمـحـاءـ تـسـلـطـ الضـوءـ عـلـىـ دـقـائـقـ كـلـ الـأـمـورـ -ـ صـغـيرـهاـ وـكـبـيرـهاـ -ـ فـالـإـسـلـامـ وـضـعـ  
 الـأـسـاسـ الـأـوـلـ الـذـيـ يـقـومـ عـلـيـهـ بـنـاءـ الـأـسـرـةـ وـجـمـعـ شـمـلـهـاـ عـلـىـ الـمـودـةـ وـالـرـحـمـةـ وـالـتـعـاطـفـ وـالـتـآـلـفـ،ـ وـقـدـ تـجـسـدـ  
 ذـلـكـ بـقـولـهـ تـعـالـىـ:ـ "ـ وـمـنـ آـيـاتـهـ أـنـ خـلـقـ لـكـمـ مـنـ أـنـفـسـكـمـ أـزـوـاجـاـ لـتـسـكـنـواـ إـلـيـهاـ وـجـعـلـ بـيـنـكـمـ مـوـدـةـ وـرـحـمـةـ،ـ إـنـ فـيـ  
 ذـلـكـ لـآـيـاتـ لـقـوـمـ يـتـفـكـرـونـ<sup>(1)</sup>ـ،ـ ذـلـكـ كـيـ تـسـتـمـرـ الـحـيـاةـ عـلـىـ النـهـجـ الـذـيـ يـرـضـاهـ اللـهـ تـعـالـىـ،ـ لـأـنـ حـنـانـ الـأـبـوـينـ تـجـاهـ  
 أـبـنـاهـمـاـ هـوـ سـرـ هـذـاـ التـرـابـطـ وـالـتـمـاسـكـ الـعـظـيمـ بـيـنـ أـفـرـادـ الـأـسـرـةـ،ـ وـأـنـ ذـلـكـ مـنـ حـكـمـ اللـهـ تـعـالـىـ لـتـبـقـيـ الـعـائـلـةـ  
 مـتـمـاسـكـةـ وـمـتـرـابـطـةـ بـأـفـرـادـهـاـ.

(1) ديوان الرصافي: 350/2

(2) سورة الروم: 21

وتزداد الأسرة تماسكاً وترابطاً إذا كانت أواصر الحب والود بين أفرادها بأشد حالات التماسك والترابط.

لاسيما إذا كان جوها مفعماً بحنان الألم، وقد عبر عن ذلك خير تعبير الشاعر (محمد مهدي البصیر) حين تصور روعة ذلك الحنان ومدى انتعاش جو الأسرة فيه بحيث تبين له جراءه فوق ما يتصوره ذهن المتتصور في الأبيات

التالية:

مضي الليل إلا أن أمك عاصم  
بحبك لم يطعم لها النوم محجر

تلبيك إذ تدعوه وترعاك نائماً  
ونقلق مما قد عراك وتسهر

ألا ليت شعري كيف تجزي حنانها  
فذلك شيء فوق ما تتصور<sup>(١)</sup>

ومما يؤسف له أن أواصر ذلك الحب تتفاوت بين أسرة وأخرى، ويرتفع شأن الأسرة وتعلو مكانتها في

المجتمع إذا كان الحب والتعاطف بين أفرادها مثالياً ونموذجاً. وينحط شأن الأسرة وتهبط مكانتها إذا انحط مستوى ذلك الحب وهبطت أواصر الود بين أفرادها.

ومما يؤسف له أيضاً أن الحياة العصرية الجديدة بتعقيباتها ومشاكلها المتعددة الجوانب فككت من ذلك الترابط الأسري الذي كان يشد بين أفرادها.

وهذا التفكك الأسري بلا شك يؤدي مع الأسف البالغ إلى انحطاط الأسرة وقزقها. وبالتالي.. ويالهول هذا التالي.. فإن ذلك يؤدي إلى انحطاط وتفكك المجتمع بأسره.

ومن أهم أسباب ذلك التفكك والانحطاط، هو عدم بناء الجسور المتينة المبنية على الود العميق والاحترام المتبادل والتفاهم المشترك بين الزوج والزوجة، اللذين هما عماد الأسرة وركناها الأساسيان. ومن أهم وأخطر نتائج تلك الأسباب انعكاسها المباشر على الأبناء في تربيتهم الخاصة وسلوكهم العام.

(١) ديوان زيد الأمواج: محمد مهدي البصیر، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977: 153، قصيدة عنوانها "حنان الأمومة" يخاطب بها أحد أنجاله (عاصم) أثناء أصابته بالحصبة.

وعلى العكس من ذلك، فإنه لو امتدت تلك الجسورة المتباعدة من الود والاحترام والتفاهم بين الزوجين فإن

آثارها الإيجابية تمتد إلى أبنائهم وتعكس على سلوكهم الذي سيكون نموذجياً رائعاً.

ويتجلى لنا واضحًا جلياً ذلك الانسجام والتفاهم الذي أشرنا إليه بين الزوجين في المشاعر الصادقة التي

تدفقت بها قريحة الشاعر (محمد مهدي الجواد) عندما فجع بفقد زوجته، فعبر في تلك القصيدة عن آخر

العواطف وأصدق المشاعر وأعمق الأواصر التي كانت تشد بين قلبيهما وروحيهما.

ونترك القارئ الكريم الآن مع مقاطع من تلك القصيدة الطافحة بالحزن والألم، والمعبرة عما كان يربط

بينهما من ود عميق، فيقول فيها:

عنـه فـكـيـفـ بـمـنـ أـحـبـابـهـ فـقـدـواـ  
بـمـثـلـ ماـ أـنـجـبـتـ تـكـنـىـ بـمـاـ تـلـدـ  
بـدـأـ وـأـنـ قـامـ سـدـاـ بـيـنـنـاـ اللـهـ  
بـيـنـ الـمـحـبـينـ مـاـذـاـ يـنـفـعـ الـجـسـدـ  
رـجـعـتـ مـنـهـ لـحـرـ الـدـمـعـ اـبـتـرـدـ  
وـنـحـتـ حـتـىـ حـكـانـيـ طـائـرـ غـرـدـ  
لـاـ بـدـ فـيـ الـعـيشـ أـوـ فـيـ الـمـوـتـ نـتـحدـ  
وـأـمـرـ ثـانـيـهـمـاـ مـنـ أـمـرـهـ صـدـدـ  
مـنـ حـالـ ضـيـفـ عـلـيـهـ مـعـجـلـاـ يـفـدـ  
بـعـدـ شـرـعـكـ إـذـ آـسـيـ وـافتـتـدـ  
صـدـرـ هـوـ الـدـهـرـ مـاـ وـفـيـ وـمـاـ يـعـدـ  
قـدـ يـقـتـلـ الـحـزـنـ مـنـ أـحـبـابـهـ بـعـدـواـ  
حـيـيـتـ أـمـ فـرـاتـ أـنـ وـالـدـةـ  
تـحـيـةـ لـمـ أـجـدـ مـنـ بـثـ لـاعـجـهـاـ  
بـالـرـوـحـ رـدـيـ عـلـيـهـاـ أـنـهـاـ صـلـةـ  
عـزـتـ دـمـوـعـيـ لـوـمـ تـبـعـثـيـ شـجـنـاـ  
بـكـيـتـ حـتـىـ بـكـيـ مـنـ لـيـسـ يـعـرـفـنـيـ  
مـُـدـيـ إـلـيـ يـدـاـ تـمـدـدـ الـيـكـ يـدـ  
كـنـاكـشـقـينـ وـافـاـ وـاحـدـاـ قـدـرـ  
نـاجـيـتـ قـبـرـكـ اـسـتـوـحـيـ غـيـاـبـهـ  
وـلـفـنـيـ شـبـحـ مـاـكـانـ أـشـبـهـهـ  
أـيـامـ أـنـ ضـاقـ صـدـرـيـ اـسـتـرـيـحـ إـلـيـ

كذا كتبه رihan تخطمها  
 صر فأوراقه منزوعة بدد  
 غطى جناحاك أطفالي فكنت لهم  
 ثغرا إذا استيقظوا عينًا إذا رقدوا  
 شتى حقوق لها ضاق الوفاء بها  
 فهل يكون وفاء أنتي كمد  
 لم يبق في قلبه أغلى ولا ذنس  
 له محلاً ولا خبث ولا حسد  
 تلك التي رقصت للعين بهجتها  
 أيام كنا وكانت عيشة رغد  
 والله لم يحل لي مغدبي ومنقل  
 لما نعيت ولا شخص ولا بلد<sup>(١)</sup>

وليس (الجواهري) وحده بطبيعة الحال ممن قد فجع بفقد زوجته وأثرت تلك الفجيعة بالخ الأثر في نفسه، فهناك شعراء آخرون فجعوا الفجيعة نفسها فتدفقت قرائتهم الشعرية تعبّر عن مدى ذلك في أنفسهم، ومن أولئك الشعراء الشاعر (محمد الهاشمي) الذي قال في رثاء زوجته:

ما لا تحب من عين رأتك على لا ينضب الدمع من عين رأتك على  
 حملت عنك الذي تلقين من ألم حتى قضيت وفي نفسي وددت بأن  
 تركت في الدار آثاراً من الكرم ياربة الدار لا بخل ولا سرف  
 لأنت أصدق ميثاق عن الذم<sup>(٢)</sup> ذكرى وفاتك في أعماق ذاكرتي

\* \* \*

أما علاقة الأم بابنها الذي يعتبر قطعة من نفسها فإن علاقتها به علاقة غريزية وعاطفية وبالإضافة إلى ذلك كله، فإن الأمومة المثلثي تفرض على الأم مسؤوليات خطيرة وتتطلب منها واجبات جسيمة، لأن رسالتها المقدسة ليست إنجاب الأولاد فحسب، بل أن تلك الرسالة تلزمها أن تقوم بتربية أولئك الأولاد على أحسن الوجوه، وأن تغذيهم

(1) ديوان الجواهري (ط1973): 351/2

(2) ديوان - السيد محمد الهاشمي البغدادي، بغداد، 1977: ص128 من قصيدة " يا ربة الدار".

بالصفات الحميدة والمزايا النافعة ليكونوا نافعين لأنفسهم، ومن ثم نافعين للمجتمع الذي ينشئون

فہی

وعند ذلك تكون الأم أدت دورها الطبيعي على أحسن وجوه التأدية، كما عبر عن ذلك الشاعر (صالح الحعفرى) برباعية تشير إلى هذا المعنى السامي الذى تعنى به الأمومة المثالبة، قائلاً في قصيدة عنوانها "واحب الأم

11

فالآم إذن هي التي تربى الأبنية وتهذبهم وتغذيهم بالمبادئ السامية والمثل النبيلة، فهي التي تصنفهم وترسم طريقهم وتدفعهم إلى الأمام بخطى سديدة، وتجسد الشاعرة (فطينة النائب) كل هذه المعاني السامية، في قولها لأنبنتها (سعید) تؤجج فيه الروح الثورية، لأن آمالها منعقدة عليه، تقول:

فإن بأرض لعي قلباً حمولاً	سأرعى مهـدك الـسامي بـروحـي
ولـن أرضـي لـعينـي كـالـذبـولاـ	منـحتـكـ يـا سـعـيدـ رـقـادـ جـفـنـي
أـرـي عـدـد الرـجـالـ بـهـا قـلـيلـاـ	فـكـنـ رـجـلاـ وـكـافـحـ فـي بـلـادـ
وـحـاقـ لـلنـجـ وـمـ لـكـ يـ تـطـ وـلـاـ <sup>(2)</sup>	وـكـنـ كـالـدـهـرـ جـبـارـاـ عـظـ يـماـ

(1) ديوان: صالح الحعيري، جمع وتحقيق - علي جواد الطاهر وتأثير حسن حاسم، طبع وزارة الإعلام، 1985: 419.

(2) ديوان لهب الروح: فطنة النائب، مطبعة المعارف، بغداد، 1955: 9.

ويرتفع حب الأم لوليدتها ويسمو إلى القمة والذرى، فتتمنى أن يعم السلام والأمان من أجل الاطمئنان

على حياة ولدها هي وكل الأمهات، لأن الحروب لا تجلب سوى الدمار والشقاء، فنجد الشاعرة ( مليعة عباس

عمارة) تعشق السلام لأجل عيون ابنها (زيد) تقوله له:

لأجل عيونك، إذ تحلم

وتحرك يا زيد، إذ يرسم

فينساب بردًا على مهجتي

ولحناً وديعاً بأغنيتي

ونوراً يبدد عنى الظلام

لأجل عيونك أهوى السلام

\* \* \*

لتنعم أنت وسرب الصغار

بمستقبل مطمئن النهار

فلا غارة ترعب اللاعبيين

لأجلك زيداً أحب السلام<sup>(1)</sup>

ولا ظلة الكرم فيها ضرام

ولا صرخة من رفيق طعين

\* \* \*

---

(1) ديوان الزاوية الخالية مليعة عباس عمارة، بغداد، 1958 .63

أما الشاعر الشيخ (محمد بهجت الأثري) فقد عبر عن حب الآباء لأنبيائهم بطريقة جديدة وذلك عندما ولدت له مولودة وهو في السجن، في 17 مايس 1942، وقد سماها (زينب) تيمناً باسم أمه ووفاءً لها، لكن رغم مكابدته ظروف السجن القاسية فقد أثبت قريحته إلا أن تتفجر عن قصيدة عاطفية مؤثرة يعبر فيها عن فرحته بتلك المولودة الجديدة التي لم يرها بعينه يوم ولادتها، بل رآها بعين قلبه، فقال فيها:

لقد صور لنا الشعراء المحدثون مدى محبة الأم لوليدتها، تلك المحبة التي لا يعادلها شيء في الوجود،

وللهبها عليه ومدى تعلقها به، لأنه قطعة من روحها، ولذلك فهي تبذل في سبيل ابنها كل شيء ولا تنتظر منه

بالمقابل أي شيء... ترى أي تضحية هذه، تلك التضحية التي تؤديها الأمهات !

لقد جسد لنا الشاعر (خيري الهنداوي) ملامح صورة واقعية لأم أضناها ما يكابده ابنها من ألم في كبت

الحب الذي يعانيه، فيصور لنا شعور هذه الأم تجاه ابنها عند علمها بما كان يحدث له واستيعابها لما كان يكابده

من معاناة شديدة، ومدى محاولاتها اليائسة في التخفيف عنه، فكان من مخاوفها عليه أنه ربما كان مصاباً

بـ (العين) والحسد، ومن أجل ذلك أخذت ترقيه، فيقول:

رأت أمّه من دائمه ما أمضها	وأيأسها من برئته المتطبع
فظننت بـ (عينا) ولم تدر أنها	لإنسانها فيهـ السـدوـاءـ المـجـربـ
وجاءـتـ إـلـيـهـ بـ الـرـقـيـ وبـ الـحـصـىـ	ترقـيـةـ فـيـ هـذـاـ وـفـيـ ذـاكـ تـضـربـ
رأـتـ إـنـ مـاـ جـاءـتـ بـهـ غـيرـ نـافـعـ	فـشـابـ إـلـيـهـ رـأـيـهــاـ المـتـكـبـ
أـحـسـتـ بـأـنـ الـحـبـ يـرـشـقـ قـلـبـهـ	وـلـكـنـ خـفـيـ عـنـهـاـ الـمـراـشـ الـمـصـوبـ
فـظـلـتـ وـلـاـ بـحـثـ لـدـيـهاـ سـوـيـ الـهـوـيـ	تـطـيـلـ لـهـ فـيـهـ الـحـدـيـثـ وـتـسـهـبـ
يـهـشـ وـيـصـغـيـ حـينـ يـسـمـعـ قولـهـاـ	وـيـعـجـبـ لـهـ ذـاكـ الطـرـازـ الـذـهـبـ
إـلـىـ أـلـانـتـ بـعـدـ لـأـيـ حـصـانـةـ	فـأـعـرـبـ مـسـحـوـرـاـ وـمـاـ كـادـ يـعـربـ
فـأـبـدـتـ لـهـ كـلـ السـرـورـ وـسـهـلتـ	لـهـ كـلـ صـعـبـ دونـ مـاـ هـوـ يـطـلـبـ

(1) ديوان ملامح وأزهار: الشيخ محمد بهجت الأثري، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974: ص 384.

ولكنه قد أضمرت في فؤادهـا قنوطاً وخافت أن يحس فيعطـب<sup>(١)</sup>

أما طبيعة العلاقات ومتانتها بين باقي أفراد الأسرة - خصوصاً بين الأبناء وعلاقتهم مع بعضهم - فإن أساس ذلك مرده إلى الآبوين وإلى الأم بالذات، بل وإلى طبائع وغرائز الأولاد أنفسهم، فتلك الصلات الأسرية إن كانت قد بذرـت بالشكل الأمثل آتـت ثـمـراً جـنيـاً، يفـوح بـعـطـرـ المـحـبـةـ والـتـسـامـحـ، والـتـعـاطـفـ والـتـالـافـ، وـعـلـىـ العـكـسـ مـنـ ذـلـكـ، فـإـنـ تـلـكـ الـعـلـاقـاتـ إـذـاـ بـنـيـتـ عـلـىـ أـسـاسـ خـاطـئـ فـإـنـ نـتـائـجـهـاـ بـطـبـيـعـةـ الـحـالـ تـكـوـنـ خـاطـئـةـ وـغـيرـ صالحـةـ.

ونحن لا نكتفي بتضامن الأبناء وهم في كنف آباءـهمـ وأمهـاتـهمـ فـحـسـبـ، بل نـطـمـحـ أـنـ تـسـتـمـرـ تـلـكـ الـصـلـاتـ الصـمـيمـةـ حـتـىـ بـعـدـ اـسـتـقـالـلـ الـأـبـنـاءـ بـحـيـاتـهـمـ الـخـاصـةـ فـيـمـاـ بـعـدـ. وـبـهـذـاـ التـعـاطـفـ الـأـسـرـيـ وـهـذـاـ الـالـتـفـافـ بـيـنـ أـبـنـاءـ الـأـسـرـةـ حـوـلـ بـعـضـهـمـ مـاـ يـعـمـلـ عـلـىـ تـقـوـيـةـ الـأـوـاصـرـ الـأـسـرـيـةـ، فـهـذـاـ الشـاعـرـ (ـالـجـواـهـريـ)ـ وـهـوـ يـعـيـشـ تـحـتـ سـقـفـ بـيـتـ وـاحـدـ مـعـ أـمـهـ وـأـخـتـهـ وـكـانـ يـرـبـطـ بـيـنـهـمـ جـمـيـعـاًـ حـبـ وـوـئـامـ، بـحـيـثـ يـلـقـونـ عـلـىـ ذـلـكـ الـحـبـ وـالـوـئـامـ سـاعـاتـ طـوـيـلـةـ مـنـ سـاعـاتـ الـلـيـلـ وـالـنـهـارـ يـوـمـيـاًـ، وـحـينـ يـدـفـعـ بـالـجـواـهـريـ طـمـوـحـهـ الـعـالـيـ وـأـمـالـهـ الـكـبـيـرـةـ إـلـىـ التـغـيـبـ عـنـ الـبـيـتـ وـبـعـلـمـ وـمـوـافـقـةـ مـنـ أـمـهـ الـحـنـونـ، بـسـبـبـ مـطـارـدـةـ السـلـطـةـ لـهـ، وـيـمـرـ يـوـمـانـ -ـ لـأـكـثـرــ عـلـىـ اـبـتـهـادـهـ عـنـ الـبـيـتـ بـحـكـمـ الـضـرـورـةـ الـيـ أـلـجـائـهـ إـلـىـ ذـلـكـ، فـإـذـاـ بـأـخـتـهـ تـسـاءـلـ أـمـهـ بـكـلـ مـرـارـةـ وـأـمـ عنـ أـخـيـهـ الـذـيـ لـمـ يـسـبـقـ لـهـ أـنـ اـبـتـهـادـهـ عـنـهـمـ وـلـاـ يـوـمـاًـ وـاحـدـاًـ، فـتـحـسـ الـأـخـتـ بـوـجـعـ شـدـيدـ يـعـتـصـرـ قـلـبـهـ، وـلـمـ تـجـدـ الـأـمـ لـابـنـتـهـ جـوـابـاًـ إـلـاـ انـحدـارـ الدـمـوعـ مـنـ عـيـنـيهـ، لـأـنـهـ لـاـ تـسـتـطـعـ مـكـاـشـفـتـهـ وـمـصـارـحـتـهـ بـالـضـرـورـاتـ الـيـ أـرـغـمـتـ أـبـنـهـاـ عـلـىـ هـذـاـ الـغـيـابـ سـوـىـ أـنـهـ تـشـيرـ إـلـىـ طـمـوـحـاتـهـ وـأـمـانـيـهـ الـكـبـارـ الـيـ كـانـ وـرـاءـ ذـلـكـ الـغـيـابـ، فـيـرـسـمـ لـنـاـ "ـالـجـواـهـريـ"ـ فـيـ الـقـصـيدةـ التـالـيـةـ مقـاطـعـ مـنـ ذـلـكـ الـجـوـ الـأـسـرـيـ الـحـزـينـ الـذـيـ عـاشـتـهـ الـأـسـرـةـ بـسـبـبـ غـيـابـهـ عـنـهـ.

(1) خيري الهنداوي - حياته وديوان شعره: د. يوسف عز الدين، 1974، بغداد: 232.

**يقول فيها:**

ایهٔ امّا مَا أَرَابَ شَقِيقَ النُّفُسِ مَنَا حَتّىٰ تَبْعَدَ عَنَا

منذ يومين ليس يعرف عما  
جائيًاً ذاهبًاً يقسم في الأوجه  
إيه امهات إن نفسي أحست  
فأنبرت دمعة تترجم عما  
اسمعي يا عزيزتي أنا أوفي  
ولدي عرفته يهلاً البيت  
ولدي طامح تعناته آمال

**يُتمنى كل السرور ولا يستطيع نيلًا لبعض ما يُتمنى** <sup>(١)</sup>

ومن الأمثلة الصادقة والرائعة على مدى الترابط الأسري ما كتبه الشاعر (محمد صالح بحر العلوم) من سجنه في مدينة الناصرية إلى أخته في النجف حين بلغه أن الحكومة تريد إعدامه ذلك سنة 1935م؛ يقول من

قصيدة عنوانها " لك في أمك سلوة":

فـات بالـدمـع وـلـا يـجـدي الـبـكـاء  
وـقـلـوب (الـقـوم) وـالـصـخـر سـوـاء  
فـرض "الـعـرـف" وـأـجـراـه الـقـضـاء  
ولـي الـمـكـوـت عـلـى العـزـعـزـاء<sup>(2)</sup>

لَمْ تَبْكِيْنِ؟ فَلَا نَيْرَجُ مَا  
وَاعْلَمُ يَأْنِيْدِيْ قَاصِرَة  
لَيْسُ فِي وَسْعِيْ أَمْحَوْ مَا  
لَكَ فِي أَمْكَ بَعْدِي سَلْوَة

(1) ديوان الحواهري (ط 1973) : 451/1 "صفحة من الحياة الشعبية".

(2) ديوان محمد صالح بحر العلوم، مطبعة دار التضامن، بغداد، 1968، ط1: 108/1.

وهذا بلا شك موقف من أرق المواقف العاطفية الذي يدل على عمق الترابط الأسري فإن شاعرًا يبلغه

أن الحكومة تريد إعدامه فلا يهتم بنفسه، بل ينصب كل اهتمامه على أخيته الحزينة والباكية عليه ويسليها عن

نفسه بأمه الغالية وأن موته بعزم وكرامة خير عزاء له ولها وللأسرة جميعاً، وذلك مثل أعلى من أمثلة عمق

الترابط بين أفراد الأسرة.

ومن الأمثلة الأخرى عن ذلك الترابط الأسري، ما رسمه لنا الشاعر (وليد الأعظمي) عن التضامن

والتكافل الأسري يوم تعرضت مدينة بغداد لكارثة الفيضان عن أسرة يخاطب فيها أخيه قائلًا:

وغادر الكوخ هذى شر مأساة

قلبي يحدثنى عن نكبة تات

فالماء طوقنا قم هاته هات

قم يا ابن أم وناولني الحصیرات

قم يا ابن أم فلاني صرت في جزع

قم واجعلن من الجذعين قنطرةً

ثم يخاطب أمه وينبهها على الخطر الذي يحيق بهم، وبالمقابل تصيح الأم تريد الإعانة:

هذى المصيبة من أدهى المصيبات

يا ابني عثرت وقد فرت دجاجاتي

وقلت يا أم هيأنا نحن في خطيرٍ

فصاحت الأم (يامحمدود) خذ بيدي

ثم يصور شعور الأم تجاه الأب، ومدى خوفها عليه، فهو مستغرق بالنوم لا يدرى ماذا يحدث:

في داخل الكوخ أو في مربط الشاشة

أبي أخاف عليه لدغ حيات

حمسى تضيق بها دور الحميرات

أيقظ اباك فإن النوم طاب له

أيقظ أباك ولا تركه يا ولدي

وأحمل أخيك وداعبه فإن به

\* \* \*

أما إذا انتزعت يد الموت واحداً من أفراد العائلة المتأذرة فإن ذلك بالطبع يمثل فاجعة كبيرة لتلك العائلة، وحين اهصرت يد القدر وأذوت غصن الشبيبة من الشاب (جعفر الجواهري) الذي قتل أثناء التظاهرات الوطنية عام 1948 نجد آخاه الشاعر المفجوع به (محمد مهدي الجواهري) الذي هزه ألم تلك الفجيعة من أعماقه فتفجرت قريحته بقصيدة شعرية يصور بها مدى فجيعته وفجيعة ذويه بالشاب الفقيد، وكان أسلوب تلك القصيدة رائعًا يبلغ القمة في عمق الأحساس التي كانت شلالاً متدافعاً بالحزن واللوعة يعكس من خلالها الألم والحزن الذي يعتصر قلبه ولا تدع قارئها أو سامعها إلا أن تغزوه الدموع في عينيه، فما جاء فيه قوله:

**فِيهَا قَوْلُهُ:**

أتعلّم أم أنسّت لا تعلّم      بـأن جـراح الـضـحـايا فـم

إلى أن يعبر بها عن تلك الأحساس العميق تجاه فجيئه بأخيه الشاب فيقول:

أخي جعفرأيا رواه الريبع	إلى عفـين بـارد يـسلم
ويـا قبـساً مـن لـهـب الـحـيـاة	خـبا حـسـين شـبـلـهـ مـضـرـم
ويـا طـلـعـة الـبـشـر إـذ يـنـجـلي	وـيـا ضـحـكة الـفـجـر إـذ يـسـمـ
وـقـبـلت صـدـرـك حـيـث الصـمـيم	مـن القـلـب منـخـرـقـاً يـخـرم
وـحـيـث تـلـوـذ طـيـور الـمـىـ	بـهـ فـهـيـ مـفـزـعـةـ حـومـ
وـرـبـت خـدـاً بـهـاء الـشـبابـ	يـرـفـ كـماـنـ وـرـ الـبـرـعمـ
وـمـسـحت مـن خـصـل تـدـلـيـ	عـلـيـهـ كـماـ يـفـعـلـ المـغـرمـ

(1) ديوان الشعاع: وليد الأعظمي، بغداد، ط١، 1959: قصيدة "كنا نظن".

عصرت بها كل مَا يُؤمِّل

وعوضت عن قبلي قبلةً

إلى أن يقول، واصفاً حالة أخيه:

فيغ رز في صدرها معصم

واخبت تشق عليك الجيوب

لعلك من بينه ساتنجم

تناشد عنك بريوق النجوم

وقد لذب القبر ما تزعّم

وتزعّم انك تأتي الصباح

أخي جعف رأياً بعهود الآخاء خالصاً بيننا أمتكم

وبالبيت تغمّره وحشةٌ

كـةـ بـرـكـ يـسـأـلـ هـلـ قـدـمـ

وبالـصـحـبـ والـأـهـلـ يـسـتـغـرـبـونـ

لأنـكـ منـحـ رـفـعـ نـهـمـ

يمـيـنـاـ لـتـهـ شـنـيـ الـذـكـرـيـاتـ

عليـكـ كـمـاـ يـنـهـشـ الأـرـقـمـ

وأـنـيـ عـودـ بـكـ فـالـرـيـاحـ

(١) يـسـأـلـةـ مـنـ هـاـ مـتـىـ يـقـصـمـ

تربيـةـ الأـبـوـينـ المـثـالـيـةـ لـأـبـنـائـهـمـ:

إن مهمـةـ الأـبـوـينـ تـجـاهـ أـبـنـائـهـمـ لـيـسـتـ عـاطـفـيـةـ فـقـطـ، بل يـجـبـ أـنـ تـكـوـنـ شـعـورـاـ بـمـسـؤـولـيـةـ تـرـبـيـتـهـمـ. وـأـنـ

تـكـوـنـ تـلـكـ التـرـبـيـةـ مـثـالـيـةـ وـمـوـذـجـيـةـ؛ لـنـحـقـقـ الغـاـيـةـ التـيـ نـنـشـدـهـاـ مـنـ خـلـالـ التـرـبـيـةـ الصـالـحةـ لـلـأـبـنـاءـ.

وـنـظـرـاـ لـأـنـ الـوـالـدـيـنـ مـعـاـ هـمـ الـمـدـرـسـةـ الـأـوـلـىـ لـتـيـ يـتـرـبـيـ الـأـبـنـاءـ فـيـ أـحـضـانـهـاـ وـبـتـجـلـىـ لـنـاـ الـأـهـمـيـةـ الـكـبـرـىـ

الـتـيـ تـقـعـ عـلـىـ عـانـقـ الـأـبـوـينـ لـأـنـهـمـ الـلـذـانـ يـضـعـانـ الـلـبـنـاتـ الـأـوـلـىـ فـيـ بـنـاءـ الـأـبـنـاءـ التـرـبـوـيـ لـكـيـ يـكـوـنـ الـأـبـنـاءـ

مـؤـهـلـيـنـ أـنـ يـؤـدـوـ الدـوـرـ الـمـقـدـسـ الـذـيـ يـجـبـ أـنـ يـضـطـلـعـوـاـ بـهـ عـنـدـمـ يـتـسـلـمـونـ أـدـاءـ أـدـوـارـهـمـ فـيـ الـبـيـتـ وـالـأـسـرـةـ

.وـالـمـجـتمـعـ

(1) ديوان الجوادري: 259/3.

وقد رسم الشاعر الشيخ (علي الشرقي) صورة شعرية رائعة لتلك التربية المثالية للأبناء التي يجب أن تمتزج فيها عواطف الحب والحنان مع الشعور بمسؤولية تأهيلهم لمستقبلهم الظاهر، فحين نشمهم يجب أن لا ننسى أنهم مؤهلون للعلياء والشمم ليترتفع بهم كيان الأمة، يقول:

أيهـا الوالـدون حـسبـكم	وكـفـاكـم تـحـرـقـ الأـرم <sup>(1)</sup>
وـحـيـيـ أـطـفـالـنـ سـابـاتـكـم	لـاجـرـواـ العـتـابـ لـلـنـدـم
اـذـكـرـواـعـنـدـشـ مـكـمـ لـهـمـ	أـنـهـمـ يـنـشـأـونـ لـلـشـمـ
شـيمـ الـوـالـدـيـنـ تـخـبـرـنـ	أـنـهـنـ يـنـشـأـونـ لـلـشـمـ
كـلـ كـفـ لـرـفـعـهـمـ بـسـطـ	رـفـعـتـ أـمـةـ مـنـ الـأـمـمـ <sup>(2)</sup>

ويجب أن لا نغفل أن الإنسان خلق لكي يتتصارع مع الحياة ليتبؤا فيها موقعه الذي يليق به، وانطلاقاً من هذا المبدأ تأتي أهمية تربية الوالدين المثالية لأبنائهم، شريطة أن تكون العناية بهم جذرية، أي تبدأ معهم منذ ولادتهم مروراً بأيام رضاعهم وبعد فطامهم، وعلى مدى كل سنة من سنّي أعمارهم، إلى أن يكتمل نضجهم ويسلكون طريقهم الصائب في حياتهم الخاصة والعامة.

وقد أشار الشاعر (الرصافي) إلى ذلك الصراع الذي يخوضه الإنسان في خضم الحياة منذ طفولته حتى يطوي آخر صفحة من صفحات حياته، فقال:

وـمـاـ هـذـيـ الـحـيـاـةـ سـوـىـ صـرـاعـ	يـتـمـ بـفـ وزـ مـفـتـ وـلـ الـذـرـاعـ
وـمـاـ سـادـتـ شـعـوبـ الـخـلـقـ إـلـاـ	بـتـهـيـةـ الـبـنـيـنـ لـذـاـ الـصـرـاعـ

(1) الأرم: الأضراس، لأنها جمع (أرم) وفلان يحرق عليك الأرم - يحك أضراسه بعضه ببعض. ينظر - المعجم الوسيط مادة (أرم).

(2) ديوان علي الشرقي: جمع وتحقيق - إبراهيم الوائي وموسى الكرباسي: ص 262، قصيدة "أيها الوالدون". وينظر - ديوان عواطف وعواصف، بغداد، 1953: ص 180.

فاس	تفيقي يـافتـة	هـاـهـ وـالـفـجـ رـجـ لـى
وانـظـرـيـنـورـالـحـيـاةـ		وـافـتحـيـلـلـشـمـسـعـيـنـاـ
لـيـسـيـجـدـيـكـالـسـبـاتـ		يـقـظـةـفـيـالـكـونـعـمـتـ
فـأـسـرعـيـفـالـخـطـوـاتـ		قـوـةـالأـحـيـاءـسـارـتـ
وـالـأـمـانـيـالـطـيـبـاتـ		هـدـفـالـآـمـالـأـنـتـ
بـمـهـاتـالـغـدـادـةـ		يـاـأـبـنـهـالـيـوـمـاسـتـعـديـ
كـيـتـطـيـبـالـثـمـرـاتـ		أـصـلـحـيـنـفـسـكـغـرـسـاـ
بـكـمـالـأـمـمـاتـ <sup>(2)</sup>		فـكـدـانـالـشـعـبـيـسـمـوـ

(1) ديوان الرصافي (ط 1986) يشرح مصطفى على: 296/2 "الحياة الاجتماعية والتعاون".

(2) مجلة المرأة العراقية الحديثة: حمديه الأعرجي، العدد الثاني، السنة الأولى، 1936، النجف: ص 10.

وإنما ينصب اهتمامنا وتركيزنا على الأمهات بصورة خاصة، لأنهن -وكما قلنا فيما سبق- المدارس الأولى

التي يتربى في أحضانها الأولاد من بنين وبنات كما أشار إلى ذلك (الزهاوي) في أبياته الآتية:

الأمهات منابر لـ زاهـور  
والآمهات كواكب لـ نـور  
والآمهات مدارس لـ الـ شـعـور<sup>(١)</sup>

والأم المثالبة تعلم علم اليقين أن الطفل الصغير تمثل فيه البراءة والنقاء والرقعة المتناهية بأحلى وأعمق صورها الرائعة، مع ما هو عليه من ضعف شديد يجعله بحاجة ماسة إلى من يغمره بالحنان ويشد من أزره ويقيم أوده لذلك فإن الله سبحانه وتعالى ملأ صدر أمه وقلبها عطفاً وحناناً عليه ووهبها الطاقات الكبرى في تحمل الجهد والجهد المتواصل الممزوج بالحب والحنان وبسبب ذلك كله ينشأ الوليد نشأة سليمة وصالحة، نافعة له أولاً ومجتمعه أخيراً.

ويصور لنا ذلك الشاعر (مرتضى فرج الله) أبدع تصوير حين يوصي الأم بأن تعنى بطفلها العناية التي تليق بأمومتها المثالبة، كما يدعو الشاعر إلى أن تقوم الأم بتهذيب ذلك الطفل وتعليمه بكل ما ينفعه في الحياة وذلك في صيته "ال طفل":

أرفـة يـ أـنـ تـ حـمـيـلـ خـيرـ  
ظـلـيـاـ هـ كـيـ تـ قـيـرـ الـ هـ  
وـإـذـاـ مـ رـامـ نـوـمـ  
إـنـ دـاـ جـاـ دـاـ  
إـنـ هـ أـنـعـ مـ جـاـ دـاـ  
إـنـ هـ أـلـطـ فـ روـحـ

(١) المجموعة الكاملة للزهاوي: دار العودة، بيروت، ط 1972، مج 1، ضمن الأوائل: ص 480.

إن الي يوم أسيير  
فارحمي حمال الأسىير  
بـ الأذى لا تفزع  
واحد ذري سـ وء المـ صـ يـر  
هـ ذـ يـ هـ تـ جـ عـ لـ يـ  
سيـ دـ اـ بـ يـ نـ العـ شـ يـر<sup>(١)</sup>  
ذلك التعليم الذي يجب أن تغذى به الأم أبناءها ينبغي أن تعلم كل العلم إنه ليس الغاية النهائية في  
تربية الأبناء بل يجب أن يكون وسيلة للنماء والعطاء والعمل النافع له في الحياة.. ذلك ما يقرره الشاعر  
(الرصافي) الذي لا يفوته أن يشير إلى تحاشي العقاب فيما يرتكبه الأطفال ببراءة وحسن نية، بل ينبغي توجيههم  
وإرشادهم لأن العقاب لأئفه الأسباب يؤدي بلا شك إلى أسوأ النتائج بخلاف النصائح التي تؤتي ثماراً شهياً

أُنْكَلْسِتَمْعَ إِلَيْهِ حِينَ يَقُولُ:  
أَنْ كَانَ لِلْجَهَلِ فِي أَهْوَالِنَا عَلَىٰ  
فَالْعِلْمُ كَالْطَّبِ يَشْفِي تَلْكُمُ الْعَلَالَ  
لَا تَجْعَلُوا الْعِلْمَ فِيهَا كُلَّ غَایَتِكُمْ  
وَجَنْبُ وَهُمْ عَلَىٰ فَعَلَ مَعَاقِبَةً  
أَنَّ الْعَقَابَ إِذَا كَرِتَتْ هَـ قَـتَـلَـاً  
بِلَ عَلَمُوا النَّشَئُ عَلَمًا يَنْتَجُ الْعَمَلَ  
وَتَلِكَ التَّرْبِيَةُ الْمَثَالِيَّةُ الَّتِي أَلْمَحْنَا إِلَيْهَا هِيَ مِنْ أَوْجَبِ الْوَاجِبَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَلْتَزِمَ بِهَا الْوَالِدَانُ تَجَاهُ  
أَبْنَائِهِمْ. ذَلِكَ لِأَنَّ سُلُوكَ الطَّفَلِ هُوَ نُوْعٌ مِنْ رَدَّةِ فَعْلٍ عَلَى الْبَيْتَةِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا، (فَالْطَّفَلُ كَالْبَذْرَةِ، إِذَا مَا نَشَأَ)

(1) مجلة المرأة العراقية الحديثة - حمدى الأعرجى: العدد الأول، السنة الأولى، 1936، قدمت القصيدة إلى جمعية الرابطة الأدبية في التحف الأشرف: ص.22.

(2) ديوان الرصافي - شرح وتعليق: مصطفى علي: 163، من قصيدة "المدارس ونهجها"، وينظر - الرصافي (1867-1945م): 5.  
داود سلوم، مطبعة الحكومة، بغداد، 1966: 28.

(3) البيت والمدرسة: محمود الجومرد، مطبعة الهدف، الموصل، 1960: ص 5-6.

وشاعرنا (الرصافي) له رأي طريف بالنسبة للحقوق الذي يتمثل بعدم قيام الأبناء بواجباتهم تجاه أبائهم وأمهاتهم. فإنه يرى أن الأب الذي لا يحسن تربية ابنه وتوجيهه وإرشاده هو من أعق الآباء نحو أبنائهم كما قال في أبياته التالية:

وأن تربية الإنسان يرجع  
هذا إذا حسنت أما إذا قبحت  
فكل ما هو في الإنسان مكتسب  
والماء كالنبع ينمو حسب تربته  
أني أرى أسلوب التربية  
لابن أخرى بأن يدعى أعق آب<sup>(١)</sup>

وينبغي لنا أن لا ننسى التأكيد على أن الاهتمام بتربية الأطفال وتوجيههم وتعليمهم ينبغي أن يمشي جنباً إلى جنب مع إعطاء فطرة الطفولة ما تستحقه من الاهتمام البالغ، فمن الخطأ الجسيم هدر حقوق الطفل ونسيان ما تتطلبه تلك المرحلة من لعب بريء وتسليمة نافعة لكي تنشأ الطفولة نشأة سليمة خالية من العقد النفسية التي تعيقها عن النمو الطبيعي.

وقد التفت الشاعر المجدد الشيخ (علي الشرقي) إلى هذا الجانب التربوي المهم في حياة الأطفال فرسم برشته الشعرية الرائعة صورة للشباب التائه الضائع الذي تقع مسؤولية تيههم وضياعهم على عاتق أبائهم وسحقوا - بجهلهم وعدم قيامهم بدورهم الواجب عليهم - كل فطرة الطفولة ومستلزماتها وسحقوا كل ما ينبغي القيام به نحوهم كما يسحقون الورود العطرة بأقدامهم. فقال وما أبدع ما قال:

يا شباب العراق أنكم  
كوجود الأماس في الفحم  
سحق عاداتكم لفط  
مثل سحق الورود بالقدم

(١) ديوان الرصافي (ط 1979): 175/4، من قصيدة "تأثير التربية".

نحتي الطفل كالسراج فأن شب نخدمه في يدِ وفم  
 ضاع جهلاً وذلةً فخداع لا لعنة ولا إلى عالم  
 إنما الطفل في شوارعنا لوجود يمشي إلى العدم<sup>(١)</sup>

وفي نهاية هذا الموضوع نسجل عواطف شاعر، يصور بتلك العواطف امتنانه لتلك التربية المثالية التي غمره بها والده بما فيها من حب وحنان وإحسان وتضحية وشقاء من أجل إسعاده، فلنستمع إلى الشاعر (حسن

<sup>(٢)</sup> وهو يعبر عن تلك العواطف الجياشة حيال أبويه، فيقول:

البياتي:

<p>يَا حَبْذَا قَرِيبَةٌ أُمٌّ بَرَّةٍ وَنَوْنٌ</p> <p>وَدَا بَأْنَ يَتَقَارِعَ دُونَ الْوَلِيَّ دَعْلَى الْمَنْوَنَ<sup>(5)</sup></p>	<p>وَأَبْ حَزْنٌ</p>
--	----------------------

(1) ديوان علي الشرقي: ص 185، من قصيدة "الأطلس في الفحم".

(2) حسن البياتي - الدكتور الشاعر ولد في قرية السعدية 1930، له ديوانان ( من شفاه الحياة، جنود الاحتلال 1959) ينظر -  
معجم المؤلفين العراقيين، ص314.

(3) المرأة في الشعر العراقي الحديث - احمد فياض المفرجي، مطبعة الجامعة، بغداد، 1958: ص 59.

(4) عباس شير - السيد، ولد في البصرة 1905، له ديوان جواهر وصور. ينظر - معجم المؤلفين العراقيين، ص 223.

(5) مجلة البيان: علي الخاقاني، النجف، العدد 29-30، السنة الثانية، 1948: ص 753، مزدوجات من ((خواج النفس)).

فالليت بعد كل هذا (هو الإطار الذي يضم بين جوانبه الصورة المشرقة لحنان الأمومة وعطف الأبوة؛ وحرصاً من الشارع المقدس على جعل البيت هو المدرسة المثلالية فقد رسم الخطوط العريضة، لأحكام أنسه وتحصين جوانبه. وأسس تكوين العائلة بلا شك هما الزوج والزوجة، لذلك خص الإسلام كل طرف منها بوصايا وإرشادات مشتركة أو منفردة<sup>(١)</sup>.

### بين الأمهات المتعلمات والجاهلات:

في البحث السابق درسنا كيف يجب أن تكون تربية الأبوين المثلالية لأبنائهم، وخلصنا من ذلك إلى استحصال النتائج التي تصل بنا إلى تشخيص الأم المثلالية بين سائر الأمهات.. وأشارنا هناك أن تعليم الأم هو من أهم الأسباب التي تجعل الأم في أرقى وأسمى مراتب مثاليتها التربوية مما يجعل منها نموذجاً يحتذى في تربية أبنائها.

وهنا من هذا البحث نقف وقفه فيها شيء من التفصيل والإلقاء الواسع حول الفرق الكبير والبون الشاسع بين الأم المتعلمة والأم الجاهلة، فالأم المتعلمة تؤدي دورها التربوي على أحسن الوجوه وأتمها وأكملاها، والأم الجاهلة لا تستطيع - حتى لو أرادت وبكل رغبة وتصميم - أن تؤدي من ذلك الدور إلا جزءاً يسيراً، ويسيراً جداً من ذلك الدور الخطير الذي لا يمكن أن يؤديه إلا من تسلح بسلاح العلم وا زدان بحليته.

لذلك تعالت صيحات المخلصين ونداءاتهم بالتشديد على أهمية العلم وطلبه.... واستمرت صيحات أولئك المخلصين تتعالى رغم الأصوات المبحوحة التي دوت بها حناجر المعقدين والمتخلفين والتي لو قرناها بتلك الصيحات المدوية المخلصة لما كان تتعدي أصوات زئير الأسود حين يقارن بطنين الذباب.

ولستنا مبالغين أبداً إذا اعترفنا للإسلام العظيم بأن أصواته المدوية في حث المسلمين على طلب العلم هي أقدم وأقوى تلك الصرخات، وهي مضافةً إلى ذلك أعمق تلك الدعوات رسوحاً في النفوس واستحوذاً على الأفكار والقلوب في دعوتها المسلمين

---

(١) الطلاق أبغض الحال إلى الله: عز الدين بحر العلوم، بغداد، 1958: ص46.

إلى طلب العلم في مجالات شتى ركزت على أهمية العلم وتقديمه، وتختلف الجهل والجاهلين عن ركب التقدم والازدهار في الحياة.

أجل أن الإسلام - وقبل أربعة عشر قرناً - بادر إلى التأكيد على أهمية العلم ومكانة طالبيه، ولسنا نريد هنا أن نستقصي كل ما ورد في مجال حث الإسلام للمسلمين على طلب العلم من الآيات الكريمة في القرآن الكريم فهي كثيرة جداً، ولكننا نكتفي منها بتقديم نماذج من تلك الآيات الشريفة فنذكر منها قوله عز من

فائل: "فُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ"<sup>(١)</sup>، قوله تعالى: "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ" وقوله عز وجل: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"<sup>(٢)</sup>...

ولم يقف الإسلام العظيم في حث المسلمين على طلب العلم بما جاء في ثنايا آيات قرآنـه الكريم، بل تجاوز ذلك إلى السيرة النبوية العطرة بما جاء فيها من أحاديث شريفة تؤكد على أهمية طلب العلم، فمن ذلك ما قاله نبينا الأعظم محمد (صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ) : "تعلـمـوا العـلـمـ، فـإـنـ تـعـلـمـهـ خـشـيـةـ، وـطـلـبـهـ عـبـادـةـ، وـمـذـاكـرـتـهـ تـسـبـيـحـ، وـالـبـحـثـ عـنـهـ جـهـادـ"<sup>(٣)</sup>، وقول الرسـولـ (صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ) : "يـوـزنـ مـدـادـ الـعـلـمـاءـ، وـدـمـاءـ الشـهـداءـ يـوـمـ الـقيـامـةـ فـلـاـ يـفـضـلـ أـحـدـهـمـاـ عـلـىـ الـآخـرـ"<sup>(٤)</sup>، وروي عن الرسـولـ (صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ) أنه قال: "من سـلـكـ طـرـيقـاـ يـلـتـمـسـ فـيـهـ عـلـمـاـ سـهـلـ اللـهـ لـهـ طـرـيقـاـ إـلـىـ الـجـنـةـ"<sup>(٥)</sup>، وقال (صـلـى اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ) : "الـدـنـيـاـ مـلـعـونـةـ مـلـعـونـةـ مـلـعـونـ ماـ فـيـهـ إـلـاـ ذـكـرـ اللـهـ وـمـاـ وـالـهـ أـوـ عـالـمـاـ أـوـ

---

(١) سورة الزمر: 9.

(٢) سورة المجادلة: 11.

(٣) كنز العمال: 167/10، رقم الحديث (28867).

(٤) المصدر نفسه: 172/10، رقم الحديث (28901).

(٥) تحفة الأحوذـيـ بشـرـحـ جـامـعـ التـرمـذـيـ: مـجـ 7: صـ405ـ، رقمـ الحـدـيـثـ (2784ـ) بـابـ فـضـلـ طـلـبـ الـعـلـمـ، وـيـنـظـرـ - سـنـنـ اـبـنـ مـاجـهـ: 47/1ـ، رقمـ الحـدـيـثـ (236ـ) الـمـقـدـمـةـ، وـيـنـظـرـ - سـنـنـ التـرمـذـيـ، رقمـ الحـدـيـثـ (2784ـ) وـالـلـفـظـ لـهـ.

متعلماً<sup>(1)</sup>، وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم): "اطلبوا العلم ولو بالصين"<sup>(2)</sup>، وقال علي (رضي الله عنه): (أقل الناس قيمة أقلهم علم)<sup>(3)</sup> وجاء في الأثر: (خير الدنيا والآخرة مع العلم، وشر الدنيا والآخرة مع الجهل)<sup>(4)</sup>.

وبناء على تلك الدعوات البالغة الأهمية في حث المسلمين على طلب العلم نجدهم جميعاً وفي عهود الإسلام الذهبية الأولى انكبوا على تحصيل العلم وعكفوا على طلبه. ولم يكتفوا بأن علموا أنفسهم بل أنهم حملوا مشاعل العلم إلى مشارق الأرض ومغاربها حينما امتدت دولتهم الشاسعة الأطراف التي شملت أرجاء المعمورة كلها... وبقي الأمر على تلك الحال المزدهرة مدة ازدهار الدولة الإسلامية.

ومرت الأيام..... وإذا بوهج العلم الساطع يبدأ ضوؤه بالخفوت حتى تنتهي به الحال - وبالسوء تلك الحال - إلى تفشي الجهل وتراكم سحبه الداكنة في تلك السماء المتلائمة التي استحال بريقها إلى ظلام دامس، حتى بلغت عصور الانحطاط والتخلف والجهل أسفل درك لها في قرون الفترة المظلمة التي استمرت حتى آخريات القرن التاسع عشر وأوائل هذا القرن - الذي هو موضوع دراستنا - حتى أن الشاعر (محمد صالح بحر

---

(1) سنن ابن ماجه رقم الحديث (4102).

(2) كنز العمال: 138/10 رقم الحديث (28697) - من الطريف أن نشير هنا إلى أنه - فيما يبدو لي - ليس المقصود هنا - كما يرى - بلاد الصين نفسها بمكانها الحالي وحدودها القائمة، ولكن باعتبارها في ذلك الزمان أي زمان الرسول الأعظم، وبعد بلاد الدنيا عن المسلمين في محل إقامتهم من جزيرة العرب، ولا يمكن الوصول إليها بيسر وسهولة لوعورة الطرق وصعوبة وسائل النقل إلا بمرور شهور طويلة يتعرض خلالها المسافرون إلى أشد المخاطر ومع تلك الوعورة وهاتيك المخاطر آنذاك في الوصول إلى بلدة قامت في خلال تاريخ البشرية كله دعوة إلى طلب العلم تصل إلى عمق دعوة الإسلام واهتمامها البالغ بالعلم ...

(3) المستطرف في كل فن مستظرف: 19/1.

(4) ورد الأثر في المستطرف في كل فن مستظرف، للايشمبي، طبع بيروت، د. ت: 19/1.

(العلوم) يشير إلى تفشي ذلك الجهل المطبق وإلى الطفوالة البريئة المغمورة بتلك الجهالة الشنيعة ويلقي تبعه

ذلك كله على الأم والأب والمجتمع كله، فيقول:

<p>الطفل في حجر الجهالـة عـنـدا</p> <p>ومـتـى تـرـعـرـعـ عـاـشـ فـي وـطـنـ بـه</p> <p>فـالـأـمـ والـأـبـ وـالـمـحـيـطـ جـمـ يـعـهـمـ</p>	<p>يـنـمـ وـوـضـعـ لـبـانـ هـ أـشـجـاءـ</p> <p>ضـعـفـ الـيـقـيـنـ لـأـهـلـهـ سـيـمـاءـ</p> <p>فـي جـرـمـ مـنـ خـسـرـ النـهـيـ شـكـاءـ<sup>(1)</sup></p>
--	---

ويرى الشاعر (الزهاوي) أن التعصب الأعمى هو الذي تسبب في تأخر الشعوب الإسلامية والערבية ولكنه يؤمن أن الجهل حين يحاول أن يغلب العلم فإنه لن يستطيع ذلك أبداً لأن القوة في نهاية المطاف بيد

العلم، وأن الجهل هو المغلوب والعلم هو الغالب، فيقول:

عن الشعوب التي تسعى فقترب	هو التعصب قد والله أخركم
من الألى مشيهم نحو العلي خبُّ	عن الذين أبغى و ألا تقدمهم
قد غالب القوم جهالاً فما غلبوا <sup>(٢)</sup>	يا قوم في كل عصر جاء ثم خلا

ولقد وصل الحال بأولئك الجهلة في الفترة المظلمة وفي آخريات أيامها بالذات أن يتوهموا أن الإسلام ضد التقدم العلمي وأنه يمنع المسلمين ويصدhem عن التقدم كما صور ذلك الشاعر (الرصافي) فقال من قصيدة يرد

فيها على تلك المزاعم الباطلة:

يصدق ذويه عن طريق التقديم	يقولون في الإسلام ظلاماً بأنه
أوائله في عهودها المتقدمة	فإن كان ذا حقاً فكيف تقدمت
فماذا على الإسلام من جهل مسلم	وإن كان ذنب المسلم اليوم جهله
وهل أمة سادت بغير التعلم	هل العلم في الإسلام إلا فريضة

(1) ديوان بحر العلوم: 1/93، من مقطوعة بعنوان "الطائفية حبة وقطاء".

(2) ديوان الزهاوي (ط 1972) 317 من قصيدة "هـ، الحقيقة".

وصل الجهل بأولئك الجهاز أن يجعلوا طلب العلم - إن كان ولا بد منه - حكراً على الرجال دون النساء، لأن لم يكن الإسلام حث المسلمين الرجال والنساء معاً فصرخ بوجوههم شعراً النهضة الحديثة فخاطبهم (الزهاوي) قائلاً:

<sup>(2)</sup> علموا المأة فالمأة عنوان الحضارة

وهذا (الصافي) يقول من قصيدة في ذلك:

فاليشق لبس، بناهض، الا اذا	<sup>(3)</sup> أدنى النساء من الرجال وقبا
وقضى لها بالحق دون تحكم	منها وعلمها العلوم وأدبها

وذلك لأن الشريعة الإسلامية السمحاء تعتمد بإيقاظ المسلمين على الرجال والنساء معاً كما يقول

(الصافي) أضًاً في قصيدة "الترسية والأمهات":

وقالوا شرعة الإسلام تقضي بتفضيل الذين على الّهواي  
وقالوا أن معنى العلامة شيء ضيق به صدور الغائيات  
وقالوا الجاهلات أعناف نفسا عن الفحشام من المعلمات  
لقد كذبوا على الإسلام كذبوا تزول الشم منه مزلزلات

(1) دیوان الرصافی (ط61986): مج 1/361، وفی دیوانه بشرح مصطفیٰ علی: 26/2.

(2) الديوان نفسه (ط1924): 241؛ وينظر في هذا الصدد تعليق عبد الكرييم الدجيلي في محاضراته عن - الشعر العراقي الحديث، بغداد، 1959: ص 93؛ وينظر - حركة التطور والتتجدد في الشعر العراقي الحديث: عربية توفيق لازم، مطبعة الإيمان،

.185: ص 1، ط 1، 1971: بغداد

(3) ديوان الرصافي: 2/236.

**أليس العلم في الإسلام فرضًا على أبنائه وعلى البنات؟<sup>(1)</sup>**

وفي ذلك من دون شك رد حاسم على من يتوهم - جهلاً - إن الإسلام يحرم تعليم المرأة فقال في ذلك

الشاعر السيد (محمود الجبوبي) في رباعية رائعة فكرة ومعنى وأسلوباً يقول فيها:

حسبوا الثقافة لفتاة تشن	حرم الفتاة من الثقافة مشعر
والشرع يسخر منهم والدين	باسم الشريعة حرموا تعليمها
كيف النجاة من الشقاء تكون	يسركم يلاؤن لا تهتدى
لا بالجهالة والجمود مصون <sup>(2)</sup>	بالعلم والآداب خدر فتاتكم

ومن أجل هذه الأفكار الجريئة التي عبر عنها الشعراء المجددون ومن أجل الدعوة إلى تعليم المرأة وأخذ

قسطها اللازم من العلم الذي يؤهلها لأن تصير أما مثالياً<sup>(3)</sup> تقوم ب التربية أبنائها على أحسن ما تتمناه لهم التربية

النموذجية.. أجل طالب شعراء النهضة الحديثة المجددون بأن تتلقى العلم كالرجال وأن تقف معهم جنباً إلى

جنب في إعادة البناء الحضاري القوي لمجتمعها الذي أفسد تقاليده الجهل المطبق.

وهذه دعوة صارخة من الشاعر الكبيرة (محمد مهدي الجواهري) لتعليم المرأة لكي تلتحق بأختها المرأة

الغربية التي أنجبت العلماء والمبدعين.. نعم المرأة الغربية التي كانت مكبلة بقيود الجهل يوم كانت المرأة

المسلمة تشارك الرجال المسلمين في وضع لبنات البناء الحضاري الذي امتد شرقاً وغرباً وارتفع شاهقاً بسواعد

المسلمين والمسلمات معاً. فلنستمع إلى (الجواهري) في قصيده الرائعة:

(1) ديوان الرصافي، بشرح وتعليق مصطفى علي: 352/2.

(2) ديوان - رباعيات الجبوبي: طبع النجف، 1948: ص139، "الثقافة حصانة الفتاة".

(3) ينظر للتوضيع في هذا الصدد - الأمهات: د. أسعد احمد علي، بيروت، ط. 2، 1981: ص27.

فما أروعها من فكرة بدعة حين يرى (الجوهري) أن من يحتقر المرأة ولا يسمح لها بتبوء مكانها اللائق	انكـم باحـتـقـارـكـم لـلـنـسـاءـ الـيـوـمـ <sup>(ا)</sup>
في المجتمع، فإنه يحتقر الرجال الذين يحملون تلك الأفكار.	
وكافـهـاـ أـنـ تـحـسـبـ العـلـمـ عـسـنـارـاـ	انـكـمـ بـاحـتـقـارـكـمـ لـلـنـسـاءـ الـيـوـمـ <sup>(ا)</sup>
وكـفـاهـاـ مـنـ التـقـهـةـ رـاـنـاـ	
لـمـ نـعـالـجـ حـتـىـ الـأـمـورـ الـصـغـارـاـ	
هـذـهـ حـالـاتـ عـلـىـ حـيـنـ كـادـتـ	
أـمـمـ الـغـرـبـ تـسـبـقـ الـأـقـدـارـاـ	
انـجـبـ الشـرـقـ جـامـدـاـ يـحـبـ الـمـرـأـةـ عـارـاـ وـانـجـبـتـ طـيـارـاـ	
نـسـاءـ قـمـشـلـ الـأـقـطـارـاـ	تحـكـمـ الـبـرـلـانـ منـ أـمـمـ الـدـنـيـاـ
وـنـسـاءـ الـعـرـاقـ قـمـنـعـ أـنـ تـرـسـمـ خـطـاـً	
فـارـاـ أوـ تـهـ رـأـ الـأـسـ	
اـنـكـمـ بـاحـتـقـارـكـمـ لـلـنـسـاءـ الـيـوـمـ <sup>(ا)</sup>	

ويطلب المرأة العلم ونفض غبار الجهل عنها يمكنها أن تستعيد أمجادها، وعهود جدودها وجداتها  
الخالدات الملوهوبات التي ليست الخنساء إلا واحدة من تلك النساء اللاتي ما تزال البطولة العربية والأدب  
العربي مديناً لها.

وفي ذلك يقول الشاعر (صالح جواد الطعمة) <sup>(2)</sup>:

تهادت على لسان الوجود	يا ابنة الرافدين أنشودة المجد
فخاراً من للفخار المجيد؟	أنت سطرت في سجل البطولات
ورغم الحجاب ثوب الجمود	أنت مزقت رغم قيد التقاليد

(1) ديوان الجوهرى: جمع وتحقيق - إبراهيم السامرائي، مهدي المخزومي، علي جواد الطاھر، رشيد بكتاش، 1973، مطبعة الأدب الغدادية: 1/ 461 من قصيدة علموها.

(2) صالح جواد طعمة - الدكتور، ولد في كربلاء عام 1928، له ديوانان (الربيع المحتضر 1952، ظلال الغيوم 1950). ينظر - معجم الشعراء العراقيين، ص 120.

وفي ختام هذا البحث يجدر بنا أن نختتم بمقطفات من قصيدة رائعة للشاعر (محمود الحبوبي) يحيي

بها المرأة المتعلمة التي تكتسب فضيلتها وتعلو منزلتها بالعلم... وبالعلم وحده يقول:

هل زدن بالعلم إلا عفة وهدى جهاللة، واحللت بعدها رشدا ان هن انجبن ما بين الملا ولدا فالعلم أضفى عليهن العفاف ردا أن تنجبي لنضال دونهه اسدا فضل، وذات حياة تألف الرغدا بين الأنعام وارسي منك معتقدا <sup>(2)</sup>	سلي لداتك حول ((النيل أو بيدي)) قسا عليهم عصر قد مضى فمضت فعدن ينجبن جيلاً غير ذي وهن وان خلعن رداء قد حجبن به يالبوة الراfdin الشعب متظر وانت بالعلم أم ذات تربية وانت بالعلم اسمى منك منزلة
--	---

\* \* \*

وليس ذلك التقدير والاحترام للمرأة المتعلمة كثيراً ولا كثيراً لأن تلك المرأة هي المؤهلة لأن تكون

أمّاً فاضلة ومربيّة مثالية لأبنائها وبناتها من رجال ونساء المستقبل أجل أن المرأة عموماً مؤهلة لأن تكون

أمّا، وهنا تتجلى لنا أهمية تعليم المرأة وأخذها القسط الكافي والوافي من التعليم لأن هناك فرقاً شاسعاً ومدى

بعيداً بين الأمهات المتعلمات والأمهات الجاهلات، فالمتعلمات يجعلن من أبنائهن أعضاء نافعين في المجتمع

والجاهلات ينجبن البنين والبنات غير الأكفاء وغير المؤهلين لأن يكونوا أعضاء أكفاء في مجتمع ينشد

(1) المرأة في الشعر العراقي الحديث - المفرجي: 94-95 "أكليل الشاعر".

(2) ديوان محمود الحبوبي، مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، 1948: ص20، "يا رب الدار" ونشرت في مجلة البيان، ع 25-26،

سنة 1947.

الرقي والتقدم. ذلك لأنها المدرسة (الأولى) التي تربى الأجيال في أحضانها - كما عبر عن ذلك الشاعر المجدد

الكبير الشيخ (محمد الجواد الشبيبي) في قصيدة جاء فيها قوله:

مدرسـة الـسـدار هـي الأولى التـي	تـبعـهـا تـالـلـكـ المـدـارـسـ الـآخـرـ
أـسـتـاذـهـا الـأـمـ وـمـنـ سـيـرـتها	يـقـبـسـ تـارـيـخـ الـسـجـاـيـاـ وـالـسـيـرـ
حـقـ لـهـ ذـي الـأـمـ مـاـ أـكـبـرـهـ	لـوـ كـوـفـتـ عـلـيـهـ فـيـ عـهـدـ الـكـبـرـ <sup>(1)</sup>

وفي ذلك المعنى الرائع يخاطب الشاعر (الزهابي) "الأم المتعلمة" قائلاً:

وفي ذلك المعنى أيضاً يقول الشاعر (خضر الطائي) <sup>(3)</sup>:

أم البنين لأنست مدرسة لهم  
ربي بنيك على الفضيلة ينبعوا  
لا تعشي بكرامة هي كل ما  
يسمو به الشرف الرفيع ويحفل<sup>(4)</sup>  
ونختتم ما قيل في هذه المعاني البديعة من أن صدور الأمهات وأحضانهن هن  
المدارس الأولى التي يتربى الأطفال فيها وينهلون منها كل ما يغذيهن وينمي بهن قابليات

(1) الشبيه الكبير - الشيخ محمد حمود الشبيه - حياته وأدبه: حمودي الحمادي، طبع النحف، 1972: ص 386.

(2) ديوان اللباب للزهاوي: ص 335 ؛ وينظر - تحرير المرأة العراقية بين شاعرین الرصافی - والزهاوي: خضر العباسی، منشورات دار المستنصر به، د. ت: 40.

(3) خضر الطائي - ولد في بغداد عام 1909 وهو شاعر من الطبقة الأولى غابت عليه روح التجديد، ولو لا قساوة الحياة لكان اليوم رائد الشعر العراقي. ينظر - معجم الشعراء العراقيين، ص 409 وينظر - شعراء العراق المعاصرةون: غازي عبد الحميد الكنين، مطبعة الشباب، بغداد، 1958، 33/2.

(4) شعراء العراق المعاصرون: 46-47/2، قصيدة تحت عنوان " أسبوع المرأة ".

التفوق والتقدم التي يتسلّحون بها حين ينزلون إلى ميادين المجتمع ليعمّلوا على ازدهاره وتقديمه.. أجل نختم

ذلك كله بمقتضيات من قصيدة (الرصافي) التي عنوانها " التربية والأمهات " بقوله:

وَلَمْ أَرْ لِخَلَقَ مِنْ مُحَمَّلٍ  
وَحْضُنَ الْأُمَّ مُدْرِسَةً تَسَامِتْ  
وَأَخْلَاقَ الْوَلِيدِ تَقَاسَ حَسَنَاً  
وَلَيْسَ رَبِيبٌ عَالِيَّةُ الْمَرَاجِيَا  
وَلَيْسَ النَّبَتُ يَنْبُتُ فِي جَنَانِ  
فَأَوْلُ دَرْسٍ تَهْذِيبُ السَّجَاجِيَا  
فَكِيفَ نَظَنَ بِالْأَنْبَاءِ خَرِيرًا  
إِذَا نَشَؤُوا بِحَضْنِ الْجَاهَلَاتِ<sup>(١)</sup>  
يَهُنَّ ذَبَّهَا كَحْضُنَ الْأَمَهَاتِ  
بَتِّيْرَةُ الْبَنَيْنَ وَالْبَنَاتِ  
بِأَخْلَاقِ النَّسَاءِ الْوَالِدَاتِ  
كَمْثُلَ رَبِيبٍ سَافَلَةُ الصَّفَاتِ  
كَمْثُلَ النَّبَتِ يَنْبُتُ فِي الْفَلَاءِ  
يَكُونُ عَلَيْكِ يَا صَدَرَ الْفَتَاهَا

أثر الحجاب في تعليم المرأة:

كما أن تعلم الرجل واجب إنساني عليه، تحتمه ما يتطلع إليه من تقدم في الحياة، وما تنزع إليه نفسه

من تحقيق الرفاه الفردي والاجتماعي له ول مجتمعه، فكذلك الأمر بالنسبة إلى المرأة فإن تعليمها أيضاً واجب

إنساني تفرضه وتحتمه الدوافع والتعلقات نفسها التي تدفع الرجل إلى التعلم..

ولا أحسبني أكون مغالياً إذا رأيت أن تعليم المرأة ربما يكون أشد ضرورة وأكثر

أهمية، لأنه بالإضافة إلى أهمية التعلم بالنسبة لها شخصياً لفهمهم أمور الحياة على

(1) ديوان الرصافي: 350-351 / 2؛ وينظر تعليق (محمود العبطه) على هذه القصيدة في مقاله المنشور في مجلة أفاق عربية، السنة الرابعة عشرة، 1989: ص 107 والذي عنوانه (في شعر الرصافي).

حقيقةها بما يفتحه العلم أمامها من الآفاق المجهولة والعموم الفسيحة التي يحل العلم الكثير من أبوابها المغلقة ويوضح منها المعالم الخفية.

أجل، بالإضافة إلى كون التعليم مهمًا لها كأهمية للرجل نفسه، فإنها ربما تزيد عليه بأن أحضانها الكريمة هي المدرسة الأولى التي تفتح أطفالها عليها أعينهم وتلقى أسماعهم أول الكلمات من ذلك الفم الكريم الذي ينبغي أن لا يسمعوا منه إلا الكلمات المذهبة التي تنطوي على معانٍ سامية وتوجيهات كريمة، لأن الطفل كالطينة الرخوة الطيرية يتکيف بكل يسر وسهولة كما تتكيف تلك الطينة الطيرية بيد من يهيئها للشكل الذي يريد أن يجعلها عليه<sup>(1)</sup> ...

نعم من هنا اتصف تعليم المرأة بالأهمية البالغة، من أجلها هي أولاً إنسانة وعضو مهم في هذا المجتمع ومن أجل أطفالها الذين يضفي عليهم تعاليماً نسيجاً متيناً من التربية القوية... ولهذه الأسباب المهمة اهتم الدين الإسلامي الحنيف بأبلغ الاهتمام بتعليم المرأة ووضعها في ذلك المجال جنباً إلى جنب مع الرجل لأنهما معاً يمثلان الجانب الإنساني بوجهيه كليهما المرأة والرجل، ولا أظن أن هناك اهتماماً بتعليم المرأة أعمق وأقوى من اهتمام الإسلام البالغ بها حيث جاء في الحديث النبوي الشريف " طلب العلم فريضة على كل مسلم وMuslimah"<sup>(2)</sup>، فوضعتها في هذه المهمة الخطيرة جنباً إلى جنب مع الرجل الذي هو الشق الثاني - كما المحنـا - من الجانب الإنساني كله ولم نجد في الحديث الشريف إعطاء أي أهمية لتعليم الرجل وحده بل وضعهما في هذا المجال على مستوى واحد.

وهناك التفاة في هذا الحديث الشريف هي ما جاء فيه من كلام (فرضية) التي تعني (الإلزام)، فهل هي لفتة سامية من ديننا العظيم نستطيع أن ندعى أنها دعوة إلى التعليم

(1) الحجاب لغة: هو المنع، يقال حجبوا زيداً عن الدخول أي منعوه ومثله حجبوه عن الكلام ويطلق على الستر. وحجبت المرأة وجهها بالنقاب أي سرتها.. ينظر - الحجاب والسفور: جعفر النقدي، مطبعة الآداب، بغداد 1348هـ: ص 21.

(2) سنن ابن ماجه: 48/1: رقم الحديث (237) المقدمة.

لإلزامي لكلا الجنسين (الرجل والمرأة) سبقت التقدم العلمي الحديث الذي دعا إلى التعليم الإلزامي متأخرًا في حين أن الإسلام سبقه إلى ذلك قبل أربعة عشر قرناً من الزمان...

وهذه فكرة اسماح لنفسي أن أدعى بكل اعتزاز بأنني لم أسمعها من أحد ولم أقرأها في كتاب.

أجل إن ذلك هو موقف الدين الحنيف من أهمية تعليم المرأة.. ولكن شاءت الظروف الاجتماعية القاسية والعادات والتقاليد البالية أن تقسو على المرأة قسوة لا حدود لها، وتكتلها بقيود ما أنزل الله بها من سلطان، وفي مقدمتها حرمانها من التعليم الذي جعله الإسلام فريضة يجب عليها أن تؤديها..

وعاشت المرأة عدة قرون تعاني اضطهاداً مستمراً وظلماً متواصلاً وحرماناً متزايداً انتهى بها إلى حرمانها من التعليم الذي هو من أهم واجب حقوقها التي تؤدي إلى بناء شخصيتها ومن ثم إلى بناء بيتها على أسس سليمة، وبنهاية المطاف إلى بناء شخصية وكيان أطفالها على أحسن الوجوه، ليكونوا أعضاء صالحين في المجتمع بل ونافعين له، مما يؤدي به إلى التقدم والازدهار.

ومن القيود القاسية التي اثقلت المرأة هو الحجاب الشديد الذي ر بما وصل بعض الأحيان إلى حدود القسوة والتزمت، فجاءت النهضة الحديثة في العصر الحديث تدعوا إلى تحرير المرأة من قيود ذلك الحجاب<sup>(1)</sup> المتشدد ومن ثم الدعوة إلى تعليمها، وانطلقت أصوات تلك الدعوة من مصر على يد الداعي الأول لتحرير تعليمها، وانطلقت أصوات

---

(1) الواقع أن الحجاب انتشر في أكثر البلاد الإسلامية منذ زمن بعيد لكنه لم يبلغ من حيث تأثيره الاجتماعي في تلك البلاد كما بلغ في العراق، ففي العراق كانت للحجاب تقاليد صارمة تقييق على المرأة الخناق، وقد اعتمدت جذورها من عادة غسل العار، وظل المجتمع العراقي محافظاً على معانيه حتى اليوم. ينظر - أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث: ص222؛ وينظر امرأة في الشعر العراقي الحديث - عربية توفيق لللزم: ص72.

تلك الدعوة من مصر على يد الداعي الأول لتحرير المرأة (قاسم أمين) الذي دعا إلى التخفيف من وطأة ذلك

الحجاب القاسي<sup>(١)</sup>.

وسرعان ما وصلت أصوات تلك الأصوات إلى سائر البلاد العربية وعبرت السهول والجبال والوديان لتصل

بأسرع من البرق إلى العراق الذي كانت فيه بداية نهضة حديثة وبلا شك تقوم على أكتاف المثقفين وينهض

بأعضائها المنورون من أبناء المجتمع<sup>(٢)</sup>.

ومن دون أدنى شك فإن الشعراً يمثلون الطبقة التي هي أكثر رهافة وأعمق إحساساً من كل تلك

الطبقات المتنورة..

ولكن الفارق بين أبناء تلك الطبقة أنه يبقى لكل فرد منهم - على عمق أحاسيسه وشدة رهافته -

وجهة نظره الخاصة به التي قد تصل ببعضهم إلى التطرف في تبني وجهات النظر، وتصل ببعضهم الآخر إلى

الوقوف عند الجانب المنطقي غير المندفع مما يحسب لعواقب الأمور أعمق الحسابات. وربط أولئك المندفعون

بين الدعوة إلى السفور وبين الدعوة إلى تعلم المرأة، ورأى الآخرون أن تعلم المرأة شيء وسفورها شيء آخر..<sup>(٣)</sup>.

ولا بد هنا من الإشارة والتأكيد، أن (قاسم أمين) الداعي الأول لتحرير المرأة من الحجاب لم يقصد من

ذلك إلا رفع الحجاب المتمثل بالبراقع وأمثالها عن الوجوه... أي أن دعوته لم تتعد حدود (السفور الشرعي)<sup>(٤)</sup>

الذي فرضته الشريعة، وليس السفور الذي يؤدي إلى التهتك والخلاعة كما نص على ذلك في كتابيه الشهيرين

(تحرير المرأة)<sup>(٥)</sup> و(المرأة الجديدة)<sup>(٦)</sup>. وإذا كان الأمر كذلك فإن الحجاب الشرعي لا علاقة له أبداً بحرمان

(1) ينظر المرأة الجديدة: قاسم أمين، طبع القاهرة، 1900: ص156 وما بعدها.

(2) ينظر: المعارك الأدبية حول الدعوة إلى تحرير المرأة، ص.6.

(3) المصدر نفسه، ص18 وينظر الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه: يوسف عز الدين، القاهرة، 1965: ص.20.

(4) المقصود به سفور الوجه والكفين.

(5) ينظر: المعارك الأدبية حول الدعوة إلى تحرير المرأة، ص.6.

(6) ينظر ص156 من المرأة الجديدة.

المرأة من التعليم... وبذلك يتضح لنا أن الحجاب لا أثر له إطلاقاً في تعلم المرأة ونيلها القسط الذي هي مؤهلة له كالحل قياماً<sup>(1)</sup>.

ويجب أن لا ننسى أن أساس موضوعنا هو الحديث عن الشعر المعاصر في العراق و موقفه من الحجاب

ومن تأثيره في تعلم المرأة.

وكما أشرنا إلى انقسام شعراً إنا إلى فريقين، فريق أيد السفور وربما اندفع بعضهم إلى تأييده إلى حد

الإسراف، وفريق آخر وقف ضد السفور موقعاً كل الحزم وأنه لا علاقة له بتعليم المرأة.

فهذا الشاعر (صالح الجعفري)<sup>(2)</sup> وهو من الدعاة إلى تحرير المرأة يقول في قصيده "هذبواها":

كـلـتـهـاـ الـبـرـودـ وـالـسـجـفـ	كـيـفـ تـرـجـمـ وـنـجـاهـهـاـ فـائـةـ
تـهـ اـدـيـ كـأـنـهـ سـاتـحـ فـ	مـنـ وـرـاءـ الـحـجـابـ نـسـوـتـهـاـ
شـ بـحـاـ لـلـجـدـيـ دـ تـرـجـ فـ	كـلـ مـاـ أـبـصـرـتـ عـلـىـ كـثـبـ
اـخـ سـأـوـاـ أـنـ ذـلـكـ مـصـلـفـ	تـحـ رـىـ اـسـ تـقـلـالـ اـمـتـهـاـ
بـالـحـيـ سـافـرـ تـلـحـ فـ	كـمـ حـصـانـ تـرـوحـ سـافـرـةـ
(ـلـوـ اـرـادـتـ) فـذـلـكـ مـسـخـفـ <sup>(3)</sup>	لـاـ تـخـالـواـ الـحـجـابـ مـعـهـاـ

وهذا (الزهاوى) يقول بنفس المعنى السابق في قصidته " ما في السفور معرة ":

مَا فِي الْأَرْضِ سَفُورٌ مَعَ رَأْةٍ عَفِيفٍ تَخَشِّي عَلَى امْرَأَةٍ

(1) ينظر: المعارك الأدبية - حول الدعوة إلى تحرير المرأة، ص 10.

(2) صالح الجعفري - شاعر عراقي، من مواليد النجف 1907، نشر مذاج من شعره على الخاقاني في شعراء الغربى: 307/4.

(3) ديوان صالح الجعفري (ط 1985)، جمع وتحقيق: علي جواد الطاهر وتأثير حسن جاسم: ص 193.

إن النظيفة في ق رارة نف سها تبة نظيفة  
والفرق ج م بين أخ لاق خفيفة<sup>(1)</sup> رزينة والـ

وهذا الشاعر (الرصاف) يقول في قصيده " التربية والأمهات":

ذلك نموذج من الشعراء الذين دعوا إلى السفور وربما ربطوا بينه وبين تعلم المرأة.  
والوجه إن كان الحياة نقابه  
أغنى فتاة الحسي أن تتنفس با<sup>(3)</sup>  
شرف المليحية أن تكون أدبية  
وحجابه في الناس أن تنهي ذبا

أما الشعراء الآخرون وهم من كبار شعراء النهضة الأدبية في العراق فقد وقفوا ضد الدعوة إلى السفور، ونشير هنا إلى الشاعر الشبيبي الكبير - ونعني به (محمد جواد الشبيبي) - الذي يقول من قصيدة يؤكد فيها

<p><b>إن الحجاب من مخصوص ومأثور</b></p> <p>(٤) فاز لها لك تنزيه وتطهير</p>	<p><b>ياربة الخدر عن نظارك احتجب بي</b></p> <p><b>وطهري النفس بالأخلاق فاضلة</b></p>
--	--

(1) دیوان الزهابی (ط1972)، مج1: ص714.

(2) دیوان الرصاف: 357-350/2؛ الرصاف (1867-1945)، د. داود سلوم: ص26.

.344/2 : (1974 ط 3) دیوان الرصافی

(4) الشبيبي الكبير - الشيخ محمد جواد الشبيبي - حياته وأدبها: حمودي الحمادي، النجف، 1972، ص 384.

ويعد الشيخ نفسه ليقول مؤكداً إن كتابنا القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة منعت السفور،

فيجب على المرأة أن تصون فتنتها وجمالها بالحجاب الشرعي، فيقول:

فاستنطقي الآثار والآيات

منع السفور كتابنا ونبينا

(١) ستر الحسان ومظهر الحسانات

صوفي جمالك بالبراقع أنها

وهذا الشاعر المجدد (عبد الحسين الأزري) يعارض قصيدة الشاعر (الرصافي) " المرأة في الشرق" بقصيدة

عنوانها " الكتاب والحجاب " وهي تفصح عن نفسها وتعبر عما فيها من أفكار عند سماعها أو قراءتها، جاء فيها

قوله:

نهج المخالف بيئـة الزوراء

اكرـمة الزوراء لا يذهب بك الـ

أنـ الذي حـصـروـه أـصـلـ الـسـاءـ

حـصـرواـ عـلاـجـمـ بـالـسـفـورـ وـمـاـ درـواـ

كـالمـاءـ لمـ يـحـفـظـ بـغـيرـ أـنـاءـ

أـوـ لمـ يـرـواـ أـنـ الفتـاةـ بـطـبـعـهـ

مـمـاـ يـجـيـشـ بـخـاطـرـ السـفـهـاءـ

مـنـ يـكـفـلـ الـفـتـيـاتـ بـعـدـ ظـهـورـهـاـ

عـنـ خـدـعـ كـلـ خـرـيـدةـ حـسـنـاءـ

وـمـنـ الـذـيـ يـنـهـىـ الـفـتـىـ بـشـابـهـ

فـالـعـلـمـ لمـ يـرـفـعـ عـلـىـ الـأـزـيـاءـ

لـيـسـ الـحـجـابـ بـمـانـعـ تـهـذـيـهـاـ

إـلـاـ بـرـزـتـ بـدـونـ غـطـاءـ

فـكـأـنـمـ إـصـلـاحـهـاـ مـتـعـذـرـ

وـلـمـ يـدـعـ لـمـسـلـمـينـ تـبـرـجـ العـذـراءـ

نـصـ الـكـتـابـ عـلـىـ الـحـجـابـ

أـخـلـاقـهـنـ لـصـالـحـ الـأـنـاءـ

شـيـدـ مـدـارـسـهـنـ وـأـرـفـعـ مـسـتـوىـ

كـيـلاـ تـفـوتـكـ حـكـمـةـ الـحـكـماءـ<sup>(٢)</sup>

وـأـنـظـرـ إـلـىـ شـأـنـ الـمـحـيـطـ وـأـهـلـهـ

(١) المجموعة الشعرية الكاملة - محمد جواد الشبيبي - 2-98-102.

(٢) ديوان عبد الحسين الأزري: تحقيق - مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، تقديم - علي الشرقي، طبع بيروت، د.ت: ص30.

وهذا شاعر آخر ممن خاض تلك المعارك الأدبية حول السفور والحجاب هو (حمزة القفطان)<sup>(١)</sup> يرى أن

الحجاب لا يمكن أن يعيق المرأة عن طلب العلم وسعيها في سبيله، فيقول:

أينَعَ أَنْ تَمْشِي إِلَى الْعِلْمِ حَرَة  
مَحْبَّةً فِي بَرَقٍ وَرَاءَ  
تَرُوحُ وَتَغْدُو مَا الْحِجَابُ بِمَانِعٍ  
طَلَابُ الْعُلَى عَنْهَا صَبَاحٌ مَسَاءً<sup>(٢)</sup>

ومن أطرف ما نختتم به هذا الموضوع، هو قصيدة الشاعر المجدد (عبدالرحمن البنا) التي يصور بها

مشاعر فتاة شهدت وعاشت تلك المعارك الأدبية من أجل الحجاب والسفور حتى وصلت بها الحال إلى البرم

والضيق بما ملئت به صحف ومجلات تلك الحقبة خصومات حول حجاب المرأة وسفورها بلغت ببعضهم إلى حد

الشتائم والبذاءة في القول، فطلبت منهم أن يهذبوا أنفسهم قبل أن يدعوا إلى تهذيبها، فقال بلسان حالها:

لِيَتَتَّبِعُونِي مَتَّ وَمَأْسِيَ مَعَهُنِي  
قَتَلُوا الأَوْقَاتَ مِنْ أَجْلِي عَتَابًا  
بَيْنَ حَجَبِي وَسَفَوْرِي اخْتَلَفُوا  
وَلَهُتْكِي مَلَأُوا الصُّحْفَ سَبَابًا  
هَذِبُوا أَنْفَسَكُمْ ثُمَّ ارْجَعُوا  
هَذِبُولِي وَارْفَعُوا عَنِي الْحِجَابًا  
أَنَا عَنِ عَادَاتِ قَوْمِي لَمْ أَحْلِ  
فَدَعُونِي وَارْجَعُوا عَنِي غَضَابًا  
اَتَرْكُوا عَنْ بَرْقِي الْلَّوْمِ فَكَمْ  
رَفَعَ الْبَرْقَعَ لِلْدِيْنِ قَبَابًا<sup>(٣)</sup>

(1) حمزة القفطان (1890-1924): ولد الشيخ حمزة بن الشيخ مهدي قفطان في حي واسط ونشأ بها. نهل من علوم النجف ما سمح له فكره أن ينهل، ويعتبر من أبرز شعراء مدرسة النجف توفي عام 1342هـ نشر نماذج من شعره علي الخاقاني في (شعراء الغري): 272/3. ينظر - أعلام العراق الحديث (1869-1969) تقديم د. ناجي معروف: 1/306، وينظر - معجم المؤلفين العراقيين، ص 375.

(2) من شعراءنا المنتسبين: عبد الله الجبوبي: ص 110.

(3) ديوان عبد الرحمن البنا، طبع 1345هـ - 1927م، مطبعة الفرات، بغداد: 2/165.

ومن خلال حديثنا عن المعارك الأدبية التي دارت في بداية العصر الحديث حول الحجاب والسفور وحول المطالبة بتحرير المرأة وتعليمها، نخلص إلى شيء مفاده أن سفور المرأة شيء وتعليمها شيء آخر نعم أن الإسلام نادى ب التعليم المرأة ولكن لتلتزم وزيها الشرعي.

هذا وأن الأهمية من تعليمها جاءت بناءً على الدور الخطير الذي تؤديه كأم في تربيتها لأولادها ومدى تأثير تعليمها على تلك التربية التي نتمنى لها أن تكون على أكمل وأتم وجه.

### عمل الأم خارج البيت وأثره في تربية الأبناء:

تبين لنا - واضحًا - خلال البحوث السابقة أن الرجل والمرأة معاً هما حجرا الأساس في بناء المجتمع الإنساني، ولا يمكن لذلك البناء الإنساني أن يعلو ويتکامل إلا بحدودهما المشتركة معاً.

ومنذ بدأت الحياة على وجه هذه الأرض كان الرجل والمرأة معاً يشتركان بوضع لبناتها الأولى ويعليان دعائهما إلى أن سما ذلك البناء وعلا كيانه بجهدهما المشتركة.

وبما أن التركيب الفسيولوجي لكل من الرجل والمرأة يختلف اختلافاً كبيراً تقتضيه طبيعة تكوينهما الخلقية والنفسية والجسدية والوظيفية، فإن طبيعة قدرتهما على العمل فيها من التميز ما يجعل لكل منهما قابليات خاصة به فهي إن اختلفت عن غيرها من قابليات الطرف الآخر فإنها تؤدي دوراً في الحياة العامة، لا يقل أبداً عن الدور الذي يؤديه ذلك الطرف الآخر إذ لكل منها أهميته وخطورته في بناء المجتمع.

واستمر عملهما مشتركاً وكل منهما يبذل طاقاته كلها ويستنزف قابلياته كلها وقام المجتمع الإنساني على أحسن ما يتمنى له من دعائين الجهد المشترك.

وهنا يبدو لنا كيف ازدهرت الحياة الإنسانية بجهدهما وعملهما المشترك كل حسبما هو مؤهل له من حيث الفطرة التي فطره الله عليها. وفطرة الله هي المثل الأعلى التي يجب أن يحتذى، وبموجب تلك الفطرة فإن المرأة تعمل ولكن في النطاق الذي أهلتها

له الطبيعة البشرية، ولذلك فهي منذ عهود الإنسان البدائية كانت تعمل داخل ذلك النطاق في إدارة شؤون البيت من تهيئة جميع مستلزماته وهي أعمال كبيرة وكثيرة وليس سهلة أبداً، بالإضافة إلى ما تقوم به من تربية أولادها الصغار لتجعل منهم رجالاً أشداء وأمهات حانيات ليستمر فلك البشرية بدورانه دوراناً سديداً مستقيماً.. كل يؤدي دوره في موقعه ومن موقعه، فإذا اختلفت المواقع والمواضع وأدى الإنسان دور غيره الذي هو غير مؤهل له تسرب الاختلال والانحلال إلى جميع مناحي الحياة.

فالمرأة إذن - بكل غرائزها وطبعها ومقومات تركيبها، مؤهلة إلى البيت وعمله المتشعب والكثير بما فيه من رسالة مقدسة شاءت لها الأقدار أن تكون تأديتها على يديها.

أما تكليفها بأداء الأعمال التي لا تطيقها ولا تحملها، أو بأعمال تطيقها ولكن تأديتها تكون على حساب وظيفتها الرئيسية في شؤونها البيتية وفي مقدمتها تربية الأبناء، فذلك ما ترفضه طبيعة المرأة وبالتالي لا يقره العقل ولا يرضاه الضمير ولا المروءة.

إذا هجرت المرأة إدارة شؤون مملكتها في داخل البيت، وتركت رعاية أبنائها، وتركتهم في تخبط أوهامهم يعمهم، فإنها بذلك تكون قد أخلت بالواجبات الطبيعية الملقة على عاتقها، وكان لذلك الإخلال أثر بالغ على أولئك الأبناء ومن ثم على سلوكهم الخاص والعام.

لذلك فإننا نجد الشعراء لم يغفلوا هذا الجانب المهم من الأمومة والبنوة، بل تطرقوا باهتمام بالغ إلى عمل الأم عموماً وأثره العميق على الأبناء.. ولكن ذلك الاهتمام اختلف باختلاف وجهات نظرهم، حيث أخذ كل منهم جانباً من جوانب تلك المشكلة وطرحها بشكل يتلاءم مع فكره ومزاجه.

فهذا الشاعر المجدد أحد رواد الشعر المعاصر الكبير الشيخ (محمد رضا الشبيبي) يعرض رأيه في قصidته " سراب الآمال " التي مطلعها:

دعوتـكـ أنـ تـهـبـ إـلـىـ المعـاليـ وـدـعـواـيـ الـخـيـالـ مـنـ الـخـيـالـ  
فيقول:

وأرباب الحجـالـهـمـ حـقـ وـقـ  
 بـتـ دـبـيرـ المـنـازـلـ هـنـ أولـىـ  
 وـلـوـ كـلـفـنـ جـلـبـ الـرـزـقـ كـانـتـ  
 وـمـنـ لـلـنـسـلـ تـرـبـيـةـ وـحـفـظـاـًـ  
 فـيـاـ بـنـتـ الـكـمـالـ نـعـمـتـ بـالـأـ  
 صـنـيـعـكـ لـلـيـمـيـنـ تـقـومـ فـيـهـ  
 مـفـاخـرـةـ وـمـهـدـكـ لـلـشـمـالـ<sup>(١)</sup>  
 إـذـاـ سـاـوـيـنـاـ فـيـ كـلـ حـالـ  
 وـلـسـتـ أـقـولـ يـاـ بـنـتـ الدـلـالـ  
 وـهـمـ أـولـىـ بـتـ دـبـيرـ النـزاـلـ

فهو هنا يرى بإصرار أن الأولى أن تؤدي رسالتها المقدسة في إدارة شؤون البيت وتربية النشئ. وبذلك

تقوم بإشراف عمل تزاوله من أجل ازدهار المجتمع وسلامته من آفات التخلف.

وربما كان شاعرنا (الشبيبي) يرد بقصidته هذه على الشاعر (الزهاوي) الذي بهرته نهضة الغرب الجبارية

والإسراف في اهتمامه بمساواة المرأة في الأعمال جنباً إلى جنب مع الرجل، فقال في قصidته " المرأة والرجل " :

لا يفضل المرأة المقدامة الرجل	في الغرب حيث كلا الجنسين يستغل
عليه أن نال منه العجز يتکل	كلا القرينين معتز بـ صاحبه
أما الحياة فالجنسين تكتمل <sup>(٢)</sup>	وكـلـ جـنـسـ لـهـ نـقـصـ بـمـفـرـدـ

وفي قصيدة أخرى عنوانها " ضلوا واضلوا " يذكر أن المرأة احتلت مناصب عديدة حين اقتحمت ميادين

العمل في الغرب فقال:

(١) ديوان محمد رضا الشبيبي: عنيت بنشره جمعية الرابطة العلمية والأدبية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940: ص100. ونشرت في مجلة العرفان سنة 1327هـ - 1909م.

(٢) مجموعة الزهاوي الكاملة (ط 1972): ص492.

للمرأة اليوم في مجلس البرلمان عقد وحل<sup>(١)</sup>

ثم يستمر بتعدد المناصب التي تبوأتها في الغرب فيدعون العراقيه إلى متابعتها في ذلك.. وكأن شاعرنا (الزهاوي) نسى أو تنسى أن هناك بيتاً يجب أن تبقى المرأة مسؤولة عنه وأن هناك أبناءً يجب على المرأة أن تبقى حريصة كل الحرص على تربيتهم التربية المناسبة.. ولم يلتفت إلى الانحلال الذي يطرأ على المجتمع الذي يتخلى عن مسؤوليته الأساسية ويقوم بأداء مسؤوليات كفاه من نيتهم بهم شؤونها.

وكما أشرنا في ثانياً هذا البحث إلى أن المرأة كانت تؤدي أي الأعمال التي لا تعارض مسؤولياتها في إدارة البيت وتربية الأولاد.. فهذه الشاعرة (عاتكة الخزرجي) يهزها منظر امرأة رأت أبنائها يغطون بنوم هنيء عميق ويضع ندى الفجر حبات من لآلئه على خدوthem المتوردة فتقبلهم قبلة الحنان العميق وتخرج إلى الحفل وهي ترتجف من البرد لتساعد زوجها ساعة من الزمان قبل استيقاظ أولادها فتقول الشاعرة:

قبيل الصباح جفت كوهـا  
وأطفـالهـا في الـكـرى غـارـقـون  
يـقـضـةـ ضـها الـبـرد عـرـيـانـةـ  
فـتـلـتـ فـبـالـشـعـر خـوفـ العـيـونـ<sup>(٢)</sup>

أجل ساعة من الزمان تعود بعدها ليفتح أطفالها عيونهم على نظرتها الحانية وبسمتها الدافئة فتغمرهم في ذلك السعادة.

وهذا الشاعر (مرتضى فرج الله) أثاره ذلك المنظر المؤثر حيث يرى الفلاحات بعد فراغهن من أداء أعمال البيت وتربية الأولاد يساعدن أهلهم من الرجال في أعمالهم في الحقول<sup>(٣)</sup>، فقال:

(1) مجموعة الزهاوي الكاملة: ص 323؛ وينظر ديوان الزهاوي (ط 1924): ص 33؛ وينظر - حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث: عربية توفيق للازم، ط 1، بغداد، 1971: ص 185.

(2) أدب المرأة العراقية في القرن العشرين: بدوي طباعة، ط 1، 1974: ص 152 من قصيدة "بائسة".

(3) ينظر في ذلك عمل المرأة وأثره على دورها في الأسرة (رسالة ماجستير): فريال بهجة عزيز، القاهرة، 1985: ص 58؛ وينظر - المرأة في الشعر العراقي الحديث - عربية توفيق للازم: ص 119.

بهجة الريف في الحق...ولبنات  
جهداتها لا يقل عن فتيانه

كالفراشات أيّن ما وجد الروض  
تراهـا تهـب مـن أحـضانه

تحسن العـزق والحراثـه والـسقي  
وتحميـي القـطـيع فـي وـديـانـه<sup>(١)</sup>

ولقد أثارت الشاعر (مرتضى فرج الله) ما تقوم به المرأة الريفية بعد فراغها من شؤونها بيتها وأولادها

من الجرش في الجاروش، فقال:

اجـتـريـشـي لـلـقـوتـ لاـ تـيـأسـي  
فالـكـسبـ فيـ أـرـجـائـهـ العـافـيـةـ

لـئـنـ تـرـكـتـ الـزـوـجـ فيـ وـحـشـةـ  
فـعـيـنـهـ مـنـ تـعـبـ غـافـيـهـ

لاـ تـهـجـرـيـهـ وـأـنـظـرـيـ فـرـصـةـ  
تقـصـيـهـ عـنـ حـيـاتـهـ القـاسـيـةـ<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

ومنذ بدء البشرية كانت المرأة بعد قيامها بشؤون بيتها والعناية بأطفالها، تقوم بمساعدة الرجل في

أعماله حسب الفراغ المتاح لها لا على حساب عملها في البيت وفي تربية الأولاد لذلك أشار الشاعر (صالح

الجعفرى) إلى ذلك بقوله:

أنـظـرـواـ المـرـأـةـ التـيـ سـلـفتـ  
كـيـفـ أـعـلـىـ مـقـامـهـاـ الـأـوـلـ

فـهـيـ تـأـتـيـ عـكـاظـ نـابـغـةـ  
وـهـيـ فـيـ الـحـرـبـ فـارـسـ بـطـلـ

وـهـيـ فـيـ بـيـتـهـ لـأـشـبـلـهـاـ  
مـرـأـةـ وـهـيـ فـيـ الـلـقـاـ رـجـلـ<sup>(٣)</sup>

(1) شعراء الغرب: علي الخاقاني، النجف، 1956-1954: 11/286 "عروض الفرات".

(2) المصدر نفسه: 11/274.

(3) ديوان صالح الجعفرى، بتحقيق علي جواد الطاهر، وتأثير حسن جاسم: ص 193 من قصيدة "هذبواها".

ويقول (الرصاف) في قصيدته " التربية والأمهات":

وفي هاتين القصيدتين يتضح لنا أن المرأة العربية وقبل المرأة الغربية بمئات السنين، شاركت الرجل في أعماله، ولكن ليس في كل أعماله.. وليس في الأعمال التي تعيقها عن مهمتها الأساسية في تربية الأبناء وإدارة البيت.

السوت.

ولعل خير ما نختتم به هذا البحث قصيدة عامرة عنوانها "الأمومة المحتضرة" للشاعرة (فطينة النائب) تدعى فيها (الفتاة) - أي فتاة - أن لا تخليها مظاهر الحضارة الحديثة وأن لا تجرفها تياراتها العاتية التي انتهت بكثير من العائلات إلى هدم بيوتها حين تخرج (المرأة الأم) لتجرفها تيارات العمل<sup>(2)</sup>، تاركة أفلالذ كبدتها برعاية الخادمات الجاهلات، فيالهول هذه المأساة التي بدأنا الآن نسمع الكثير والكثير عن آثارها السيئة وجراحتها التي لا تندمل؛ ولنستمع الآن إلى أبيات من تلك القصيدة لتكون نعم الختام لهذا البحث:

رويدك واس تقرى يافتاتي  
فقد خلبتك شتى المغريات  
وقد جرفتك اثباتي  
فأنست غرقة والبحر عاتي

.350 الرصافي: ديوان (1)

(2) ينظر في هذا الصدد - عمل المرأة وأثره على دورها في الأسرة: ص64.

طاية صيك عن سبل النجاة  
 ولم تصغي لنصح الناصحات  
 وهل أبصرت جهل الجاهلات؟  
 التي صنعت اكسف الوالدات؟  
 وفي سده ضلال الخادمات!  
 أما هزتك إحدى الحادثات!<sup>(٤)</sup>  
 وما قاومت واستسلمت دوماً  
 إلا أين النجاة ولم تبالي  
 بربك هل علمت بما نعاني  
 وهل أشفقت يوماً للماسي  
 إلام الطفل يحيانا في ظلام  
 ألسست رقيقة أو لست أاما  
 إذا نفهم من ذلك كله أن المرأة خلقت لتؤدية واجب إنساني مقدس، فالأولى أن تؤدي رسالتها المقدمة في  
 إدارة شؤون البيت وتربية النشء. وبذلك تقوم بأشرف عمل تزاوله من أجل ازدهار المجتمع وسلامته من آفات  
 التخلف.

وإن أدت وظيفة أخرى على حساب وظيفتها الرئيسية هذه، فإنها تكون قد أخلت بالواجبات الطبيعية  
 الملقة على عانقها، ذلك الإخلال الذي يتسرّب إلى الأبناء فيؤثر على سلوكهم.  
 فكان نداء واضح وصريح من أغلب الشعراء لبعض الأمهات اللاتي انجرفن بمظاهر الحضارة الحديثة  
 وانتهى بكثير من العائلات إلى هدم بيوتها حين تخرج الأم إلى العمل، وأفطع من هذا كله أن ترك أولادها برعایة  
 الخادمات الجاهلات.

لكن هذا لا يمنع أن وجدت لديها فسحة من الوقت لا تتعارض مع أداء واجبها فإنها تؤدي بعض  
 الأعمال الأخرى ممساعدة زوجها أو أبيها أو أخيها أو أبناء وطنها.

---

(٤) ديوان لهيب الروح - فطينة النائب: ص109.

يستمد الآباء والأمهات فرحتهم بأبنائهم، من حبهم الطبيعي لهم، وحنوهم الغريزي عليهم، وتعلقهم بهم، ويزداد هذا الحب والحنو والتعلق عند الارقاء بالأبناء إلى أعلى المستويات، الأدبية والأخلاقية، ولن يتم لهم ذلك الارقاء إلا بالتوجيه والإرشاد والنصائح الذي يقدمه الآباء للأبناء.

ويجسد لنا هذا المعنى الشاعر الشيخ (محمد بهجت الأثري) عندما ولدت له مولودة وهو في السجن وأسمها (زينب) حيث لم تمنعه ظروف السجن القاسية والمرارة التي يكابدها فيه من أن تتدفق قريحته بقصيدة مؤثرة يعكس فيها حبه لأبنته الوليدة (زينب) التي لم تكتحل عيناه برؤيتها بعد، لأنه يعيش في غياب السجن بعيداً عنها وعن أمها، ولم يكتف بتصوير عواطفه تجاه ابنته الوليدة وإنما كان يغمرها بنصائحه وتوجيهاته وإرشاداته في قصidته تلك، حيث يقول فيها:

يابنت خير الأمهات	في معالي الحسب
ألقلي لها الزمان	ن طاعة الماء ودب
وأكثري البر بهما	ف البر خير مكاسب
إياك والتفكير	إلا في رفيق الرتاب
من العفاف والحياء	ء والعوال والأسباب <sup>(١)</sup>

وسار شاعرنا (الأثري) على هذا النهج في توجيهه لأبنائه وإسداء النصائح لهم والتوجيهات النافعة في حياتهم، فقال في قصيدة أخرى يخاطب بها أبنه الصغير من معتقله في العمارة في عام 1948م، نقتطف منها:

(1) ديوان ملاحِم وازهار: الشيخ محمد بهجت الأثري: ص 384.

ولا يك بالله هو منك اعـاصـام	تـيـقـظ وـدـعـ غـفـ لـاتـ الـ صـبا
لـكـسـبـ الرـهـانـ وـأـخـذـ الزـمـامـ	فـهـذاـ أـوـانـ طـلـابـ الـكـمالـ
ولـاتـكـ فيـ المـجـدـ إـلاـ (عـاصـامـ)	تلـقـ مـنـ الـعـمـمـ غـايـاتـهـ
فـخـارـكـ أـبـيـ إـبـوكـ الـهـمـامـ	ولـيـسـ بـمـغـنيـيـكـ فـيـ حـالـةـ
ورـاعـ مـعـ النـاسـ حـقـ الـذـمـامـ	ورـاعـ مـعـ اللـهـ حـقـ التـقـىـ
مـنـ الـعـلـمـ عـنـدـ الـذـيـ الـهـمـامـ	وـمـعـرـفـةـ الـنـفـسـ أـقـصـىـ الـمـنـىـ
ليـوـدـعـ مـنـ درـ نـصـحـيـ نـظـامـ	أـعـرـيـ فـؤـادـكـ لـاـ مـسـعـيـكـ
بنـصـحـ قـةـ لـلـحـيـاةـ الـسـلـامـ <sup>(1)</sup>	إـذـاـ اـنـتـ مـنـ يـ لمـ تـنـفـعـ

وهذا شاعر آخر من شعراء النهضة الأدبية الحديثة هو الشيخ (محمد علي اليعقوبي) عميد الرابطة الأدبية في النجف، يسافر من مدينة النجف إلى (بغداد) التي يطول مكثه فيها وذلك عام 1358هـ - 1939م فتفجر في حنایاه عواطف الأبوبة شوقاً وحنيناً إلى ولده البكر (موسى) فينظم قصيدة يعرب فيها عن حبه له وشوقه وحنينه إليه، وينثر في ثناياها نصائحه وإرشاداته وتوجيهاته له في حياته. ونظراً لروعه تلك القصيدة وأهمية تلك النصائح والإرشادات فإننا ننقل فيما يلي قسمًا من تلك القصيدة الرائعة التي عنوانها "وصايا ونصائح":

وعن عيني خيالك لا يغيب	بعدت وأنت من قلبي غريب
كأني بين أحبائي غريب	إذا ماغبت عنّي بعض يوم
عيون الدمع ليس لها نضوب	ذكرتك ياباني وفي عيوني
فليس الحب أن تنسوا القلوب	فهـ لارق قلبك مثل قلبي

(1) دیوان ملاحم وأزهار: ص 403، قصيدة عنوانها "إلى ولدي".

بـنـي هـل الـهـ وـي إـلا دـمـ وـع  
 أـصـحـ لـأـيـكـ يـا مـوسـيـ وـخـذـهـا  
 تـسـوقـ الـجـهـ لـأـنـ الـجـهـ لـدـاءـ  
 وـرـدـ رـوـضـ الـمـعـ اـرـفـ وـالـمـعـ اـلـيـ  
 أـظـنـكـ إـنـ سـعـيـتـ لـهـاـ تـنـلـهـاـ  
 وـلـ تـقـرـأـ سـوـىـ الـأـخـلـاقـ دـرـسـاـ  
 وـثـقـ بـالـلـهـ تـسـلـمـ إـنـ أـلـمـتـ  
 وـمـلـ عـنـ حـرـفـةـ الـأـدـبـ اـجـتـنـابـاـ  
 وـمـهـمـاـ ضـافـتـ الـأـحـوـالـ يـوـمـاـ  
 رـعـيـتـكـ فـيـ الشـبـابـ عـسـاكـ تـرـعـىـ  
 إـنـكـ إـنـ عـصـيـتـ الـيـوـمـ قـوـلـيـ  
 سـتـعـلـمـ وـالـتـحـارـبـ شـاهـدـاتـ

مـرـقـةـ وـأـحـ شـاءـ تـذـوبـ  
 وـصـاـيـاـ لـيـسـ فـيـهـاـ مـاـ يـرـبـ  
 عـضـالـ لـاـ يـعـالـجـهـ الطـيـبـ  
 فـإـنـ الـجـهـ لـمـرـتـعـهـ جـدـيـبـ  
 وـظـنـ الـمـرـءـ أـحـيـانـاـ يـصـبـ  
 فـيـهـاـ لـلـعـلـىـ تـرـقـىـ الـشـعـوبـ  
 بـكـ الـأـحـدـاثـ يـوـمـاـ وـالـخـطـوبـ  
 فـشـعـبـكـ لـاـ يـعـزـ بـهـ أـدـيـبـ  
 يـكـنـ مـنـ بـعـدـهـاـ فـرـجـ قـرـيـبـ  
 أـبـاكـ إـذـاـ أـلـمـ بـهـ الـمـشـيـبـ  
 وـغـرـكـ بـارـقـ الـعـيشـ الـخـلـوبـ  
 بـأـنـكـ مـخـطـئـ وـأـنـاـ الـمـصـبـ<sup>(١)</sup>

وهذه شاعرة أخرى من شاعرات النهضة الأدبية الحديثة هي الشاعرة (فطينة النائب) نجد في ديوانها

((لهيب الروح)) قصيدة عامرة بالإرشادات وطاقة بالوصايا القيمة والنصائح النافعة لابنها الوحيد (سعید)

نقتطف منها الأبيات التالية التي نقرأ بين سطورها أسمى عواطف الأمومة الطافحة بأعظم النصائح والإرشادات

التي تمنى أن يتحلى بها ولدها، فتقول:

بـنـي اـسـمـعـ فـإـنـ الـحـقـ قـوـلـيـ  
 كـفـانـيـ أـنـ تـصـيـخـ وـأـنـ أـقـ وـلـاـ

(١) ديوان الععقوي: مطبعة النعمان، النجف، 1957م، ط: 1، 140/1.

أرى عدد الرجال بها قليلا  
وحلق للنجوم لكي تطولا  
إلى العلياء ولا ترض القف ولا  
فلست مني إن كنت الذليل  
فخير الناس ارجوه عقاولا  
إلى أن يظهر الحق الدليل  
لكي أهديك إن رمت الخليل  
ضعيفاً يرتجي الظل الظليل  
ولاتراك في ت quamهم كالليل  
وأرجو أن تكون لها فعلا  
فأسمي الخلق أشرفهم ميلا  
يسيل يراعيه عذباً جزيلاً  
يعشن على المدى جيلاً فجيلاً  
فخلفك قلب أم لـنـ بـحـ مـلا<sup>(١)</sup>

فَكَنْ رِجَالًا وَكَافِحَ فِي بِلَادِ  
وَكَنْ كَالْمَدْهُرِ جَبَارًا عَظِيمًا  
وَسَرْ قَدْمًا مَعَ الْأَيَامِ وَاصْعَدَ  
فَدِيتَكَ لَا تَهُنَّ وَارْفَضْ خَضْوعًا  
وَفَكَرْ مَا اسْتَطَعْتَ بِكُلِّ أَمْرٍ  
وَقَالَ كَبَرْ رَأْيِي بَارِتِيَابَ  
وَلَا تَأْمُنَ رَفَاقَكَ وَاسْتَشْرِفَني  
وَأَحْبَبَ كَلِّ مَظَالِمَ وَسَاعَدَ  
تَبَّأْ سَمَّ لِلصَّعَابِ وَلَا تَهْبِهِ  
وَلَا تَسْرِفْ بِقَوْلِ أَوْ وَعِودَ  
وَهَذْبَ مِيلَ نَفْسِكَ بِالْتَّسَامِيَّ  
سَتَصْبِحَ شَاءِ رَبِّيَّاً إِنْ شَاءَ  
يَصُوغُ لَنَا الْقَوْلَ وَفِي ثَيَّارَاتِ  
تَخَاهُ مَا تَشَاءُ بَنَّ، وَانْهَضْ

أما رائد الشعر الحر الشاعر (بدر شاكر السياب) فإنه يحس بأعمق المشاعر والأحاسيس تجاه ابنه (غيلان) وتزداد مشاعره وأحاسيسه تجاه ابنه وهو على فراش الموت فلا ينساه في تلك اللحظات الرهيبة فيخاطب زوجته وأم أولاده السيدة (إقبال)

(1) ديوان فطينة النائب: ص 9-12، قصيدة عنوانها "آمال أم".

موصيًّا إياها بأن تكون له كما يتمنى أن تكون وأن تعلم ما يجب أن يتعلم فيقول مخاطبًا

لها:

إقبال يا زوجتي الحبيبة  
لا تعذليني ما الملاي بيدي  
ولست لو نجوت بالمخلد  
كوني لغيلان رضي وطبيه  
كوني له أباً وأمًا وارحمي نحبيه  
وعلميه أن يديل القلب لليتيم والفقير

(١) ..... وعلمي

وهذا شاعر مجدد آخر من شعراء النهضة الأدبية الحديثة هو الشاعر (صالح الجعفري) يصور اهتمامه

البالغ بأولاده معرباً من خلال ذلك عن محبته لهم بالتوفيق والسعادة والنجاح الباهر في حياتهم لأنهم معقد

آماله وامتداد وجوده فيخاطبهم قائلاً:

بنـي وـهـبـتـكـمـ عـيـنـيـ لـأـلـقـ بـكـمـ عـنـهـ اـعـيـونـاـ مـبـصـراتـ  
انـسـرـتـ درـوبـ اـمـ سـكـمـ فـ شـبـواـ  
غـرسـ تـكـمـ وـرـوـدـاـ فـ حـيـ شـقـقـكـمـ عـطـ وـرـاـ فـ وـفـاتـيـ  
فـكـونـ وـاـعـنـدـ ظـنـيـ كـيـ أـرـانـيـ حـيـسـتـ بـرـوحـكـمـ بـعـدـ اـلـمـاتـ<sup>(٢)</sup>

(١) العبد الغريق، دار العلم للملائين، بيروت، 1962: ص 161.

(٢) ديوان صالح الجعفري: جمع وتحقيق د. علي جواد الطاهر وثائر حسن جاسم: ص 407، رباعية عنوانها "إلى أولادي".

وهكذا فإن كل الآباء والأمهات يرجون لأولادهم أن يكونوا على أروع ما يتمنون من السلوك القويم والصفات الحميدة والجد والاجتهاد وشق طريقهم المثالي في الحياة.

وتتحطم تلك الأماني على صخرة الخيبة، حينما يرى الآباء والأمهات أبناءهم وقد خاب فيهم كل ما كان يرجونه لهم. فهذا الشاعر (صالح الجعفري) نفسه نراه يعبر عن خيبة أمله في ابنه فيخاطبه بمرارة وألم عند رسوبيه، رغم كل أتعابه وجهوده تجاهه:

قد كتلت أملـ لـ أـ شـ بـ  
بـ هـ دـ بـ عـ دـ اـ مـ شـ بـ  
مـ تـ هـ لـ الـ قـ سـ مـ اـتـ وـ ضـ لـ حـ  
حـ تـ إـ ذـ إـ فـ اـ حـ اـ تـ شـ مـ اـئـ لـ  
وـ حـ مـ دـ اـ تـ أـ عـ سـ اـ يـ وـ هـ نـ أـ ئـ يـ  
عـ اـ فـ التـ طـ لـ لـ شـ روـ قـ

مستلهماً سر النجاح من التخبط في الرسوب

أ ألومه، أنا لا ألوم سوى نصبي<sup>(١)</sup>

وما أعمق ما تتجلى به عواطف الأبوة الحانية بحيث يتحاشى لوم ابنه على فشله في الدراسة، فلا يلقي الذنب عليه بل يلقي كل اللوم على نصبيه الذي انتهى به إلى الفشل الذريع؛ فهل توجد عاطفة في الدنيا أسمى وأعمق من عاطفة الأبوة هذه ؟

\* \* \*

وأدهى من ذلك كله أن نجد بعض الأولاد رغم قيام آبائهم وأمهاتهم - على وجه الخصوص - بأسباغ الحب الوارف عليهم وتوجيههم التوجيه الجيد الذي يجب أن يتبيّنوا فيه الخيط الأبيض من الخيط الأسود.

(١) الديوان نفسه: ص 65 من قصيدة عنوانها "التعب الصائغ".

أجل، رغم ذلك كله فإننا نرى بعض الأولاد لم يكتفوا بعدم الأخذ بنصائح الآباء والتوجه نحو الطريق الأمثل الذي يجب عليهم أن يسلكوه ولكنهم - ولأسباب رها تعود إلى ما تركب في أعماق نفوسهم من الطبائع والغرائز التي هي من اختصاصات علم النفس لأمن اختصاص بحثنا الأدبي هذا - أجل، ولكنهم يقابلون كل ذلك الحب والتوجيه الذي يغمرهم به الآباء والأمهات بالجحود والنكران، بل بالعقوق الذي هو شر مظاهر ذلك الجحود.

وهذا الشاعر (صالح الجعفري) يرسم لنا صورة مؤلمة لأم كان يتعلق بها ابنها في طفولته لحاجته إليها ثم  
كيف عقها وتنكر لها بعدها كبر وصلب عوده؛ فقال على لسان الأم:

وصورة أخرى من صورة ذلك الجانب المعتم من واقع حياتنا الاجتماعية المزءوجة، الذي هو "الحقوق" يرسمها لنا الشاعر (صالح الجعفري) لولد عاقد لأبيه، فيقول فيها على لسان الأب يخاطب فيها ذلك الولد بقصيدة باللغة الروعة والجمال، يقول:

ووصلت اليوم خمسان	<sup>(i)</sup>	م أني	يقط	كم ق ضيت اللي ل س هر	ان لتهن ساء	بعد جه زائي	هكذا ك ان ج زائي
صباخ	مسائٍ	في عداد الـ	سعادة	كم ق ضيت اللي ل س هر	ان لتهن ساء	بعد جه زائي	هكذا ك ان ج زائي
صباخ	مسائٍ	في عداد الـ	سعادة	كم ق ضيت اللي ل س هر	ان لتهن ساء	بعد جه زائي	هكذا ك ان ج زائي
صباخ	مسائٍ	في عداد الـ	سعادة	كم ق ضيت اللي ل س هر	ان لتهن ساء	بعد جه زائي	هكذا ك ان ج زائي

<sup>(1)</sup> ديوان الحفري: 474 "الأم المحرومة".

ودفعت البرد عن جسمك غضًّا بكسائي

لأبالي - وأنا الشيخ - بالأم الشتاء

- وتناسیت إذا انتابك داء - الف داء

## واجدواً بين ثنایاًك دوائي وشفائي

كم تركت البيت حيران ومن دون رجاء

جـ سداً لا روح فيـ ٤ تاركـ قلبـ يـ ورائيـ

واتيت الدرس قبل الوقت من دون اهتمام

منهياً باسمك موضوعي من قبل ابتدائي

## وکلاني رغام افغان صاحي ماء صاب بالعي

ک م تطا ف ت بلط ف ن ازا لاع ن ک بر پی ائی

واناغيك بما يشبه لحن الببغاء

كنت عذري حينما أسأل عن سر انطوائي

كنت اعدتك عكاذي لضعفي وانحنائي

## وسراجی - سلمت عیناک - آن غاب ضیائی

أمِنَ الرَّحْمَةِ أَنْ تَأْخُذَنِي الْخِلَاءُ بِ

(1) خمسان: جو عان.

وأناديك فـ لا تفتح قلبـاً  
 نـ دـائـيـ  
 نـاسـ يـأـيـ أـعـطـيـةـ  
 سـخـاءـ يـبـ كـ  
 منـكـ رـأـيـ رـبـيـتـ  
 رـاءـ فـرـخـ بـعـاـ

فإذا قدرت أن الخلف من بعض وفائي

فترقب (لا ولن أفعل) آثار دعائي<sup>(١)</sup>

---

(1) ديوان صالح الجعفري: 27، من واقع حياة الأبوة والبنوة، قصيدة عنوانها " دغدغة ".



## الفصل الثاني

العلاقات الاجتماعية في شعر الأمومة والبنوة



## الفصل الثاني

### العلاقات الاجتماعية في شعر الأمومة والبنوة

حقوق المرأة الاجتماعية:

في هذا الفصل نتحدث عن العلاقات الاجتماعية في شعر الأمومة والبنوة؛ وأول ما نبدأ به الحديث عن تلك العلاقات هو عن غمط أغلب الحقوق الاجتماعية التي يجب أن تتمتع بها المرأة. لذلك فإن أول عنوانات هذا الفصل هو ((حقوق المرأة الاجتماعية)) والذي يعرفه الجميع أن أغلب تلك الحقوق كانت مغموطة وقد غمطها الرجل سواءً كان ذلك في إطار البيت أم في إطار المجتمع.

ولأهمية الموضوع فقد ألفت فيه كتب وكتب بحوث عديدة مما يتضمنها أن لا ننسى في شرح ذلك، لأننا وبلا مبالغة لن نأتي بجديد، ولكن الذي يكفيانا الآن ونحن نتحدث عن حقوق المرأة الاجتماعية أن نشير إلى ذلك إشارات موجزة ومركزة، ليكون ذلك الإيجاز والتركيز مدخلاً إلى عنوانات هذا الفصل التي سنتحدث عنها في هذه الدراسة.

كان المجتمع العراقي - ونحن نتحدث عن حقوق المرأة الاجتماعية في العراق - يعامل المرأة بكل قسوة ويشدد عليها كل التشديد، مما أدى إلى فقدانها حرية التفكير وإبداء الرأي حتى عن ابسط حقوقها وأخص الخصوصيات التي تمس صميم حياتها الشخصية حتى وصلت بها الحال إلى أنها لا تستطيع إبداء رأيها حتى في شريك حياتها الذي ستقتضي معه عمرها كله بحلوه ومره، فلا يسمع لها صوت في رفض أي متقدم للزواج منها إذا ثمت موافقة أسرتها على ذلك، مهما كان مستوى ذلك المتقدم لطلب يدها من حيث الخلق والسلوك والصفات والطبعات..

والذي يثير الدهشة أن ذلك ليس مقتصرًا على الفتيات الصغيرات فقط، بل أن الزوجات وحتى الأمهات لا يسمع لهن أي رأي فيما يتعلق بوضع الأسرة - التي هي جزء لا يتجزأ منها - فالرأي للرجال وحدهم لا للنساء.

ذلك من حيث حرية الرأي، أما من حيث التعليم فكما سبق أن أشرنا إلى ذلك في موضعه من الفصل السابق من أن المرأة لم يكن المجتمع ليسمح بتعليمها حتى مبادئ القراءة والكتابة... تلك هي القاعدة العامة وطبعاً لكل قاعدة شذوذ، وهناك أسر قليلة، وقليلة جداً تعلم بناتها في الكتاتيب أو على أيدي الشيوخ، ولكن تلك المتعلمات لا يمثلن في المجتمع النسائي إلا نسبة ضئيلة جداً ربما لا تتعدى الواحد من الألف.

وأن ذلك التضييق الاجتماعي على المرأة يمشي معها ويصاحبها منذ ولادتها حتى آخر يوم من حياتها، حيث كانت النظرة المشؤومة إليها تحدق بها وتطوّقها - عند أغلب الأسر - منذ أن تفتح عينيها على نور الحياة، فكم من أب إذا علم أن زوجته ولدت له بنتاً تقوم قيامته ولا تقدر، ولا ينظر إلى تلك المولودة البريئة إلا بعين الازدراء والاحتقار.

وأما في أثناء طفولتها فإنها تعامل ليس كما يعامل الذكور، وبعد ذلك حين تصل إلى مرحلة اليفاعة تفرض عليها قيود أشد، فهي لا تخرج من البيت حتى في الزقاق الذي يقع فيه مسكن أسرتها.

ثم إذا هي كبرت وصارت فتاة تقارب مرحلة النضج يفرض عليها المجتمع قيوداً أكثر شدة وأشد قسوة وذلك أن لا تخرج إلا مع أفراد أسرتها وهي مثقلة بأشد أنواع الحجاب التي تتعدى حدود الحجاب الإسلامي.

ولقد صور لنا المشاعر (الرصافي) حالة المرأة في تلك الفترة خير تصوير في قصidته " المرأة في الشرق "

حيث يقول:

عليهن في حبس وطـول ثـواب	لـقد غـمـطـوا حـقـ النـسـاء فـشـدـدوا
عـاـيـهـن إـلا خـرـجـةـ بـغـطـاءـ	وـقـدـ أـلـزـمـ وـهـنـ الـحـجـابـ وـأـنـكـرـوا
يـغـارـونـ مـنـ نـورـ بـهـ وـهـوـاءـ	أـضـاقـواـ عـلـيـهـنـ الـفـضـاءـ كـأـنـهـ

أهانوا بهن الأمهات فأصبهوا بما فعلوا من ألام اللؤماء<sup>(١)</sup>

وهناك كثير من الشعراء صوروا تلك الحالة ورسموا بريشتهم الشعرية البارعة نماذج من تلك الصور

لحياة المرأة في تلك الفترة، ونذكر من أولئك الشاعر (عبد الحق فاضل)<sup>(٢)</sup> في قصidته "الجمال الضائع" التي

نظمها عام 1939 والتي جاء فيها قوله:

وأنست في السجن لا يصغي لشكواك  
ترنزو إلى معا وراء المستر عيناك  
تذوين شيئاً فشيئاً دون معا باي  
وعزيزوك بآن القيد اضناك  
لو حبروك افادوا معا مزاياك  
وادركونا الخير معا شاؤوا وإياك<sup>(٣)</sup>

تلك صورة عن حياة المرأة الاجتماعية في المدن؛ أما في الأرياف فحياة المرأة الاجتماعية تمثل العجب

العجب، لما ينطوي عليه ذلك من التناقض فهي فضلاً عن قيمتها بكل أعمال البيت فإنها تشارك الرجل في أغلب أعماله حيث ترعى معه الماشية وتساعده في الحرش والبذر والسبقي والمحاصد، ومع ذلك كله فهي لم تلق عند الرجل التقدير والاحترام اللائق بها وبجهودها فلا يسمع لها رأي في أي شأن من الشؤون العامة

(1) ديوان الرصافي: شرح وتعليق - مصطفى علي: 332/2.

(2) عبد الحق فاضل - من مواليد الموصل 1911، لع عدة مؤلفات سجلها كوركيس عواد في معجمه: 233/2.

(3) الفكر الاشتراكي في الأدب العراقي: عبد اللطيف عبد الرحمن، رسالة ماجستير، كلية الآداب، بغداد، 1976: 311.

وحتى الخاصة، فزاجها مثلاً يتم في عملية ربما تكون أقرب إلى عمليات البيع والشراء<sup>(١)</sup>.

(وبقيت المرأة العراقية عموماً على تلك الحال تعيش اضطهاد التقاليد البالية وتتلوي تحت سياط التسلط الاجتماعي الموجع إلى أن بدت تبادر فجر النهضة الحديثة في آخريات القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فكان مما نادت به تلك النهضة الدعوة إلى تحرير المرأة من صنوف التخلف، بإعطائها حقوقها المشروعة التي من أبرزها التعليم والسفر الشرعي واحترام أرائها فيما يتعلق بشؤونها الخاصة أو بالشؤون العامة<sup>(٢)</sup>؛ لتأخذ المرأة دورها اللائق بها الذي يتناسب مع طبيعتها زوجةً صالحةً وأمًا حنونًا تمثل نصف المجتمع الذي لا يتم صلاحه إلا بصلاحها وتقديمه إلا بتقدمها.

ولقد أثارت تلك المعاناة التي كانت تكابدها المرأة مشاعر الشعراء المجددين وألهبت عواطفهم وأذكى أحاسيسهم، فرسموا صوراً بارعة لوضع المرأة الاجتماعي عموماً والأم خصوصاً؛ واندفعوا بكل حرص وصدق إلى الدفاع عن حقوق المرأة المهمومة التي غمطها أبناء المجتمع، فهذا أحد شعراء النهضة الحديثة الكبار الشاعر صالح الجعفري) يصرخ في وجه من فرضوا تلك التقاليد الظالمية مخاطباً إياهم بقوله:

هـ ذبوها فإنهـ سـا بـ شـرـ  
لـكـ مـالـ حـيـا تـفـتـةـ رـ  
الـنـ وـامـيسـ بـيـ نـكـ شـرعـ  
فـهـ يـأـنـثـيـ وـآـخـرـ ذـكـرـ  
أـلـكـيـ تـسـتـحـيلـ حـامـضـةـ  
فيـ زـوـاـيـاـ الـبـيـوتـ تـدـخـرـ؟ـ  
وـأـدـوـهـ سـاـ وـقـهـ سـاـ غـمـطـ وـاـ  
ربـ رـحـمـاـكـ أـنـهـ سـمـ كـفـرـواـ  
زمـ وـأـنـهـ سـمـ بـذـاـ رـبـحـ وـاـ  
لاـ وـعـيـنـيـ كـ أـنـهـ سـمـ خـ سـرـواـ

(1) ينظر - المعارك الأدبية حول الدعوة إلى تحرير المرأة: ص 3-10.

(2) المصدر نفسه: ص 45. وينظر- تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين: د. داود سلوم، مطبعة المعارف، بغداد، 1959: ص 27.

فَكَمَا نَرَى فِي ثَنَاءِ تَلْكَ الْمُقْطَوْعَةِ، يَقُولُ الشَّاعِرُ أَنَّ النَّوَامِيسَ الطَّبِيعِيَّةَ تَسَاوِي بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ فَهُمْ

شركاء في بناء المجتمع فهذا ذكر وتلك أنثى وهذا رجل وتلك امرأة، وعلى عاتق الجميع تلقي مسؤولية تقديم

الأسرة والمجتمع، فإن الله سبحانه وتعالى خلق المجتمع من رجال ونساء وعلى كل فرد منهم واجبات معينة

يؤدي القيام بها إلى ازدهار ذلك المجتمع.

وهذا الشاعر (مرتضى فرج الله) يدعو بنات اليم اللواتي هنّ أمهات الغد أن يتّهيأن كل التّهيؤ لذلك

الغد باسم المشرق وأن يصلحون من غراسهن لكي يعطى أطيب الشمر، وذلك لأن كيان الشعب لا يمكن أن يرقى

إلى المستوى اللائق به إلا بكمال الأمهات فقال:

يَا ابْنَةَ الْيَوْمِ اسْتَعِدُ بِهِ مَاتَ الْغَداة

اصلاحی نہ سک غرسک ب الثم کی تطییب رات

**في كان الشعبي سمو الأمهات**

ولعل الشاعر (الزهاوي) أكثر الشعراء تعبيرًا عن طمس معالم حقوق المرأة الاجتماعية، فتحدث عن

سجن المرأة في البيت الذي يؤدي إلى شلل نصف المجتمع لأن المرأة هي التي تمثل ذلك النصف بال تمام والكمال،

قال في قصidته التي عنوانها " هزاوا هزاوا " :

(1) نشرها الأستاذ الهلالي ضمن شعر (محمد باقر الشبيبي) سهراً في كتابه "الشاعر التأثر" وهي للشاعر (صالح الجعفري) منشورة في ديوانه المطبوع عام 1985 بجمع وتحقيق د. علي جواد الطاهر وتأثير حسن جاسم: ص 193، ويشار إلى أن الأستاذ الهلالي نفسه اعتذر عن هذا السوء الذي وقع فيه فأشار إلى ذلك في كتاب له صدر بعده بعنوان: (دراسات وتأ查明 عاقبة)؛ ص 63.

(2) مجلة المرأة الحديثة: حمدية الأعرج، ٢٤، السنة الأولى، ١٩٣٦، ص ١٠.

هـ زأوا بالبنـات والأمهـات  
 هـ كـذا المـسلمون في كـل صـقـع  
 سـجنوهـن في البيـوت فـشـلـوا  
 منـعـوهـن أن يـرـين ضـيـاءـ  
 دـفـوهـن قـبـل مـوـت مـريـحـ  
 وـفي بيـوت لـزـمـنـه سـاـكـبـنـ منـعـبرـات<sup>(١)</sup>

وقال (الزهاوي) في قصيدة أخرى، يعبر فيها عن ظلم النساء الفظيع وغصب حقوقهن محذراً من

الشعب الذي تغmet كل حقوق أبنائه من رجال ونساء، وعنوان تلك القصيدة " يا ابنة يعرب " :

غـصـبـوا النـسـاءـ حـقـ وـقـهـنـ  
 الـقـوـمـ يـاـ اـبـنـةـ يـعـربـ  
 ظـلـمـ وـكـ ظـلـمـاـ مـاـ رـأـيـتـ  
 لاـقـيـ بـالـقـوـمـ أـنـ  
 حـجـبـ وـكـ عـنـ أـبـنـاءـ نـوـ  
 سـجـنـوـكـ فـيـ بـيـتـ اـرـيـدـ  
 لمـ يـعـ دـلـواـ إـذـ غـارـدـ  
 وـنسـوـ حـقـوـقاـ لـاـ يـكـونـ بـدـونـهـنـ العـيـشـ رـغـداـ

الـامـ لـوـرـقـيـتـ لـرـبـتـ عـنـ هـدـيـ لـلـشـعـبـ وـلـدـاـ

(1) ديوان الزهاوي (ط1972): ص319

★ ★ ★

في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين غمطت حقوق المرأة الاجتماعية سواء كان ذلك في إطار البيت أم في إطار المجتمع، ومن أبسط تلك الحقوق المشروعة هو احترام رأيها فيما يتعلق بشؤونها الخاصة أو العامة وأهمية تعليمها.

لذا حاول الشعراء تصوير حالة المرأة في تلك الفترة فاندفعوا بكل حرث إلى الدفاع عن حقوقها المهمضومة. كل ذلك لتأخذ دورها اللائق بها والذي يتنااسب مع طبيعتها زوجة صالحة وأمًا حنونًا مثل نصف المجتمع الذي لا يتم صلاحه وتقدمه إلا بصلاحها وتقدمها.

## الزواج:

الزواج هو سنة الله الطبيعية لتكوين المجتمعات البشرية وفروعها مُوًّا سوياً، متكملاً، ولقد (اقتضى إرادة الله سبحانه أن يكون مبدأ هذا الخلق مكون من ذكر وأنثى، فما لم يتم التلاقي بين هذين العنصرين لا يتحقق النسل ولا يتم التكثير بين المخلوقات البشرية وغيرها من كافة الفصائل الحيوانية، لذلك بحث الرجل عن المرأة ليجد فيها ما يحقق له الشيء الذي يتغيه من شريك في حياته، وتبعته المرأة لأنها مخلوقة له فهي نصفه المنشود وكان من ثمر هذا اللقاء " البنون " الذين هم زينة هذه الحياة الدنيا) <sup>(٢)</sup>.

دیوانه: 325 - 326 (1)

(2) الطلاق أبغض الحلال إلله: عز الدين، بحـ العـلوم، طـبـعـ بـغـداـ، 1988: صـ 32.

٤٠ ص: نفسيه (٣) | الصدر

ولأهمية وقدسيّة الارتباط بين الرجل والمرأة نرى جل الاهتمام منصبًا عليه بوصفه (سُنَّةً ثابتةً) دقيقة لا تسير على نحو من الاعتباط والعبث ولا تسير على مقتضى نواميس لا تقبل التغيير<sup>(١)</sup>.

هذا الارتباط الذي دعا إليه الدين الحنيف وحث عليه القرآن الكريم بقوله تعالى: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْواجًا لَتُسْكِنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مُوَدَّةً وَرَحْمَةً"<sup>(٢)</sup>; والسنة النبوية تحت المسلمين على الزواج، فقد قال محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): "تَزَوَّجُوا فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأَمْمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(٣)</sup>; فقد بارك الإسلام للزوجين بناءً بيتهما السعيد وورده في الأثر: "مَا بَنَى بَنَاءً فِي الْإِسْلَامِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ التَّزْوِيجِ"<sup>(٤)</sup>; لأن هذا الارتباط المقدس، الأساس الرصين الذي يقوم عليه كيان الأسرة، (فحضن الأسرة هو البيت هو المدرسة التي يتلقى فيها الجيل الصاعد تعاليمه وفيها يتهيأ للأفراد أن يكونوا أعضاء صالحين ينتفع بهم المجتمع أو فاسدين ينخررون في كيانه. وإذا كان البيت هو المدرسة الأولى فإن الزوجين هما نواة الهيئة التعليمية في تلك المدرسة الحياتية الكبرى)<sup>(٥)</sup>.

ويجدر بنا أن نوضح أن الزواج لا ينعقد بصورته الحقيقية وبشكله المثالى بورقة العقد الرسمية، وإنما يتحقق له الانعقاد الأمثل بتوفّر الانسجام الوئام لكي يتم بناء أسرة سوية وسعيدة وبيت يبني كيانه على الوئام والتفاهم، الذي يؤدي بهم إلى ال�ناء والعيش الرغيد، وقد جسد لنا تلك المعانى الشاعر (محمد صالح بحر العلوم) حين قال:

ليس الزواج سوى عقد يقوم به  
كلا الفريقين إيجاباً وتصديقاً

---

(١) المصدر نفسه: ص33؛ ينظر في ذلك - المرأة في الشعر العراقي الحديث: عربية توفيق لازم، جامعة بغداد، كلية الآداب، 1983 (رسالة دكتوراه): ص.132.

(٢) سورة الروم: 21.

(٣) سنن البيهقي: 7/78.

(٤) المصدر نفسه: 7/78.

(٥) الطلاق أغض الحال إلى الله: ص45.

ولا يصح انعقاد دون معرفة ثبت العقد أحکاماً وتوثيقاً

العرس بالجبر والإكراه فاحشة يقرها (العرف) إعجاباً وتضيقاً<sup>(١)</sup>

وكان من أهم ما جاء به الدين الحنيف أنه (أعطى المرأة الحرية في اختيار الزوج وليس لأحد أن يغصبها عليه، حتى ولو كان أحد أبويها، كما جعل لها حق فسخ عقد الزواج إذا اتضح فيما بعد أنها أكرهت عليه، وخدعت فيه).

ولقد فسخ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وسلم) زواج خنساء بنت حذام الانصارية لأن أباها أكرهها على ذلك<sup>(٢)</sup>، ومن ذلك قوله (صلى الله عليه وسلم): "أمروا النساء في أنفسهنَّ، فإن الثيب تعرب عن نفسها وأذن البكر صمتها"<sup>(٣)</sup>.

ومع الأسف البالغ فقد سلبت كثير من المجتمعات المرأة، ما منحها الإسلام من حقوقها، فلم يعد يكترث الأهل برأيها ولا يهمهم رفضها أو موافقتها، مع إنها الوحيدة التي ستقع عليها كل العواقب المؤلمة والنتائج السيئة التي قد يجرها هذا الإكراه؛ ولقد صور ذلك الشاعر (محمد مهدي البصير) في أبيات بعنوان "زواج وطلاق" قائلاً:

إن تخطط ف ليلي لفترط جمالها فلتبدلن وصالها بفارق

أو زوجت قسراً بغير حبيها فلسوف تسعى جهة لها لطلاق<sup>(٤)</sup>

بل وأكثر من ذلك، صارت الفتاة المسكينة عند بعض الأسر والمجتمعات كالسلعة الرخيصة يبيعها أهلها، فهم يتحكمون في أمرها فإذا زوجوها بن يشاءون يتحكم بها

(1) ديوان محمد صالح بحر العلوم، (ط1965): 59/2.

(2) الإسلام وتنظيم الأسرة: ص93.

(3) البخاري: 2556، وينظر - كتاب المصنف: عبد الرزاق، القسم الثاني: 142/6.

(4) محمد مهدي البصير - المجموعة الشعرية الكاملة، دار الحرية، بغداد، 1977، ص66؛ وينظر تعليق د. عربية توفيق اللازم في هذا الصدد ضمن رسالتها (المرأة في الشعر العراقي الحديث): ص136.

الزوج الذي يطلقها متى دفعته نزواته إلى ذلك، لذلك تفجرت قرحة الشاعر (الرصافي) بوصف هذا الواقع المر

**بِقُولِهِ**

**فوليه ساند الزوج يبيعها** **وحليله ساند الطلاق يضيعها**

وکلاه ما م تحكـم فـي أمرهـا هـذا يـعـرـيهـا وـذـاك يـجـبـعـهـا<sup>(١)</sup>

إذن فإن تزويج المرأة بالإكراه من إنسان لم يتحقق فيه شيء من أحالمها وأمنيتها بل تختلف كل طبائعها مع طبائعه كلها، مما سيهدد حياتهما بالخطر، بل ويؤدي بهما إلى الانهيار وهدم كيان الأسرة التي بنيت على هذا الأساس الخاطئ. والشاعر (الزهاوي) التقط صورة مؤلمة لواقع حياة تزوجت من فتى لم تره ولم يرها،

ولم يعرف هذا الزوج حقوق وواجبات الزوجية التي لم يرع حرمتها، فقال:

ليلي بكت مما قد شجاها  
وبكت سعادتها وأحلا  
قد طال عهود شقائصها  
إذ زوجوه سامن فتى  
زفت إيليه فلام تجد  
مضت الشهور فلام يرد  
ما شاهدت من خلقة  
سما مج لئيم النفس لم  
إن الزوج له حقه و  
سما واجبات راعاه  
تكوصمة إلا أقصاه  
فيه موافقة هواه  
في أمراه إلا سفاحا  
شيناً جمهيلياً في فتاه  
ما أن رأته ولا رآه  
فبكـت فلام ينفع بكاهـا  
م الصبا وبكت مناهـا  
حتـى تقـرـر مقلـاتـاهـا

(1) ديوان الرصافي بشرح وتعليق مصطفى علي، بغداد، 1972: 5/449 قصيدة بعنوان "هوان المرأة عندنا".

مَاذا تفِي دَوْلَةُ الْوَاجِبِ  
فَكَأْمَانَاهِي سِلْعَةٌ  
إِذْنَ فَالزَّوْجَ حَسْبُ رَغْبَةِ الْأَهْلِ وَاختِيارِهِمْ وَحْدَهُمْ بَدْوَنَ أَخْذِ رَأْيِ الزَّوْجَةِ نَفْسَهَا لَا يَؤْدِي إِلَى الْانْسِجامِ  
<sup>(١)</sup>

أَوْ التَّفَاهُمُ بَيْنَ الرَّوْجِينَ، وَبِذَلِكَ يُخْلِطُ الْقَدْرَ نَهَايَتِهَا مِنْ قَبْلِ الْبَدْءِ بِالْحَيَاةِ الْزَّوْجِيَّةِ؛ وَيُشَيرُ إِلَى ذَلِكَ مَا تَفَجَّرَتْ  
بِهِ قَرِيبَةُ الشَّاعِرِ (صَالِحُ الْجَعْفَرِي) فِي وَصْفِ رَائِعٍ عَنْ مَثْلِ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الزَّوْجِ الَّذِي يَنْتَهِي إِلَى الْفَشْلِ الذَّرِيعِ  
لَأَنَّهُ زَوْجٌ مِنْ دَوْرَةٍ وَمِنْ دَوْرَةٍ فَحْصٌ وَقْحِيْصٌ، لَذَلِكَ أَبْدَعُ الشَّاعِرِ فِي تَسْمِيَّتِهِ بِـ "زَوْجُ الْعَمِيَانِ" فَقَالَ:

قَبَلَتْ بِهَا عَلَى تَرْشِيحِ أَهْلِي  
وَلَمْ تَكُنْ ذَاتُ رَأْيٍ فِي قَبْلِي  
حَسِّتُ فَلَمْ افْهَمْهُ عَنْهَا بِقَالِ  
وَلَمْ تَرْمِنْهُ إِلَيَّ وَلَا بَقِيَ  
جَهَنَّمَ بَعْدَ ضَنَا لَفْظًا وَمَعْنَى  
وَهَلْ نَقْوَى عَلَى خَرْقِ الْأَصْوَلِ!  
وَكَانَ فَرْقَانًا قَبْلَ الدُّخُولِ  
<sup>(٢)</sup>

لَذَلِكَ (حَتَّى إِلَيْسَمْ كَلَّاً مِنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ أَنْ يَتَوَثِّبَ قَبْلَ الْإِقْدَامِ لِتَلَا يَكُونُ ذَلِكَ الْإِقْدَامُ نَاتِجاً  
عَنْ لَقَاءِ عَفْوِيٍّ أَوْ مَجَازِفَةٍ لَا تَعْتَمِدُ عَلَى الأَسْسِ الْكَفِيلَةِ لِإِبْقاءِ هَذَا الصَّرْحِ تَظَلَّلَهُ السَّعَادَةُ وَالْهَنَاءُ فِي جَمِيعِ  
<sup>(٣)</sup> مَراحلِ الْحَيَاةِ الْزَّوْجِيَّةِ).

وَيَكُونُ الْوَاقِعُ أَكْثَرَ إِيَّالَمًا وَالْخَطْبُ أَشَدَ فَدَاحَةً عَنِّدَمَا يَتَسَرَّعُ أَهْلُهَا أَوْ تَتَسَرَّعُ هِيَ نَفْسُهَا بِالْخِيَارِ شَرِيكِ  
حَيَاةِهَا وَيَتَضَعُ لَهُمْ وَلَهَا فِيمَا بَعْدِ أَنَّهُ لَا يَحْمِلُ أَيْ صَفَةَ مِنَ الصَّفَاتِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ يَبْنِيَ اختِيَارَهَا عَلَى أَسَاسِهِ؛  
وَبَعْدَ فَوَاتِ الْأَوَانِ يَنْكَشِفُ الْأَمْرُ عَلَى حَقِيقَتِهِ الْبَشْعَةِ وَوَاقِعَةِ الْمَرِّ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ (الْزَّهَاوِي):

(١) ديوان الزهاوي: ص 327، قصيدة بعنوان "ليلي بكت".

(٢) ديوان الجعفري: ص 421.

(٣) الطلاق أبغض الحلال إلى الله: ص 47.

ما قد تقاسي غداً من قسوة الرجل  
ورب مخطوبة عذراء قد جهلت  
إلى فتى لشعار النبل منت حل  
تزف في عنفوان من شبابيتها

ثقة سوي ذي غرور غير محفل<sup>(١)</sup>  
مهما به احتفلت بعد الزواج فما  
أما حينما ترخص المرأة الواقع التقاليد والأعراف الاجتماعية السائدة ولا تقوى على خرق الأصول المتبعة،  
فترضى بما قسمه الله لها من زوج ويوضح لها بعدها أن هذا الزوج ((متعسف)) معها في كل تصرفاته وسلوكه،  
أي كلما ازدادت زوجته منه قرباً زاد عنها بعداً، وهذا مما يؤلم حقاً أشد الألم ويثير مشاعر الشفقة على تلك  
الزوجة التي حكم على زواجهما بالفشل لكونهما غير متكافتين، رغم كل جهودها المبذولة لانجاحه، وعن ذلك  
عبر الشاعر (الزهاوي) بقوله في قصيدة "يا ابنة يعرب":

و———ل لخاني——ة له———	بع——ل م——ن الجه——ل اس——تبا	قب——ت ب——ه زوج——اً وم
ج——م الكراه——ة كا——ما	زادت دن——وً زاد بع——دا	اب——دى غرام——اً ثـم غ——ير
جعل——ت ت——رى في عين——ه رع——دا <sup>(٢)</sup>	برق——اً و——ت سمع من——ه رع——دا <sup>(٣)</sup>	

إن اختلاف القلوب بين الزوجين سبب رئيس في نجاح الزواج وعامل مهم في استمرار الحياة الزوجية بكل  
انسجام، لأن (جو البيت لا يكفيه إلا الزوجان بحسن معاشرتهما واحترام كل منهما للآخر، وإظهار المودة من  
أحدهما لصاحبه لكي يتلقى ويتلقى ذلك كل من يعيش معهم من أفراد تلك الأسرة تحت ظلال ذلك البيت)<sup>(٤)</sup>:

(١) ديوان الزهاوي: (طبعة دار العودة - بيروت): ص318 من قصيدة " رب مخطوبة".

(٢) ديوان الزهاوي: ص325.

(٣) الطلاق أغض الحال إلى الله: ص60.

لكن، عدم تقدير الأهل لهذه المسألة وعدم أخذها بالحسبان وذلك بإكراه ابنتهم على الزواج من أحد أقاربها مع

أنها تحب شاباً آخر ينسجم معها وتنسجم معه كل الانسجام، مما يخلق فجوة عميقة جداً بين الزوجين -

المكرهين- سرعان ما ينهدم بسببها عش الزوجية الذي هو بذرة الأسرة المثالية.. ومن أين تتحقق السعادة لأسرة

تقرب فيها الأجسام وتبتعد القلوب، عن بعضها بعضاً سحيقاً وهذا ما رسمته ريشة الشاعر (محمود الحبوبي) في

رباعيته عنوانها " زواج بالإكراه " :

أحبت وهو يافعة غلاماً  
بعيداً عن قبيلته غريباً

وكان يحبه أهذا ويخشى  
ذويه وأن يكون له خطيباً

وزفت لابن عمته أعروساً  
على كره فحالفت الكروبها

وهل سعد الوري ائتلافاً جسوماً  
إذا اختلافاً وبعيشهم قلوبها<sup>(١)</sup>

والأمر أفظع وأشد مراة أن أجبرت على الزواج منشيخ كبير السن - وقلبها مشغوف بآخر- فسيكون زواجهاً وموتها سيان، ويجسد لنا هذه الحال الشاعر (جميل صدقى الزهاوى) في حادثة فتاة أكرهت على الزواج منشيخ كبير السن وهي مشغوفة بشاب اسمه (نعميم)، فيالمراة ما كانت تقاسيه المسكينة وبالهوان حياتها عندها، حيث انتهت حياتها نهاية موجعة حين تجرعت السم الذي أدى بها إلى الموت، ويقول:

وقد زوجوها وهي غير مريدة  
بشيخ كبير جاء باملال يطبع

وفي الدار ازواجه له غير هذه  
ثلاث فود الشيخ لوهن اربع

ومن بعد أيام تزف لبيته  
فتحنوا لحكم الشيخ فيه وتخضع

هناك ستشقى أو تموت كثيبة  
على أن موته في الهم أنفع<sup>(٢)</sup>

(1) ديوان - رباعيات الحبوبي، طبع النجف، 1951: ص 17.

(2) ديوان جميل صدقى الزهاوى، مجلد 1، دار العودة، بيروت، ط 1972: ص 78، ضمن مجموعة (الحديث شجون)؛ وينظر التيار الاجتماعى فى الشعر العراقى الحديث بين الحربين العالميتين (1914-1945)، رسالة ماجستير: ابتسام عبد الستار محمد، القاهرة، كلية اللغة العربية، 1979: ص 67.

وماتت أسماء... وبكت أمها عليها وحمل نعشها إلى القبر:

وصاح بها الناعون والناس اسعوا

وتلطم حر الوجه الوجه اسفع

يكاد بأظفـار الأسى يتقطـع

وعهـدي به بالآمس ريان ينصـع

هـلكـت وما أبصـرت غـصـنـك يـهـزـع

وـماـنـلـهـهـذـيـالـنـدـامـةـتـفـعـ

عيـونـرـجـالـلـرـزـيـةـتـهـمـعـ

وقـدـرـفـعـتـهـلـلـمـقـابـرـأـذـرـعـ<sup>(١)</sup>

فلـمـاـبـدـاـصـبـحـوـشـاعـتـفـجـيـعـةـ

أـتـتـأـمـهـاـتـجـثـوـإـلـىـجـانـبـرـأـسـهـاـ

تـقـولـلـهـاـوـالـعـيـنـتـهـمـيـوـقـلـبـهـاـ

أـرـيـحـانـتـيـمـاـبـالـخـدـكـذـابـلـاـ

أـرـيـحـانـتـيـأـنـاـقـتـلـنـاـكـلـيـتـنـيـ

وـعـضـأـبـوهـاـلـلـنـدـامـةـكـفـةـ

وـطـافـتـبـذـاكـالـنـعـشـمـنـكـلـجـانـبـ

مـشـىـعـالـيـاـمـاـأـوـفـرـالـنـعـشـإـذـمـشـىـ<sup>(١)</sup>

وإن تجاهل روابط الحب والود بين الزوجين من قبل أهلهما معاً أمر خطير، فترويج الفتاة بشيخ كبير

من أجل المال والمال وحده بدون أي ارتباط عاطفي أو نفسي أو روحي سينتهي حتماً نهاية مأساوية تكون الفتاة

المسكينة ضحيتها الأولى، فقد رسم لنا الشاعر (الرصافي) بريشه ذلك، بقوله:

إـذـأـكـرـهـوـكـعـلـىـالـزـوـاجـبـأشـبـاـ

بـفـضـولـهـاتـيـكـالـمـطـامـعـ(ـأـشـبـاـ)

وـالـحـرـيـأـبـيـأـنـيـعـيـشـمـذـبـذـبـاـ

ظـلـمـوـكـأـيـهـاـالـفـتـاـةـبـجـهـلـهـمـ

طـمـعـوـبـوـفـرـالـمـالـمـنـهـفـأـخـجلـوـاـ

إـنـكـرـيـةـفـيـالـزـوـاجـلـحـرـةـ

(١) ديوان الزهاوي: ص 81.

قلب الفتاة أجل من أن يشتري  
 بمال لكون بالمحبّة يجبى  
 إبعاد أقدمة النساء كأنها  
 بعض المتع وهن في عهد الصبا  
 هذا العمر الله يأبى مثله  
 من عاش ذا شرف وكان مهذباً  
 بيته زواج إذا بن وهو مجده  
 بمال لا بالحب عاد مخرباً  
 فزواج الشيوخ من الفتيات الصغيرات لقضاء وطر معها.. أي وطر، حتى لو كان قصيراً جداً ولا يهم مثل

ذلك الزوج أبداً إلا قضاء ذلك الوطر، حتى لو لم يكن بينه وبين تلك الزوجة أي رابط مقدس يشد بين قلبيهما

من روابط الحب النقى الصادق، مما دفع الشاعر (الزهاوى) إلى أن يقول في ذلك:

كم قد تزوج ذو الستين يافعة  
 والشيب في رأسه كالنار يشتعل  
 وقد يكون قصيراً ذاك الأجل  
 يهضي بانته منه إلى أجل  
 أكان متصل أم ليس يتصل<sup>(١)</sup>  
 ولا يمالي بحبـل الـود بعدئـذ  
 والأبيات تعطينا من الدلالة الكافية أن المرأة لم يكن لها شأن يذكر في المجتمع، إذ أنها لا تملك حق

التصرف في أبسط حقوقها كحق الزواج، وهذا الوضع المتردي للمرأة لم يكن إلا نتيجة طبيعية لوضع مجتمع

متخلف جاهل بتعاليم الإسلام ومقتضيات حله لتعدد الزوجات ويعيش في ظلمات الجهل والعادات السقيمة،

فلا بد أن تتعكس ظلال تلك الأوضاع على المرأة<sup>(٣)</sup>.

(١) ديوان الرصافي: 344 من قصيدة " حرية الزواج عندنا ".

(٢) ديوان الزهاوى: ص493.

(٣) التيار الاجتماعى فى الشعر العراقى الحديث: ص67.

وفي أحيان أخرى يكون دخول الحياة الزوجية الجديدة بمثابة سجن للمرأة التي فقدت حريتها قبل

وبعد الزواج وأكرهت عليه لتبقى قابعة في بيتها إلى يوم يبعثون، فقال فيها الشاعر (بسيم الذويب):

ظلم وک، س جنونک، زوج وک شر زوج في الوج  
 ق ائلاً زوج سی لا تخ رج إلا ي ودم تدعوه سا اللح ود<sup>(١)</sup>

أما الشاعر (الزهاوي) فهو يصور لنا إنسانة تزوجت بالإكراه من جاهل يتعامل معها بضراوة الوحش،

لأنه لا يعرف أي معنى من معانٍ النيل والإنسانية، فيقول في قصيدة "لا عن خيار":

قد زوجت لاعنة خيار  
في العينين دموع كالمجام  
تبكي وتندب حظه  
غدر من الأغراد قا  
سـ، القلب مخلوع العذار<sup>(2)</sup>  
والـ زوج لاه بـ القمار  
نـ وفي الفـؤاد لهـب نـمار  
من جـاهـل كـالـوحـش ضـاري

ويُغض حالات الزواج يحكم عليها بالفشل الذريع، لأن الزوج يتحاول حقوق زوجته ويعاملها كمملوكة

له، فإذا أبدت شيئاً ولو قليلاً من التذكر يادر بكل استخفاف وعدم مبالاة إلى طلاقها، فيالخشونته ويلرقتها، وما

**أفظع وأوجع أن تلتقي الصفات المتناقضة تحت سقف واحد، فيقول (الزهاوي) في هذا المعنى:**

(1) الشعر، العراق، الحديث وأثر التياتر السياسي والاجتماعي فيه - يوسف عز الدين؛ ص 238.

<sup>324</sup>) دیوان الزهادی (طبع بیرون)؛ ص 2(2).

يتضح لنا من ذلك أن المرأة قد سلبت في كثير من المجتمعات ما منحها الإسلام من حقوق، فلم تعد تملك حق التصرف في أبسط حقوقها كحق اختيار شريك حياتها، فليس لأحد أن يغصبها عليه ولو كان أحد أبويها، ولكن ما يحدث هو العكس فقد بربرت - في تلك الفترة - ظاهرة الزواج بالإكراه أو زواج الشيوخ بالفتيات. فلم يعد لها شأن يذكر في المجتمع وذلك طبعاً انعكاس لواقع مختلف جاهل بتعاليم الإسلام ويعيش ضحية للجاهل وللعادات السقيمة.

وكان من اختصاصات هذا البحث أن يوضح ماهية الزواج وأهميته، فهو الذي يهين الرجل والمرأة إلى أن يكونا آباءً وأمّا صالحين، لأنه بناء لأسرة جديدة، فإن بني خطأ أو كانت أسمه ضعيفة انهار بسرعة وإذا ما توفرت له أسباب النجاح مما وتكامل وقويت دعائمه. وبذلك نكون قد سلطنا الضوء على جانب مهم من واقع حياة الأمة التي تؤثر بدورها بشكل واضح على البنوة.

الطلاق<sup>(٢)</sup>:

الطلاق بلا شك من أعقد المشاكل الاجتماعية التي تؤدي إلى تفكك الأسرة وهدمها، وتترتب عليه آثار سيئة، بالغة الخطورة، لذلك جاء في الحديث النبوى الشريف

(1) ديوان الزهاوي: ص318.

(2) الطلاق لغةً: يعرف اللغويون الطلاق بأنه الترك والإرسال والتخلية، فيقال: طلقت القوم إذا تركتم. وإذا قلت: ناقه طالق أي أنها مرسلة. وفي المصطلح الفقهي: عرفوا الطلاق بأنه - إزالة قيد النكاح بصيغة طالق، وقال بعضهم بأنه صفة حكمية ترفع حلية مدة الزوج بزوجته. - نقلًا عن كتاب: مواهب الجليل: 4/18 من كتاب: الطلاق أبغض الحلال إلى الله؛ وينظر الرواج والطلاق في الاسم: زي الدين شعبان، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، 1964: ص81.

"أبغض الحال إلى الله الطلاق"<sup>(١)</sup> وقال الرسول (صلى الله عليه وسلم): "تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق

يهتز منه العرش"<sup>(٢)</sup> وورد في الأثر: "وما من شيء أبغض إلى الله عز وجل من بيت يخرب في الإسلام بالفرقة -

يعني الطلاق - "<sup>(٣)</sup>".

وإنما أباحت الشريعة الطلاق على ضوء هذه الأحاديث الشريفة عند الضرورة القصوى حينما تتعدى

الحياة السوية بين الزوجين ويكون الوئام بينهما مستحيلاً، أما لتناقض الطابع بينهما بحيث يستحيل التقاء بعضهما

بعض، وأما بسبب التناقض الأخلاقي الذي لا يسمح لهما بالعيش تحت سقف واحد، ونحو ذلك من الأسباب

الجوهرية المهمة التي يتحتم معها فصل عرى الزوجية؛ والانفصال والفارق الذي اصطلاحت عليه الشريعة

اسم (الطلاق)<sup>(٤)</sup> وهو وأن أحنته الشريعة في نطاق ضيق ومحدود جداً ودعت إلىبذل كل الجهود الممكنة

من الزوجة والزوج معاً لتحاشية وتلافيه بل دعت أهلهما وأقاربهما ومن يتعلق بهما لأن يحلوا كل المشاكل

التي وقفت عقبات كأدء في استمرار الحياة الزوجية بالحسنى<sup>(٥)</sup>، كل ذلك صيانةً لحقوق الزوجة

ورعايةً مصلحة الأبناء لثلا يحصل خلل وارتباك في تربيتهم يؤدي إلى تشردهم - أما إذا باءت كل جهود

الجميع بالفشل الذريع وأصبحت الهوة التي بين الزوجين يتعدى ردمها، فعند ذلك يصبح الطلاق مباحاً

---

(١) سنن أبي داود: رقم الحديث (1863) كتاب الطلاق، وسنن ابن ماجه: 373/1 رقم الحديث (2028) باب الطلاق.

(٢) سنن ابن ماجه رقم الحديث (2018).

(٣) الوسائل: 267/15.

(٤) (م يكن - الطلاق - من التشريعات التي اختص بها الإسلام بل عرف التاريخ مسيرة الطلاق منذآلاف السنين عبر التشريعات السماوية والوضعية التي سبقت رسالة الإسلام). ينظر - الطلاق أبغض الحال إلى الله: ص 27؛ وينظر للتوضع - المجتمع الإنساني في ظل الإسلام: محمد أبو زهرة، بيروت، ط 2، 1970، ص .78.

(٥) كما قاله الله سبحانه وتعالى: "وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكماً من أهلها أن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما "... سورة النساء: 35.

ومحللاً في الشريعة الإسلامية بل وربما يكون دواء لا بد من تجربته ولو كان مراً شرعه الله لإنها الخلاف بين

<sup>(١)</sup> ولكنه وكما أشرنا إليه في الحديث الشريف يبقى ذلك الشيء المباح والمحلل هو أبغض الحال عند الزوجين؛

الله، ما يؤيّد إلّي من تشّتت الأسرة وضياعها، وبالتالي يكون ذلك التشّتت والضياع مدعاه لتخلّف النّظام

الاجتماعي بأسره لما يخلقه من مشاكل عويصة ومعقدة لا عد لها ولا حصر، تعود على المجتمع بأسره بأوخر

العواقب وأسوأ النتائج وأوجع العلل التي يصعب، وربما يتذرع شفاؤها.

ولقد استغل كثيرون من الجهلة تلك الإباحة وذلك التحليل الذي سمح به الشارع المقدس عند الضرورات والعقبات التي تعجز كل الوساطات عن حلها وتذليلها، فجعلوا من ذلك التحليل أدلة من أدوات اللهو بمقدرات الزوجة التي هي شريكة حياتهم فيقدم على الزواج برضاه ورغبته التامتين ولكن سرعان ما يسترد ذلك الرضا ويتحقق ذلك الغرابة فيلفظ الزوجة من حياته كما يلفظ الآكل النواة من فمه وبالفطاعة وسوء ذلك التصرف المهين المشين، وكل ذلك بداعف من الجهل واللامبالاة؛ ولبعدهم عن وحي السماء وحكمه الأنبياء، فيتحول سكن الود والرحمة إلى نكد الخصم والنقمـة.

لذا فقد (وقف الإسلام في وجه الرجل ليحد من تعسفةه وليخفف من قسوته ولأخذ للمرأة حقها، ول يجعلها في مكانها اللائق بها كشريك حياة وربة بيت لا يستغنى الرجل عنها في جميع المراحل فلا فضل للرجل من حيث هو رجل على المرأة ولا فضل للمرأة من حيث كونها امرأة على الرجل إلا في بعض الأحكام الخاصة والحقوق الشرعية والتي تنبع من طبيعة الرجل وما يتميز به من قوة وصلابة وطبيعة المرأة وما تتحلى به من ليونه وعطف وإن فهما شيء واحد.. غرس لنبته واحدة، وغرة لشجرة واحدة) ..<sup>(2)</sup>

ولقد صور ذلك، الشاعر (الزهاوي) بقصدة يقول فيها:

الزوج كان هو الذي يولي الرضا ثم استردا

(1) الطلاق أغض الحلال إلى الله: ص 85؛ وينظر الزواج والطلاق في الإسلام: ص 83.

الإصدارات النفسية: ص 18

وعلى جمـوع حقوقه

يـأتي الطـلاق لـغـير ذـنب

لا شيء يـعنـج جـاهـلاً<sup>(١)</sup>

ومن الاستخفاف المしだن بحقوق الزوجة المقدسة أن يجلس الرجل مع أصحابه أثناء مزاحه، أو خلال تعامله حتى بأتفه القضايا مع الناس وحين يختلف معهم يقسم لهم بطلاق زوجته ثلاثة لا رجعة فيها، بداع من حماقته ورعونته وجهله، والمسكينة في بيته لا علم لها بكل ذلك أو ربما تكون في تلك اللحظات التي أقدم فيها على تلك الفعلة الشنيعة في بيته تهيء له طعام غدائها أو تقوم بخسيل ملابسه أو ترضع طفله البريء...

وأخيراً يتم تبليغها بذلك، فترتجف رعباً من هدم حياتها الزوجية وتتحدر دموعها الغزار على خديها لأن كل ذلك حصل لها بدون أي ذنب ارتكبه أو جريمة اقترفتها، فتعاتبه بمرارة وتصرخ في وجهه بحرارة، فيطأطئ رأسه خجلاً منها وندماً على ما تسرع واقترفه في حقها، ولكن هيئات يجده الندم أو ينفعه الاعتذار منها.. ثم يصحو ضميره بعد ذلك الطيش والتسرع فيؤكد لها أنه باقٍ على حبها والوفاء لذلك الحب حين لا ينفعها ذلك البقاء ولا الوفاء بعد فوات الأوان..

ولقد صور لنا الشاعر (الرصافي) موججاً من تلك النماذج الكثيرة التي تزخر بها المجتمعات التي يعيشون فيها الجهل ويتأفل فيها الطيش في قصيدة ترسم حياة إحدى تلك المطلقات بتلك الطريقة الرعناء فيقول من قصيدة عنوانها "المطلقة" جاء فيها قوله:

توثـق حـبـل وـدـعـمـا حـضـورـا  
فـخـاصـب زـوـجـهـا الخـلـطـاء يـومـا  
فـأـقـسم بـالـطـلاق لـهـم يـيـنـاً  
وـلـم يـكـنـت توـقـهـا المـغـيـبـا  
بـأـمـر لـلـخـلـاف بـهـ نـشـوبـا

(١) ديوان الزهاوي (ط1924): ص314؛ وينظر حركة التطور والتحديد في الشعر العراقي الحديث: ص188.

وطلقة على جهل ثلاثة

بيانات عن هذه المطالعات

## فظالت وهي باكية تنادي

## مایا "نجیب صرمت حبلي

وَمَالِكُ قَدْ جَفَوْتُ جَفَاءَ قَالَ

## أين ذنبي الى فدتك نفسي

أَمَا عَاهَدْتُنِي بِاللّٰهِ أَنْ لَا

## فاطرق رأسه خجلاً واغضى

(نجیبہ) اُق صری عنی فیانی

وَمَا وَاللَّهُ هُجْرٌ بِاختِيَارٍ

فليس يزول حبك من فؤادي

ألا قبل في الطلاق ملقيه

غلا وتم في دیانتکم غل وا

أراد اللـه تـيـ سـيرـاً وـانـتم

(1) شعوب: الموت.

(2) ديوان الرصافي، شرح وتعليق مصطفى علي، بغداد، ط 136: 1986/2: 136؛ وتعلق د. عربية في رسالتها حركة التطور والتجدد في الشعر العراقي الحديث ص 189: إن هذا النقد - في نهاية القصيدة - لبعض رجال الدين جرأة غير عادية يمثل انتفاضة ذهنية ووجدانية محددة.

وذلك رجل آخر يمثل نموذجاً آخر من نماذج الرعونة والحمامة فبينما زوجته التي كانت تقوم معه بكل واجبات الزوجية وحقوقها خلال زيارتها لأمها وباستئذان منه بالطبع، وبينما هي تشكو لأمها طيش زوجها واستهتاره رغم سلوكها معه على أحسن ما يرام، وإذا بالباب يطرق وينفتح لها عنأساً مفاجأة وأعظم صدمة، حيث يبعث لها - بكل تسرع وطيش - وثيقة طلاقها التي تؤذن بهدم حياتها الزوجية دوفما سبب ومبرر فتلوذ بأمها وتخونها كل الكلمات حين ترى أن سراج حياتها ينطفئ فجأة لتحيا في ظلام دامس، فراحت تتمنى الموت لأنها ترى فيه نجاه من العذاب الذي تعشه وتحيا، فيرسم تلك اللوحة الشجية الحزينة الشاعر (الزهاوي)

بقصidته الثانية فيقول:

تبكي كما يبكي الحزين المفجوع	سلمي جشت يوماً بجانب أمها
قد كنت في صدر القصيد تسمع	تشكو تباريغ الفراق لها كما
بالباب من دون انتظار يقريع	والام جال سلة تسليها إذا
فرقـا يـكـاد بـصدرـها يـتفـلـع	سلمي تسلمت الكتاب وقلبها
فرـغـتـ منـ المـتـلـ وـ صـاحـبـ تـجـزـعـ	فـضـتـهـ تـالـيـةـ لـهـ حـتـىـ إـذـاـ
يـاـ أـمـ سـرـحـنـيـ فـمـاـذـاـ أـصـنـعـ	يـاـ أـمـ طـلـقـنـيـ فـمـاـذـاـ حـيلـتـيـ
يـاـ أـمـ فيـ قـلـبـيـ اـضـطـرابـ مـوجـعـ	يـاـ أـمـ فيـ نـفـسـيـ عـذـابـ مـؤـمـ
وـالـقـلـبـ مـنـيـ بـالـأـسـيـ يـتـصـدـعـ	وـأـحـسـ أـنـ سـرـاجـ روـحـيـ يـنـطـفـيـ
وـالـعـيشـ كـيـفـ مـضـىـ فـمـاـ أـنـ يـرـجـعـ	لـهـفيـ عـلـىـ الـأـيـامـ كـيـفـ تـبـدـلـتـ
وـالـيـكـ مـنـ هـوـلـ الـحـيـاةـ الـمـفـزعـ	يـاـ مـوـتـ اـنـكـ اـنـتـ اـنـتـ الـمـلـتجـىـ

ياموت ياكـل النـجـاهـ يـقـولـ ليـ قـلـبيـ فـضـاؤـكـ مـنـ فـضـائـيـ أـوـسـعـ<sup>(1)</sup>

وعلى كثرة قصص الطلاق المؤلمة التي تمزق النفوس وتوجع القلوب فإننا لا نستطيع أن ننقل بحثنا هذا

بنماذج كثيرة منها، بل نحتم هذا الموضوع بقصة مطلقة كانت تعقد كل أمالها في السعادة والاستقرار على

حياتها الزوجية التي كانت وفية لها كل الوفاء، ولكن زوجها لم يرع لكل ذلك الوفاء حقاً حين خانها وطلقها بعد

أن زرع في أحشائها جنيناً أصبحت تعقد كل أمالها عليه لعله يغوضها عن السعادة التي حطمتها ذلك الزوج

الذي يستخف بكل القيم ومبادئ الأخلاق..

وذلك القصة الحزينة رسمها بريشه البارعة الشاعر (أكرم فاضل)<sup>(2)</sup> حين فاضت قريحته بقصيدة يعبر

بها عن لسان تلك الألم وهي تخاطب ولدها الذي ترجو أن يتحقق لها كل ما ضاع منها من أمال وأمان، فقال:

عـندـمـاـ كـنـتـ سـاـكـنـاـ أـحـشـائـيـ	يـاـ اـبـنـ مـنـ خـانـيـ جـزـاءـ وـفـائـيـ
لاـتـدـعـ جـرـمـهـ بـغـيرـ جـزـاءـ!	بـرـأـتـ عـذـرـهـ حـمـاـةـ الـقـضـاـةـ
قـلـبـهـ بـعـدـ ذـلـلـةـ وـشـقـاءـ	يـاـ اـبـنـ بـلـوـايـ عـشـ لـامـكـ يـهـنـاـ
أـءـ شـبـتـ فـيـ دـمـنـةـ خـضـراءـ	وـتـرـعـرـعـ فـيـ حـضـنـهاـ زـهـرـةـ غـرـ
بـيـنـ دـمـعـ وـحـسـرـةـ وـعـنـاءـ	اـنـتـ رـبـيـتـ يـاـ اـعـزـ رـجـاءـ
كـبـعـيـنـ عـدـيـةـ الـاغـفـاءـ	كـمـ غـفـتـ عـيـنـهـ وـأـمـكـ تـرـعـاـ

(1) ديوان الزهاوي، د. محمد يوسف نجم، ط1، 1955، دار مصر للطباعة، مكتبة مصر: 1/123. من قصيدة "سلمي المطلقة".

(2) أكرم فاضل - ولد في الموصل عام 1918 تخرج من كلية الحقوق العراقية ونال الدكتوراه في العلوم السياسية من فرنسا عام 1955، أشغل عدة وظائف في الدولة منها مدير الفنون الشعبية في وزارة الإعلام العراقية ورئيس تحرير مجلة بغداد التي تصدرها وزارة الإعلام باللغتين الفرنسية والإنجليزية. ينظر - معجم المؤلفين العراقيين، ص391 وينظر - إعلام العراق الحديث: 138/1.

تلّوى خوفاً عليك وتدّعو  
 فترفق إذا كبرت بها وانبع  
 كلما أبصرت بوجهك ظلا  
 ويراهما الرأون تصمت لا يد  
 وأسني فلذتي وضمد جراحها  
 يا شعاعاً يلوح في ظلمة اليا  
 ومن خلال هذا العرض نؤكد حقيقة واحدة وواضحة هي أن الطلاق أبغض الحال عند الله، فهو من  
 أعقد المشاكل الاجتماعية التي تؤدي إلى تشتت الأسرة وهدمها وضياعها ومن ثم يكون ذلك مدخلاً لتدخل  
 النظام الاجتماعي بأكمله.  
 نعم أباحته الشريعة الإسلامية لكنه بقى محدوداً في نطاق ضيق وذلك عندما تصبح الحياة بين الزوجين  
 متعدرة لذا دعت الزوج والزوجة إلى تحاشيه وتلافيه وذلك صيانة لحقوق الزوجة ورعاية مصلحة الأبناء فلا  
 يحصل ارتباك في تربيتهم ربما يؤدي إلى تشردهم.  
 وعرضنا مشكلة الطلاق في بحثنا هذا متأثراً من الآثار السيئة التي يجرها إلى الأم والأبناء لأنه هدم لعاصمة  
 الأسرة بأسره.

### ترمل المرأة وأثره في حياتها:

إن الرجل بحكم موقعه الاجتماعي وظروفه العامة التي جعلت منه رباً للأسرة وراعياً لها ومسؤولاً عنها  
 فإذا أصيب بفقد زوجته تكون وطأة المصيبة والتجاعيد أقل عليه بكثير من وقع مصاب المرأة حين تفقد زوجها؛  
 لأن المرأة حين تصبح أرملة فهي بالإضافة إلى خسارتها الفادحة بفقدان الزوج العزيز الذي يترك فراغاً في  
 حياتها لا يمكن أن يملأه شيء... أجل أنها بالإضافة إلى ذلك، تبقى بلا كفيل يرعاها ولا معين يعينها على

(1) الكوميديا البشرية: أكرم فاضل، بغداد، 1948: ص 36 من قصيدة: (ترنيمة راقصة لطفلها).

قسوة الحياة حين تعصف بها عواصفها الهوجاء التي تقلع من نفسها كل جذور الأمل والتثبت بالحياة.

إن ترمل المرأة يترك في أعماق حياتها جروحاً لا تكاد تندمل، لأنها فقدت الزوج والمعلم والمدين على

الشدائد والكوارث التي تحل بها..

والترمل من المأساة الاجتماعية التي تركت أثراها البالغ في نفوس الشعراء المعاصرين، فصوروا جوانب

مؤلمة وقاسية من مأساتها، وهذا الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) يصور لنا في قصة ملؤها الحزن والمرارة فراق

زوج لزوجته.. وحين يطول ذلك الفراق تأكل الوساوس والتشاؤمات قلب الزوجة المسكينة فتشكو لأمها ما

تعانيه من هم وقلق على زوجها.. وتبذل أمها العنون كل المحاولات الممكنة لتهدها ابنتها والتخفيف من قلقها

وحزنها.. وهنا يقول (الزهاوي) بلسان تلك الزوجة وهي تخاطب أمها التي لا تجد من تشكو إليه همومها

سوها:

يَا أَمَّا إِلَاهٍ مَّا قَدْ أَبْوَأْتُ  
كُلُّ الَّذِينَ عَنِ الْمَوَاطِنِ غَابُوا

إِنِّي مَرْضَتُ فَلَمْ يَوْفَ جَوَابَ  
أَخْبَرْتُهُ يَا أَمَّا إِنْ كَتَبَ لِي

بَعْدَ الْوَثْوَقَ بَعْدَهُ أَرْتَابَ  
يَا أَمَّا إِنِّي لِي مَرْتَبٌ بِأَحْمَدَ

ويصف لنا بعد ذلك ما تحاول الأم أن تخفف به من الوطأة على ابنتها، فيقول بلسانها:

مَا كَلَ ظَنْ يَا سَعَادَ صَوَابَ  
قَالَتْ لَهَا أَلْمَ الشَّفِيقَةَ خُولَةَ

عَاقَتْهُ فِي أَسْفَارِهِ أَسْبَابَ  
لَا تَهْمِيَهُ بِالسَّلُوكِ فَرِيَّ

تَأْتِي لَنَا حَدِيثَهُ الْأَصْحَابَ  
وَلَنْتَظِرَ رِيمَيْنَ بَعْدَ فَرِيَّ

فَيَزُولُ عَنَّا هَذَا الْأَسْتَغْرَابَ  
إِنَّ الْحَقِيقَةَ عِنْدَ ذَلِكَ تَتَجَلِّي

وتمر الأيام ثقيلة الظل على الزوجة الشقيقة (سعاد) حتى تكشف لها عن الأمر على

واقعه، فتعرف أن زوجها الحبيب (احمد) قد اغتاله اللصوص في أثناء تطاوفه وتجواله في بلاد

الله العريضة، فلا يستوعب ذهنها وعقلها ذلك الخبر المؤلم بالنهاية المفجعة لزوجها

العزيز لأن حياتها أصبحت بعد فراقه لا تعني شيئاً، فيمشي في جسدها الانهيار وتخور قواها يوماً بعد يوم حتى تقع فريسة تحت وطأة المرض القاسي، وتقف معها إلى جانب أمها صديقة وفيه وهي (خولة) فتبذل كل المحاولات لتسللها وتصبرها فلم ينفعها تضرر ولا تسلى حتى أنساب بها المرض مخالبه، وقضت نحبها وفارقت الدنيا علىأمل أن تلتقي روحها بروح ذاك الزوج الحبيب، فيقول في ذلك (جميل صدقى الزهاوى):

أخذت تسللها هنالك خولة  
وسحاب هم سعاد لا ينجاب  
حتى قضت حزناًًا وذلك بعدهما  
عيشت بناعم جسمها الأوصاب<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وهذه صورة مأساة أرملة أخرى يرسمها الزهاوى - وما أكثر مآسي الأرامل في المجتمع - فهناك أحد الجنود يعيش عيشة رضية مع زوجة تحبه ويفجّرها وتشاء الأقدار لهذا الجندي الباسل الذي صار ضابطاً أن يشارك في حرب يحتم عليه واجبه الوطني المقدّس المشاركة فيها فيمّوت شهيداً في ميادين الشرف والبطولة.. ويصل نبأ استشهاده إلى تلك لزوجة البائسة فيهتز كيانها من هول تلك الصدمة حيث فقدت الحبيب والمعلم والأنس، وما قدر حياة المرأة بلا حبيب يلفها بحنانه ومعلم يكفل لها العيش الكريم وأنيس يظلل لها بيت الزوجية بأفياء السعادة..

وغضّها ناب الفقر فاضطررت إلى بيع أثاث بيتها بعد أن أعرض عنها الأهل وتجنبها الجيران لتحتفظ بكرامتها وشرفها إلى أن خارت قواها وانشب المرض بها أنفاسها. ولنستمع الآن إلى القصة المفجعة التي يرسمها (الزهاوى) لأرملة ذلك الشهيد فيقول من قصيدة عنوانها "أرملة جندي":

قضى أحد الضباط في الحرب نحبه  
وكان إذا دارت رحى الحرب يسل  
وخلف زوجاً قلبه أرهن حبه  
وكان له قلب بهـا متـ شغل

---

(١) ديوان الزهاوى (ط1972): ص109 من قصيدة "سعاد بعد زوجها".

نوار ك شخص للعفاف مجسم  
 فإن ذكر الناس العفاف تمثل  
 ترقرق ماء الحسن في وجهها الذي  
 حكى الزهر في البستان أو هو أجمل  
 فجل لفقدان الولي مصابها  
 وباتت تنادي الهن والعين تهمل  
 وقد كان منها الخد كالورد زاهياً  
 فأصبح ذاك الورد بالله يذبل  
 وفاجهها فاقة رباعية لدفعه  
 وأعمر عنها جارها المتمول  
 تجنبها الأدنى وكيل لسداتها  
 وزاد بها الدياء الذي هو معضل  
 هنالك أبدا الجوع ناجذه لها  
 وحارت فلم تدر الذي هي تفعل<sup>(١)</sup>  
 فخارت قواها في غضير شبابها

\* \* \*

ويكون ترمل المرأة أشد إيلاماً لها وأعنف مرارة وقسوة على حياتها حين يترك لها زوجها الراحل طفلاً  
 يتيمًا، فيما أفعظ وأوجع أن تجتمع مرارة الترمل واليتم تحت سقف واحد، فألف آه على تلك المرأة المفجوعة  
 التي تركها فقدان زوجها بلا معين ولا كفيل بالإضافة إلى المسؤولية الجسيمة التي أصبحت وحدها تحمل  
 وطأتها الثقلة وهي القيام بتربية طفلة بريئة تلتفت يميناً وشمالاً تبحث عن عطف الأبوة فلا تجد غير أمها  
 بجانبها فتكسب قطرات من دموعها الحارة على وجهها وجسمها اللذين لسعها البرد فأوجعهما بالبؤس حظ تلك  
 الطفلة البريئة جمعت إلى مرارة الفقر مرارة اليتم التي هي أوجع وأعمق أثراً على حياتها، وما أشد المرارة على  
 الأم الأرملة التي جفف الجوع ثدييها لتصبح تلك الطفلة بلا بنين ولا غذاء.. ولم تستطع الأم إلا أن ترمي السماء  
 بعينيها وهما مملوءتان بالدموع إذ ليس لها إلا رحمة الله.. واليكم القصةحزينة كما صورها الشاعر

(الرصافي) في قصيدة عنوانها "الأرملة المرضعة":

---

(1) ديوان الزهاوي (ط1972): ص92.

تشكو إلى ربها أوصاب دنياهـا

هـذـي الرضـيـعـة وارحـمـنـي وإـيـاهـا

إن مـسـهـا الضـرـ جـفـ ثـدـيـاهـا

كـزـهـرـةـ الـرـوـضـ فـقـدـ الغـيـثـ أـطـمـاهـاـ

وـأـلـمـ سـاهـرـةـ تـبـكـيـ مـبـكـاهـاـ

تـبـكـيـ وـتـفـتـحـ لـيـ مـنـ جـوـعـهـاـ فـاهـاـ

وـبـتـ مـنـ حـولـهـاـ فـيـ اللـيـلـ أـرـعـاهـاـ

وـلـسـتـ أـفـهـمـ مـنـهـاـ كـنـةـ شـكـواـهـاـ

وـلـسـتـ أـعـلـمـ أـيـ السـقـمـ آـذـاهـاـ

بـالـفـقـرـ وـالـيـتـمـ آـهـاـ مـنـهـمـ آـهـاـ

وـمـوـتـ وـالـدـهـاـ بـالـيـتـمـ ثـنـاهـاـ<sup>(1)</sup>

وتلتقط ريشه الشاعر الرصافي منظراً آخر من مناظر التمل واليتم معاً. فتلك مأساة أم أرملة جف ثديها

من مكابدة الجوع والفقر مما اضطرتها إلى أن تفطم ذلك الرضيع قبل موعد فطامه ليشب مثلها منهوك القوى

ضعيف البنية..

وهنا تبرز في تلك القصة مأساة أخرى لها أثرها البالغ في حياة تلك الأرملة البائسة

وهي أن أهل بيتها ووضعها الاجتماعي بثقاليده القاسية يأبون لها أن تعمل لتكتسب

قوتها وقوتها طفلها بشرف وعز لا يشوبه ذل، فيالتساؤة تلك التقاليد التي تأبى لها كسب

(1) ويل أمها.

(2) ديوان الرصافي: شرح وتعليق - مصطفى علي، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، 1979: 4/61-62.

القوت ولا تسمح لها بسد رمقها من العمل الشريف، وهذه القصيدة لشاعرنا (الرصافي) ترسم لنا تلك الملامح:

من بعد ما قد ولدت توئه  
وأص بحت للبؤس مست سلمه  
لا قم ر اللي ل ولا أنجم  
فاض طرها ذلـك أن تفطمـه  
ملـسـه الـدـهـرـ ولا مـطـعـهـ  
يشـكـوـ منـ الدـهـورـ الـذـيـ اـيـتمـهـ

وكـمـ فـتـاةـ فـقـدـتـ بـعـهـاـ  
فـانـقـطـعـتـ فـيـ العـيـشـ أـسـبـابـهاـ  
تـبـيـتـ لـمـ تـحـمـدـ لـفـرـطـ الجـوىـ  
جـفـ عـلـىـ مـرـضـعـهاـ ثـدـيـهاـ  
فـعـاشـ عـيـشـ الـأـمـ لـمـ يـوـفـهـ  
فـشـبـ مـنـهـ وـكـ القـوىـ مـثـلـهـاـ

\*\*\*

أن تـكـسبـ القـوتـ وأن نـطـعمـهـ  
وطـرقـهـ سـاـ بالـجـهـ لـ مـسـتبـهمـهـ  
فـيـ طـلـبـ الرـزـقـ مـنـ الـلـائـمـهـ<sup>(١)</sup>

عـابـ عـلـيهـاـ..ـ قـومـهـ ظـلـةـةـ  
مـنـ أيـ وجـهـ تـبـغـيـ رـزـقـهـاـ  
وـكـيـ فـ وـالـةـ وـمـ رـأـواـ سـعـيـهـاـ

اليـمـ وـآـثـارـهـ الـاجـتمـاعـيـةـ فـيـ الـأـمـوـمـةـ وـالـبـنـوـةـ:

درستنا في البحث السابق حالة من الحالات الاجتماعية المتعلقة بالأمية والبنوة.. وهي حالة التأمل حين تصبح المرأة من غير كفيل يرعاها، ولا مساعد يعينها على قسوة الحياة ويمسك بيدها أمام عواصفها الهوجاء، التي تقاد تفتلخ من نفسها كل جذور الأمل في الحياة.

والآن - وفي هذا البحث ندرس حالة اجتماعية أخرى مؤلمة وقاسية هي حالة اليتم وما تركه على اليتامي من ظلال داكنة وما تحيط به أجواءهم من سحب مدلهمة طالما مطرهم بالبؤس والأسى والخوف الرهيب من المستقبل المجهول؛ مما جعل من اليتم

(١) ديوان الرصافي: 357/2، من قصيدة "المرأة المسلمة".

مشكلة اجتماعية جديرة بالوقوف عندها، وإسداء يد العون والمساعدة الإنسانية إلى كل الذين يعانون منها.

ولابد من وقفة - ولو عاجلة - نعرف من خلالها من هو (اليتيم)؟ ونظرة في كتب (اللغة ومعاجمها) تطلعنا على أن (اليتيم): من (كل شيء): هو المفرد العظيم الذي يعز نظيره.  
فيقال بيت من الشعر يتيم أي مفرد لا نظير له  
والدرة اليتيمة: الشمنة التي لا نظير لها  
ومن (البهائم): من فقد أمه.  
ومن (الناس): من فقد أباه.

ذلك ما تقوله معاجم اللغة وتقف عند التفسير اللغوي لمعنى اليتم واليتيما... ونحن لا يهمنا ذلك وحده، بل إن الذي يعنينا أكثر وأهم وأعمق.. هو أثر اليتم في البنوة ومكانه في الأمومة والمواقف الإنسانية التي يجب أن نتخذها تجاه اليتيم.

فمن هو اليتيم في المنظور الإنساني النبيل، وما هي الآثار العميقية المترتبة على اليتم في المجال الاجتماعي، أجل من هو اليتيم في المعاجم الإنسانية...

أنه ذلك الطفل الذي فقد النظرة الحانية التي ترعاه، وتتسدد خطاه، وتغمره بالرعاية الالزامية. أنه ذلك الطفل الذي شاءت له الأقدار أن يفقد الرعاية الأبوية بما تتطوّي عليه من لطف، وتوجيه وتسديد، فإذا به وهو تائه حائر يدير الطرف يميناً وشمالاً فلا يرى إلا الأشباح المخيفة، التي تكاد تتلعلع وتتدفق في مهاويها السحيقة، ولا يبصّر فيها حوله غير الفراغ العاطفي القاتل الذي يجعل الحياة وهي تبدو أمامة قامة سوداء مرعبة فيرتجف خوفاً وذعراً مما يحيط به من شجون لا أول لها ولا آخر.

وتلك - وأيم الحق - مشكلة اجتماعية خطيرة يجب أن ينظر إليها المعنيون بأمر تقدم المجتمع ورقمه بكل رعاية وعناية.

ولابد لنا من الإشارة إلى أن اليتيم ومعاناته النفسية وحاجته البالغة إلى الرعاية، كانت موضع اهتمام ديننا الإسلامي الحنيف، ويكتفينا أن نتعرف على عمق ومدى ذلك

الاهتمام الإسلامي بالآيات القرآنية الكثيرة التي عالجت مشكلة اليتم ودعت إلى رعاية اليتامي ودراسة مشاكلهم من مختلف جوانبها، واعدة العلاج اللازم والحل الحاسم لكل مشكلة من هاتيك المشاكل، ويكون دليلاً على ذلك أن ت تعرض اثنان وعشرون آية كريمة وفي سور مختلفة من القرآن الكريم<sup>(١)</sup> إلى مشاكل اليتيم ومعالجة شؤون اليتامي وشجونهم.

وكذلك كل المصلحين والمهتمين بشؤون المجتمع أولوا الأيتام عناء فائقة تغمرهم بالعطاء وتشملهم بالرعاية وتلفهم بالحنان الذي افتقدوه بفقد أبايهما والشعراء المحدثون الذين يعملون على تقدم المجتمع ورقمه لأنهم مرهفو الأحساس رقيقوا العواطف والمشاعر كانت لهم وقوف مهمه عند هذه المشكلة الاجتماعية التي تثير أعماق المشاعر الإنسانية.

وحيثما بحث في المراجع المتوفرة لدى عن الأشعار التي تخص هذا الموضوع بالذات، وجدها تشغل حيزاً كبيراً من مساحة الشعر المتعلق بالأبوة والأمومة والبنوة في العصر الحديث حيث وقف الشعراء عند مشكلة اليتم واليتمى الخطيرة والتي ربما تؤدي بهن يعنيها إلى متأهات مرعبة ونهيات مفزعة ربما يكون الوقع في مهاوي الانحطاط والانقياد بيد الشر أحد تلك النهايات المؤسفة.

ولنصحب الآن بعض أولئك الشعراء الذين هالهم منظر اليتيم فكان له الأثر البالغ في نفوسهم مما جعله يؤجج مشاعرهم ويلهب عواطفهم.

فهذا الشاعر (محمود الحبوبي) يصور لنا منظر يتيم بائس فقد حنان الأبوة وعاش في صحراء قاحلة لا

يرى فيها غير البؤس والشقاء، مما جعله مغموراً بالخوف والقلق واليأس فقال من قصيدة عنوانها "اليتم":

سئم العيش لم يذق غير صابه  
ناشئ كاد أن يذوب لما به  
لم يشبع اباه للقا بر حتى  
شيع الأم يالهول صابه

(١) اليتيم في القرآن والسنّة: عز الدين بحر العلوم، ط٣، بغداد، ١٩٨٧، ص١٣.. ومن أراد استقصاء النظرة الإسلامية الجانحة لليتيم فليقرأ هذا الكتاب الذي يسجد فيه الشيء الكثير عن ذلك.

جـدـث ضـمـمـ أـمـمـه وـبـاهـ  
 غـمـرـ الـخـوـفـ نـفـسـهـ فـهـ وـيـلـقـىـ  
 تـغـاضـىـ عـنـهـ العـيـونـ أـزـوـارـاـ  
 يـبـرـصـ النـشـئـ حـولـهـ كـالـفـراـشـاتـ اـزـدـهـاءـ فـيـنـشـيـ  
 غـيرـ اـفـتـةـ سـارـهـ وـغـيرـ خـرابـهـ  
 عـاصـفـاتـ الـأـهـوـالـ فـيـ أـعـصـابـهـ  
 ذـاهـلـ كـالـذـيـ يـسـاقـ إـلـىـ الـمـوـتـ  
 بـرـئـاـًـ فـيـ عـنـفـ وـانـ شـبـابـهـ<sup>(1)</sup>

ويقف الشاعر الحبوبي عند منظر آخر من مناظر اليتم التي تفيض شجنًا وألمًا حيث يرى يتيمًا بائساً

افقد حنان الأبوة والأمومة معاً، فقال في ذلك:

مـاـشـ جـانـيـ فـاـةـ  
 أـبـ صـرـتـهـ مـتـرـنـحـ  
 يـرجـ وـالـفـ وـهـ يـسـتـبـينـ لـهـ القـالـ  
 اـزـرـتـ بـهـ حـالـ تـنـاسـ تـهـاـ الـسـماـحةـ وـاـمـ رـوـهـ<sup>(2)</sup>

وهذا الشاعر (عبد المنعم الفطرولي) يرى يتيمًا بائساً آخر فقد حنان أبويه معاً وهو يعاني من مرارة

الفقر، فلا يجد مسعفاً فقال فيه:

طـفـلـ يـتـيمـ اـقـضـ الجـوـعـ مـضـجـعـهـ  
 لـقـدـ تـعـامـيـ الـرـدـيـ فـابـتـزـ وـالـدـهـ  
 مـلـوـعـ الـقـلـبـ قـدـ أـوـدـيـ بـهـ الـخـورـ  
 وـجـلـجـلتـ بـعـدـهـ فـيـ أـمـمـ الـغـيرـ

(1) ديوان محمود الحبوبي، طبع النجف، 1948: ص 12.

(2) ديوان رباعيات الحبوبي، طبع 1951: ص 149 رباعية بعنوان "يتيم".

قد طأطأ الرأس منه الفقر والصغر  
والهفـاه له من ضـارع سـخب  
وليس منهم لصـوت الحق منـتصر  
قرص يـكافح فيـه الجـوع أو كـسر<sup>(١)</sup>  
وصورة أخرى من صور اليـتم المؤثـرة أـهـاجـت قـرـيـحة الشـاعـر (مـحمد الـهاـشـمي) حـين وـقـعـت عـينـاه عـلـى  
يـتـيم آخر فـقد رـعاـية أـبـوـية وـعـطـفـهـمـا الـبـالـغـ فـهـو يـنـادـيهـمـا فـلا يـجـبـانـهـ لأنـهـمـا لا يـسـمـعـانـهـ وـيـسـتـغـيـثـ بـمـن يـجـبـهـ  
ولـكـن لـيـسـ هـنـاكـ مـنـ يـجـبـ، فـيـقـولـ فـيـ قـصـيـدـةـ "يـتـيمـ الـبـاـكـ":

يـتـيمـ لـيـسـ يـعـرـفـنـيـ قـرـيـبـ  
أـبـيـ أـمـيـ عـلـامـ تـرـكـتـمـانـيـ  
ضـعـيفـ مـطـامـعـ وـقـصـيرـ بـعـوـعـ  
أـجـبـيـادـ دـعـوـيـ - اـنـاـ مـسـتـغـيـثـ  
ولـيـسـ سـوـاـكـمـاـ لـيـ مـنـ سـمـعـ  
فـلـاـ حـبـ كـحـبـ أـبـ وـأـمـ  
ولـسـتـ عـلـىـ الشـقـاءـ بـمـسـتـطـيعـ  
وـلـاـ قـلـبـ كـقـلـبـهـمـاـ الـهـلـوـعـ<sup>(٢)</sup>

وهـذا الشـاعـرـ المـجـدـ (بـدرـ شـاـكـرـ السـيـابـ) يـثـيـرـ مـنـظـرـ يـتـيمـ فـقـدـ أـمـهـ العـزـيزـةـ وـحـانـهـاـ الغـالـيـ فـيـصـبـرـونـهـ  
وـيـعـلـلـونـهـ بـقـدـومـهـاـ وـرـجـوعـهـاـ إـلـيـهـ فـتـتـفـجـرـ قـرـيـحةـهـ عـلـىـ قـصـيـدـةـ رـائـعةـ مـنـ الشـعـرـ الـحـدـيثـ يـقـولـ فـيـهـاـ:

كـأـنـ طـفـلـاـ بـاتـ يـهـذـيـ قـبـلـ أـنـ يـنـامـ  
بـأـنـ أـمـهـ - التـيـ أـفـاقـ مـنـذـ عـامـ  
فـلـمـ يـجـدـهـاـ، ثـمـ حـينـ لـجـّـ فـيـ السـؤـالـ  
ـ قـالـواـ لـهـ: "بـعـدـ غـدـ تـعـودـ..."

(1) ديوان الفرطوسى، طبع النجف، ط2، 1966: 167/1 من قصيدة "اليتيم" نظمت عام 1945.  
(2) الأدب العصري في العراق العربي: رفائيل بطى، ط1، 1923: 17/2.

لَا بَدْ أَنْ تَعُود

وإن تهams الرفاق أنها هناك

في جانب التل تنام نومة اللحود

تسف من ترابها وتشرب المطر،

كأن صياداً حزيناً يجمع الشباك

\* \* \*

ونشر العناء حين يأفل القمر

مط مط ..

## أتعلمن أي حزن يبعث المطر؟

## وکف تنشیج المزارب إذا انهم؟

وَكِيفَ يُشَعِّرُ الْوَحْدَةُ فِيهِ بِالضَّيْاعِ؟<sup>(١)</sup>

أما الشاعر (الزهاوي) فإنه بري أمًا يكاد بتلقفها ويستلعيها زحام المارة وهي تقود بيدها طفلها التيم.

فقال يصف ذلك المنظر اليائس الذي ارتسمت معالمه أمل عمّنه:

لاحت لي امرأة في السوق ماشية ودعها فوق صحن الخد هطال

تقود طفلاً صغيراً وهى صارخة رحماك رياه قد ضاقت بى الحال

وقد غدت عن الدنيا مجردة لا والى دلي ولا عيم ولا خالٌ

(1) أنشودة المطر: بدر شاكر السياب، دار العودة - بيروت، 1971، ضمن المجموعة الكاملة: ص475؛ وينظر - شعراء عراقيون: منذر الحوري، بغداد، ط1، 1977: ص181؛ وينظر - الشعر والشعراء في العراق: ص.259.

و لا ش قيق ولا زوج ولا صلة رجي ولا به سا دار ولا مال<sup>(١)</sup>

وهذا الشاعر (الرصافي) يثيره ويفجر قريحته منظر لابنها آخر يوحى له قصيدة طويلة عنوانها "أم الابناء"

نقططف منها:

فألهـت فـؤادي بـين أـنياب ضـيـغم  
إذا اهـتز في جـوـف الظـلـام المـخـيم  
لـه شـعـراء الـقـوـم مـن مـسـترـدم  
ولـاحـت بـوجـه العـابـس الـمـاجـهم  
سـقـانـي بـكـاهـا فـي الدـجـى كـأس عـلـقـم  
وـمـحـمـر جـفـن بـالـبـكـا مـتـورـم  
فـكـادـت تـراـه العـيـن بـعـض توـهـم  
وـلـيـس الـبـكـا إـلا تـعلـمـة مـعـدـم  
بـكـاء يـتـيم جـائـع حـوـل أـيـم  
<sup>(2)</sup>

رمت مسمعي ليلًا بأنه مؤلم  
يهز نياط القلب بالحزن صوتها  
فأصبح قلبي وهو كالشعر لم تدع  
ويبيت بكـت فيه الحياة نحوسـة  
دخلت به عند الصباح على التي  
فألفـيت وجهـاً خـدد الدـمع خـده  
وجـسـماً نـحـيفـاً انهـكتـه هـمـومـه  
بكـ حـولـها جـوعـاً فـغـذـته بـالـبـكـاـ  
وأـكـبرـ ما يـدـعـوـ القـلـوبـ إـلـيـ الأـسـى

وليلفت شاعر آخر هو الشاعر (صفاء الحيدري) فيري بجانبه يتيمًا بائسًا يعج بالشكوى إلى أبيه الذي

فقد رعايته وحنانه فيعبر عن تلك الشكوى بقصيدة جاء فيها قوله:

أبتساه، لا تعجب أكباه  
لم تمر يوماً إلا وله أحلام

(١) الشعر العراقي الحديث وأثر التياتر السياسي والاجتماعي فهـ: د. يوسف عز الدين، ١٩٦٥، بغداد: ص ١٠٥ "الitim".

(2) ديوان الرصافي: شرح وتعليق مصطفى علي: 34/2 من قصيدة "أم التيم":

أَلْفُ الْمَتَامِ بِالسَّابِ فَلَا تَهْجُو سَبَقِ الْأَعْوَامِ، تَهْضِي بِالنَّهَائِي مَا أَجْبَتْ عَلَى نَدَائِي تَعْبُأُ بِيْتَمِي وَانْطَفَائِي فَقَصَتِ الْمَدِينَا جَنَاحِي تَعْصِبُ الْمَذْكُورِ صَبَاحِي الْمُسْتَارُ عَلَى جَمَاحِي <sup>(١)</sup>	وَأَنَا إِلَيْهِمْ، قَنَعْتُ مَنْ نَفَسِي يَغْلِفُهُ سَكُونِ عَامَانِ مَرَّة، فَسَاتَرَكِ أَنِي أَجْبَتْ عَلَى نَدَائِكِ اِيْتَمَنْتِي طَفَلًا، وَلَمْ قَدْ كَنْتَ اِسْمَوُ لِلسمَاءِ فَهُوَيَسْتَلِّأَرْضَ الْخَوْؤُونِ فَطَوَيَسْتَأْحَلَمَيْ، وَاسْتَدَلَتِ
---	---

ويلوح منظر آخر من مناظر اليتم المؤلمة القاسية أمام الشاعر السيد (محمود الحبوبي) حين يرى إنسانة حز في نفسها اليتم الموجع حيث فقدت أمها وهي في الأيام الأولى من حياتها حين كانت رضيعة في مهدها، ولم تقتتن الأقدار منها بذلك وحده بل وفي لحظة من اللحظات القاسية ابتزت منها حنان أبيها فبقيت محرومة من حنان الأبوة والأمومة معًا. وبينما تمشي هي على حذر وخوف وترقب وإذا بأحد المربين يسدّد نحوها نظرة مربية، فما كان منها إلا أن تنهدت ورمقت السماء مستغيثة بربها من أهل الريبة، فصور الشاعر لنا كل ذلك في

المقطوعة التالية:

وَكَوْسَتْهَا ثَوْبُ الْشَّفَاءِ يَدَاهَا لَا تَرَى حَانِيًّا عَلَيْهِ سَاوَاهَا وَلَمْ يَقْتَنِ فَبَرْزَ أَبَاهَا	طَارَدَهَا الْحَيَاةُ مِنْذُ صَبَابَاها فَمَشَتْ فِي مَجَاهِلِ الْبَوْسِ حَيْرِي بِزَهَا الْمَوْتُ أَمْهَا وَهِيَ فِي الْمَهَدِ
--	---

(1) المجموعة الشعرية الكاملة: صفاء الحيدري، بيروت، د.ت: ص361 من قصيدة "في الليل" نظمت عام 1945.

سارقتها اللحاظ عينًاً مريب

ومنظر آخر من مناظر افتقاد الأبوين حيث يرى الشاعر (أنور شاؤول) يتماً مفجوعاً سرعان ما افقد

أباه ولم تكتف الأقدار منه بذلك بل أوجعت قلبه بأن تختطف منه أمه الحنون. فقال من قصيدة:

وها هو قد أمسى وحيداً كما ترى خلي وفاض من حنان حنون<sup>(2)</sup>

وير عيد من الأعياد السعيدة، ينبع فيه على الشاعر (محمود الجبوني) سعادته، عيناً يتيم كستها لآلئ

الدموع برباداً شفافاً يشف عن مدى الحزن والألم اللذين يعنيانه منهما ذلك اليتيم البائس، فيقول في رباعية له

عنوانها "البيتيم والعيد":

**مَا لَعِنَ الْيَتَامَةِ بَكِيرَةٌ وَثَغْرٌ وَالْأَطْفَالُ تَبْتَسِمُ**

**أيـن أـيـدى الـكـرـام مـاسـحة** من دـمـوع الـأـيـام تـنـسـجـم<sup>(3)</sup>

وهذه شاعرة.. نعم.. شاعرة عانت وعاشت مرارة الitem.. تلك هي الشاعرة (عاتكة الخرجنى) التي

عرفت برهافتها الشعرية إنها ولدت في مأتم أبيها، فقالت في ذلك مقطوعة قطر آسي وشجبي وأملاً:

**بـلـوت مـنـ الـأـيـامـ كـلـ عـظـيمـةـ وـحـسـبـيـ أـنـ قـدـ ولـدـتـ بـأـتمـ**

عرفت به أمري وياليت أننى جهلت فلام أعلم ولم أتعلم

<sup>1)</sup> ديوان رباعيات الحبوبى: ص 144 ضمن " من اثام المجتمع ".

(2) شعراء العراق المعاصر ون: غازي عبد الحميد الكنن، ط١، 1958: 91-92.

(3) ديوان رباعيات الحيواني: ص130.

قرأت بها يتمي وتاريخ حسرتي	وألقت على الأم نظرة ايم
تصح أبي، إذ يبيديها بطفلي	وكم كنت آسي إذ أشاهد طفلة
أسائل أمي، إذ أغالب دمعتي	فأسرع في ذل ويأس ولهفة
أمالي من كف تكف عربتي؟	حنانيك يا أمي أمالي من أب ؟
فأقرأ فيه ما يضاعف حسرتي <sup>(2)</sup>	هنا لا تجيب الأم إذ يغلب الأسى

وحيث تبارى المحسنون في العصر الحديث في بناء الملاجئ للأيتام شاركهم الشعراء تلك المشاعر النبيلة وحثوهم على القيام بتلك الأعمال الجليلة... فمن ذلك ما نظمه الشاعر المجدد (عبد الحسين الأزري) من قصيدة يحيى بها القائمين بأعمال الجمعية الخيرية للأيتام وبختم تلك القصيدة بقوله الذي نختم فيه هذا

البحث:

يا ملجاً الأيتام كم لك منة  
أنقذت من أيدي الخطوب بقية  
إني لأنظر في اليم إذا يكى  
خوف الأسىير وذلة المغاول  
سلكت بهم لولاك شر سبيل  
سيزفها التاريخ للتسجيل

(1) المجموعة الشعرية الكاملة: عاتكة الخزرجي، 1986: ص 320 "اللتم":

(2) أدب المرأة العراقية في القرن العشرين: بدرى طبانة: ص 142.

## وقوع المرأة في الخطيئة والآثار المترتبة عليها:

مسكينة هي المرأة في مجتمعاتنا، فإن كل ما يفرزه المجتمع من أخطاء وخطايا اجتماعية تلقى على عاتقها.. نعم على عاتقها وحدها، والرجل - بحكم مركزه وتحكمه الاجتماعي - يكون بعيداً عن كل ذلك فلا تلقى عليه أي تبعه أو لو أو عتاب فضلاً عن العقاب..

يأتي الشاب إلى الفتاة البريئة الساذجة فيغريها بالوعود الكاذبة والأمنيات الخلابة، ويستمر في إغرائها حتى يقضي منها وطراً دينياً من دون أن يفكر بمستقبلها الذي سحقه تحت قدمه وبشرفها الذي لوثه بأحوال جرمته.. ويذهب لحالة ويكون بمنأى عن كل حساب وعقاب، فيأتي أهل تلك الفتاة يمشون بزهو وخجلاء وكبراء يحملون في أيديهم ساكين الموت ليطعنوا المسكينة البائسة عدة طعنات يسيل منها الدم متدفقاً متفجرأً ليغسلوا بذلك الدم الخزي والعار الذي ألحقته بهم تلك البائسة.. ويرجعوا رافعي الرؤوس منتفخين بالأوداج مترنحين مختالين لأن شرفهم عاد إلى مكانه من الشأن والرفة..

أما الذي كان سبباً لوقوع تلك المأساة فلا يحاسبه المجتمع، وأعجب من ذلك أنه لا يسميه مرتكباً جرماً ولا مقتضاً لأي خطيئة فلماذا هذه المحاباة للرجل ؟ ولماذا لا يحاسب على جرمته الشنيعة ؟

نحن لا نريد أن ندفع العقاب عن ذات الشرف المهاهان والعرض المغتصب ولا نريد الدفاع عنها إلا من جانب واحد وهو لماذا لا تحاسب الأعراف والقوانين ذلك الذي أوقعها في ذلك المنحدر مستغلًا بساطتها وطبيتها؛ وهناك أسباب أخرى تهيئ لتلك

(١) ديوان الحاج عبد الحسين الأزري، حققه وضبط كلماته وترجم لاعلامه وعمل لفهارسه: مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر، قدم له المرحوم علي الشرقي ترجم للشاعر جعفر الخليلي، مؤسسة النعمان، بيروت، د. ت: ص160 من قصيدة "البيتيم" .

الفتيات الوقوع في تلك المنزلقات هي الفقر وال الحاجة الماسة التي لم يوفر أبسط متطلباتها لها أهل ولا مجتمع ولا قانون، مما يجعلها عرضة للوقوع في تلك المآثم الفظيعة التي تحطم حاضرها ومستقبلها وتؤدي بهم إلى أوثم العواقب في حياتها، ورما تنتهي بها إلى الموت غسلاً للعار...

لذلك فقد عالج الشعرا هذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة التي تحتاج إلى مزيد من البحوث المستقلة

لتعالجها من جذورها العميقه وأسبابها الحقيقية فهذه الشاعرة (نازك الملائكة) تصور أحد تلك المناظر البشعة

فتنتقل إلى أمها فظاعة جريمة هي من بقايا الجهل والتخلف، فتقول:

اماه وحشرجة ودموع وسوداد

وانبعس الدم واختلخ الجسم المطعون

والشعر المتموج عش فيه الطين

أمهاد ولم يسمعها إلا الجلاد

وغدا سيجيء الفجر وتصحو الأوراد

والعشرون تنادي والأمل المفتون

فتحبيب المرجة والأزهار

رحلت عنا غسلاً للعار...<sup>(١)</sup>

(١) ديوان قرارة الموجة: نازك الملائكة، مج 2: ص 353. وينظر- الشعر والشعراء في العراق: احمد أبو أسعد، ص 216.. ويضيف د. جلال الخياط أن الشاعرة نازك تختلف اختلافاً جذرياً عما الفناء في طريقة عرضها للموضوع، فهي تعرض مسألة محددة ولا تكتفي بأفعال الأمر علاجاً لها، ولا تميل إلى النصائح غير المجدية، وتقدم لنا المأساة بأسلوب حزن بصور وحشية الفعل ويثير النقاوة. ينظر- الشعر العراقي الحديث - مرحلة وتطور: د. جلال الخياط، ط 2، بيروت، 1978: ص 174.

وهذا الشاعر (محمود الحبوبي) يرى أنه كم من آثم و مجرم أغري فتاة بوعود كاذبة فأوقعها في المنزلق

الخطير حتى زرع في أحشائها بذرة جرم و خطيبته الكبرى و حين ولدته أمه وفي حالة من حالات ارتباكاها و خوفها

وألمها الذي كان يمزق نفسها فأماتت ذلك الطفل و رمته على قارعة الطريق فكانت الجريمة جريمتين بشعتين،

فيقول:

وبائسة رمتها في الخطايا  
فالة آثم وأثام سافل  
وقد وضعت على كرمه جنيناً  
أماته لتعدوها العوائل  
وكنت مع الألئ شهدوه ملقى  
بقارعه الطريق مع الجنادل<sup>(١)</sup>  
فقللت وكم ضحايا مثل هذا  
تمر كما تمر من المهازل<sup>(٢)</sup>

ومما يزيد ارتكاب جريمة الغسل للعارض<sup>(٣)</sup> البشعة بشاعة وفضاعة أن الزوجة لم تقترف ذنبًا وإنما كان

اقتراف ذلك العمل الشنيع بدافع من تربيتها المقيمة التي أدت إلى أن تفقد الزوجة حياتها نتيجة التهور

والوساؤس الشريرة التي تعشعش في حنايا نفسه وزوايا روحه الفاجرة، فقال في ذلك الشاعر (الزهاوي):

رب حسناء ضر جوها قساة  
بدم كان للuros خضابا  
هي لم تقترف إلى الزوج ذنبًا  
إما كان قلبه مرتابا<sup>(٤)</sup>

(1) جنادل: الحجار.

(2) ديوان رباعيات الحبوبي، 1951، النجف: ص 121 رباعية بعنوان "جريمان".

(3) من العادات السائدة في المجتمع العراقي ولاسيما في الريف، أن الرجل إذا حصل ما يخدش عرضه أو يلوث سمعته فإنه لا يتولى عن القتل غسلًا للعارض، وبذلك يمحو العار عنه وعن عشيرته كلها.. ينظر - المرأة في القصة العراقية: شجاع مسلم العاني، بغداد، دار الشؤون الثقافية: ص 127.

(4) ديوان اللباب: الزهاوي، مطبعة الفرات، بغداد، 1928: ص 335 من قصيدة "الحجاب والسفور".

وهذا الشاعر (محمود الحبوبي) يعود مرة أخرى ليرسم لنا صورة فتاة معدمة يؤدي بها فقرها إلى الواقع في مستنقع الرذيلة ولم يكتثر أخوها الذي يتظاهر بتمسكه بالشرف والفضيلة بما هي عليه من جوع وفقر، بل يطعنها ليغسل العار عن شرفه الموهوم وكان الأولى والأجدر به أن يغسل العار عن وطنه الذي يعيش به الجهل والفقير والمرض، فقال في رباعية بعنوان "يقتلها غسلاً للعار":

أَمْلُ فِي حِمَّي عَرَضَهَا الْأَمْلُ	نَشَأَتْ بِبِيَّنَاتِ فِيَّهِ لَهَا
وإِذَا بِهِ اتَّعْزَّ وَمَمْثَلٌ	وإِذَا أَخْرَجَ مَالَ يَرَاوِدُهَا
فَتَمَوْتُ وَهِيَ تَقُولُ يَا رَجُلٍ	وإِذَا يَدْخُلُ خَرْقَاءَ تَطْعَنُهَا
الْفَقَرُ فِيَّهِ يَعْيَشُ وَالْعَالَلُ <sup>(۱)</sup>	هَلَا غَسَّلَتِ الْعَارَ عَنْ وَطْنِ

وهذا الشاعر (السياب) يرسم صورة أخرى من مأسى الواقع في الخطيئة حيث كان فقر تلك البائسة حائلًا بينهما وبين الزواج الذي هو الوسيلة الوحيدة التي تجنبها المزالق، واستغلوا طفولتها وصغرها فانتهت بها الحال إلى تلك النهاية المؤلمة المؤسفة فيقول في قصيدة "المومس العميماء":

وتلقفوها يعبثون بها وما رحموا صباحا  
لم يتغدوها للزواج لأنها امرأة فقيرة  
واستدرجوها بالوعود لأنها كانت غريبة  
وتهامس المتقولون فثار أبناء العشيرة

متعطشين -

على المفارق والدروب - إلى دماها..<sup>(۲)</sup>

(۱) ديوان رباعيات الحبوبي: ص 123.

(۲) ديوان السياب، دار العودة، بيروت، مج 1: ص 509-527.

ويعود لنا الشاعر (محمود الجبوبي) يتساءل من هو المسؤول عن اقتراف تلك الفعلة الشنعاء، أهـ

القاتل المجرم؟ أم القانون الذي يخفف عنه العقوبة؟ أم الجهل الذي أدى به إلى ارتكابها؟ أم الفقر الذي هو

رأس المأسى التي تؤدي بامرأة إلى ذلك المنزلق فتؤدي بحياتها:

شيء من الناس من حولها أكثر ليفترس الورقاء في عشها المصقر ليمشي لها - لولا خصايتها - العهر	شجاني ان شاهدت جثة غادة أرادت لها قوتاً فعزم فأذعنست رماها فأرداها أخوها، ولم تكن
أساء أم الشعب الجھول، أم الفقر؟ <sup>(١)</sup>	أخوها، أم القانون، أم هي، أيهم

وذلك فتاة أخرى يصور مأساتها الشاعر (محمد الهاشمي) حين تلتجئ إلى أمها الحنون لتشتكى إليها ما

هي عليه من البوس والشقاء بعد تدليس عرضها الذي دونه كل الجاه وكل املاك، فهي تتمنى الموت الذي تجد

بـه الشـيء الـوحـيد الـذـي يـغـطـي لـهـا تـلـك المـزـالـق الـتـي أـوـقـعـها فـيـها مـحـتـال نـصـابـ:

يَا أَم ! عَرَضِي لَا جَاهِي وَلَا مَالِي	إِنْ لَمْ أَصْنَهْ فَلَا رَعِيَّاً لَّامَالِي
يَا أَم مَوْتِي أُولَى إِذَا افْتَضَحْت	بَيْنَ النِّسَاءِ جَنَاحِيَّاتِي وَأَفْعَالِي
يَا أَم إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَخْادِعَنِي	بِالْحَبِّ يَا أَم هَذَا حَبْ مَحْتَال
خَذِي الْمَواثِيقَ مِنْهُ أَوْ خَذِي قَسْماً	بِأَنْ يَبْرُ عَلَيْنَا حَلْفَةَ الْآلِي

فلم تستوعب الأم ما حدث ولم تتوقع ما سيحدث لابنتها ففات الأوان على النصح، بوفاتها:

دعى ابنتي هذه الأفكار! واتئدي فإن غشك لم يخطرك على بالي

<sup>(1)</sup> رباعيات الحبوب: ص 67 " من هرم المجرم ".

كيما تبعت على حزن وبلبال  
 ما كان أرشدني عن رأي اطفال  
 بدءاً، بدءاً سل شديد الفتاك قتال  
 بالإفك واهماً على بيضاء معطال  
 موظفين لئام الطبع جهال  
 إلا المضدية في عرض وفي مال<sup>(١)</sup>

وهل سمعت بأم تخدع ابنتهما  
 قال لها أمها: ما أنت مرشدتي  
 وبعد شهرين ماتت أنها بليت  
 لهف العفاف على عذراء قد قتلت  
 قل للحكومة: ويحل للرعية من  
 هانت على الحر وقعاً كل نازلة

\* \* \*

ولعل عادت غسل العار تعطينا صورة واضحة عن إهانة المرأة واحتقارها، ومما هو جدير بالذكر أن  
 العراق هو البلد الذي استفحلت به تلك العادة إلى درجة يندر أن يكون لها نظير في بلد آخر<sup>(٢)</sup>.

(1) الأدب العصري في العراق العربي: 24/2 ضمن قصيدة " الفتاة المخدوعة والشرطي الأثيم ".

(2) ينظر - أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث: منير بكر التكريتي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1976: ص189 ؛ وينظر

- التيار الاجتماعي في الشعر العراقي الحديث: ص70 .

### **الفصل الثالث**

**العلاقات العاطفية في شعر الأمومة والبنوة**



### الفصل الثالث

## العلاقات العاطفية في شعر الأمومة والبنوة

مناغات الآباء والأمهات لأبنائهم:

إن الحب والحنان اللذين يضفيهما الآباء والأمهات على أولادهم هو أبلغ تعبير وأدقى بيان عن مشاعر الأبوة والأمومة المقدسة... التي تولد مع الأولاد وتنمو بنموهم وتعايشهم في شتى مراحل حياتهم.

إن الأولاد وحتى قبل أن يولدوا يكونون الحلم الجميل والأمل المنشود الذي يتلاؤ في أفاق أماناتهم فيتعلعون إليه بكل لهفة وشوق، وما أعمق البهجة التي تغمرهم والسعادة التي تظللهم حينما يصير ذلك الحلم حقيقة واقعة وحينما يبدأ التحول العظيم فتكون المرأة أما ويصير الرجل أبا... عند ذلك تحس المرأة وتذوق طعم الأمومة الذي لم تعرف منه قبل ولادتها غير معناه اللفظي الجامد..

وهي الآن تعشه بأبعاده الحقيقية الملائبة بالعاطفة والحب والحنان، مما يجعلها تدرك بأن لحياتها معاني أعمق وأروع وأجمل وأن لوجودها أبعاداً أوسع مدى، أضافها على دنياها هذا الوليد الجديد السعيد.

وكذلك الرجل الذي يصبح أباً يبدأ يتلذذ بطعم الأبوة الذي ليس في الحياة - على كثرة ملذاتها - ما هو ألد وأحلى وأشهى منه.

ما أجمل بيت الزوجية وما أروعه حين قمتد إليه يد العناية الإلهية لترسم في أفقه صورة وليد جديد يزدان به ذلك البيت.

وما أبدع تلك السمفونية الرائعة التي تبده سكون البيت بالصوت الملائكي الفاتن الذي ينبعث من ذلك الوليد الجديد الذي جعل البسمة تشرق على الشفاه والفرحة تخمر النفوس والقلوب فتلاؤ في العيون الباسمة إشراقاً يجعل الحياة كلها زاهية بتلك البسمات الوضيئة؛ والأولاد - بحكم الغريزة الإلهية - أفلاد من أكباد أباائهم وأمهاتهم، فإذا هم ضحكوا تضحك لهم الدنيا بكل أرجائها، وإذا بكوا يشعرون بالعبوس والتقطيب يملأ

ست جهاتها يحدقون في وجوههم فيقرأون على صفحاتها سطور البراءة والنقاء والصفاء، ويلمحون في عيونهم

وهج الأمل ودفقات الحنان.

وحسينا أن نتصور هنا مدى السعادة والمسرات التي تغمر بيته بالبراءة والنقاء والصفاء والأمل والحنان.

وحسينا أن نتصور أيضاً مدى تعلق أولئك الآباء والأمهات بأولادهم - أفلاد أكبادهم - لأنهم يرون كيانهم

مرتسمًا على جبهات أولئك الأطفال، ويلمسون في وجودهم امتداداً لهم يزهو به الوجود.

ومهما كان الإنسان ذا حس مرهف وشعور ريقق فإنه هيئات أن يتحسس الأمومة أو البنوة كعواطف

مشبوبة ومشاعر وهاجة إلا إذا عاشهما على وجه الحقيقة، فكان أباً أو أماً.

إن لغة الأطفال التي تتجسد بأصوات غريبة وهممات غير مفهومة لا يحس بها قيام الإحساس ولا

يتفهمها أعمق الفهم إلا الأب والأم وحدهما، ولا ينفع بموسيقاها المعبرة والمؤثرة سواهما؛ لذلك وبأسباب من

تلك الدوافع الغريزية والمشاعر الفطرية التي ألمحنا إليها، صار الآباء والأمهات يلاعبون أطفالهم ويناغونهم من

دون أن يهمهم خلع وقار أو يضنّهم تعب أو يرهقهم جهد شاق لأن كل ما يعنيهم ويهتمهم أن يرسموا السعادة

على ملامح أولئك الأطفال.

كما صار الآباء والأمهات يناغون أولادهم ويحدثونهم بكل الصدق والعفوية مما يختلف في نفوسهم

ويدور في أذهانهم من أفكار وطموحات وأمان يؤمنون تحقيقها وأمنيات يحلمون بتطبيقها تصرفًا وسلوكًا يطبع

حياة أولئك الأولاد.

والآباء والأمهات من الشعراء والشاعرات الذين هم - بحكم شاعريتهم - أكثر رهافة ورقّة من الناس

العاديين ناغوا أولادهم بقصائد ومقاطع شعرية تعبر عن أسمى معاني الحنان والحب وترسم صوراً

خلابة لطموحاتهم التي يرجون تحقيقها على أيدي أولئك الأولاد مسرح تلك الطموحات الجميلة، فهذا الشاعر

المجدد الشيخ (علي الشرقي) وبعد صبر طويل رزق بنتاً وولداً تفاوتت سنهما بما يقرب العاملين، وكانا في

لنا مشاعره وأحساسيه أمام مفاتن ذلك المنظر الذي هز شاعريته وجعلها تتدفق بقوله:  
الوالدون " نسي فيها شيخوخته وأزاح فيها عنه ستار حشمته ووقاره ليصف روعة المنظر البديع الماثل، ويجسد  
يوم من الأيام قد رآهما يدبان أمامه، فأوحى إليه منظرهما الرائع المثير قصيدة نظمها عام 1945 عنوانها " أيها

وهذا شاعر آخر هو الشيخ (محمد أمين زين الدين) ونرى من المناسب التذكير هنا بأنه من رجال الدين الذين كان الدين بالنسبة لهم سلوكاً عملياً يتجسد في التقى والعبادة وغيرها من الصفات التي تضفي على أصحابها الوقار والهيبة والجلال وتبتعد به عن كل ما يمتد إلى اللعب والمزاح بصلة؛ أجل نرى هذا الشيخ التقى الورع الذي هو بعيد بهيئته وهيئته عن كل ما يؤدي به إلى الخروج عن عالم وقاره نراه وقد اعتبره هزة من هزات الأبوة العنيفة حين حدقت عيناه في عيني ابنته البريئة التي كانت البراءة تتدفق من عينيها فاحتضنها بين يديه لتشمها وبناغتها بالشعر الرقيقة، الرائع الذي تدفقت به شاعرته، فيقول مخاطباً إياها:

إيه رihanah الفؤاد أعيدي  
نغمة الحب للفؤاد أعيدي  
أبرسمى للحياة فالدهر غض  
لك والكون في احتفال وعد

(1) ديوان الشرقي: جمع وتحقيق إبراهيم الوائلي وموسى الكرياسي: ص 262.

إبسمى فال صباح يبس  
حيث كل الحياة شعر رقيق  
هتف الطير في الصباح يحييك  
ونج يوم السماء ترن وودت  
والطير يهز القلوب بالتجريد  
في المعانى وانست بيت القيد  
فردی تحییة المعمود<sup>(1)</sup>  
لو يحلیك بعضاها بعدها ود

نظرة منك تتعش الأمل العذب وتحيي ماضي الغرام البعيد

ثم يلتفت إلى أمها وقد أخذها سحر ذلك الموقف العاطفي فيخاطبها بقوله:  
 نـاء باـسـمـهـيمـيـنـالـعـبـودـ  
 فقد أصبح يرنو لها عين حسودـ  
 يـؤـمـنـهـارـقـاقـتـلـكـالـخـدـودـ  
 ماـتـلـاقـيـفـدـهـرـهـاـمـنـقـيـوـدـ  
 أيـهـاـأـمـعـوذـيـالـطـفـلـةـالـحـسـ  
 وأـهـذـرـيـالـبـدرـأـنـيـراـهـاـ  
 واحفظـهـاـمـنـالـنـسـيـمـفـقـدـ  
 حـلـلـهـاـمـنـقـيـدـهـاـفـكـفـاهـاـ

وهذا الشاعر (علي جليل الوردي)<sup>(3)</sup> تتدفق مشاعره الأبوية فيناغي ابنه بقصيدة مشحونة بالعاطفة،

نقطف منها قوله:  
 وذقت الهناء من وجنتيكـ  
 ففـيـضـحـنـانـيـمـنـمـقـلـتـيـكـ  
 فـسـرـخـلـوـدـيـفـلـفـظـيـتـكـ!  
 رـشـفـتـالـسـعـادـةـمـنـمـقـلـتـيـكـ  
 وـعـلـمـتـقـلـبـيـمـعـنـىـالـحـنـانـ  
 بـلـفـظـكـ(ـبـابـاـ)ـعـرـفـتـالـخـلـوـدـ

(1) العاشق.

(2) نقلاً عن: المختارات من الشعر العربي - محمد جواد الغبان: ج 1، ضمن "روائع الشعر الحديث": ص 112، "مخطوطه".

(3) علي جليل الوردي - ولد في الكاظمية عام 1918 له ديوان (طلائع الفجر 1960). ينظر - معجم المؤلفين العراقيين، ص 413.

وشعراء من بلادي، ص 218.

بني اجنبـي عـنـ ذـا السـؤـال  
تـرـى أـنـا أـمـ أـنـتـ فـي بـرـدـيـكـ؟<sup>(1)</sup>

وهذا الشاعر (الزهاوي) يرى أما تناخي وتخاطب ابنتها الرضيعة أثناء تنومها وهي ترى فيها خلال تلك اللحظات الحلم الذي كان يخالجها ويحاورها في ليلة زفافها، وكم كانت فرحتها غامرة حين يتجسد حلمها بتلك

الطفلة الوديعة فيقول على لسان تلك الأم:

حـلـمـاـ لـذـيـ ذـاـ لـفـ	سـيـ قـدـ كـنـتـ لـيـلـةـ عـرـسـيـ
أـنـتـ الـحـقـيـقـةـ نـامـيـ	وـالـيـوـمـ يـاـ اـبـنـةـ اـذـسـيـ
أـمـاـ لـجـيـلـ سـيـأـقـيـ	حـسـبـيـ مـنـ الـسـدـهـرـ بـنـتـيـ
نـامـيـ بـرـبـكـ نـامـيـ <sup>(2)</sup>	أـنـتـ الـسـعـادـةـ أـنـتـ

وهذا الشاعر (محمد مهدي البصیر) يصور أما لا تغفو عنها إلا إذا غفا ولیدها وتسهر معه إذا كانت عيناه تبكيان من ألم يعانيه ولا يعرف التعبير عنه إلا بالبكاء، فتضفي عليه من عواطفها وحنانها ما تعجز عن

تصويره صفحات الكتب وذلك بقوله<sup>(3)</sup>:

أـمـ أـضـرـ بـهـاـ مـنـ حـولـهـ الـوـصـبـ	كـمـ مـنـ وـلـيـدـ عـلـىـ مـهـدـ تـحـرـكـهـ
فـإـنـ بـكـاـ فـلـذـيـذـ النـوـمـ مـسـتـلـبـ	إـذـ غـفـاـ الـخـلـفـ الـنـفـورـ غـفـتـ
وـلـيـسـ يـؤـوـيـهـ إـلاـ صـدـرـهـ الـرـحـبـ	إـذـ لـيـسـ يـرـوـيـهـ الـأـصـفـ دـرـتـهـاـ
كـأـنـاـ هـيـ غـصـنـ ضـمـهـاـ رـطـبـ	كـأـنـهـ زـهـرـةـ مـمـتـصـةـ لـنـدـيـ
مـالـيـسـ تـقـوـيـ عـلـىـ تـصـوـيـرـهـ الـكـتـبـ <sup>(4)</sup>	يـهـلـيـ الـحـنـانـ عـلـيـهـ مـنـ عـوـاـطـفـهـاـ

(1) نشرت في جريدة الهاتف، النجف الأشرف، 1942م من قصيدة بعنوان "الحنان الأبوى".

(2) ديوان الزهاوي: بقلم عبد الرزاق الهلالي، مج، 1، (ط1972): ص24-25.

(3) ديوان الزهاوي: بقلم عبد الرزاق الهلالي، مج، 1، (ط1972): ص24-25.

(4) ديوان زيد الأمواج: محمد مهدي البصیر (ط1972): ص115 من قصيدة "دنيا الظلام".

وهذا شاعر آخر من شعراء النهضة الحديثة هو السيد (عبد الرحمن البنا) يصور عاطفة أم والهة تجاه

ابنها العزيز، فتناغيه مسألة إياه بقولها له:

فقلبي على ما أنت فيه موجع

اليك أجيال الطرف والطرف يدمع

حنانًاً وكادت مهجةٌ تقطّع

ويختل منك العقل واللب يهلك<sup>(١)</sup>

من القلب ماذا أنت في الليل تصنع

من القلب نام الناس وطرا وأنني

عليك فؤادي ذاب من حرقة الجوى

وأني لأنخـشـى أن تصـيـكـ عـلـةـ

وهذا الشاعر (حافظ جميل) يناغي طفله (البكر) سمير، بشعر مشحون بالعاطفة الأبوية المتدفقه يعتبر

فيه أن ابتسامته رمز لسعادته وتعبير عن زوال نحسه فيتمنى أن يبقى له أملًا باسمًا يجدد أحلامه ليرفع رأسه

عالياً، فيقول:

ولدي (سمير) فدتك نفسى

يا بذرتي وكريم غرسى

لولاك لم اجزع ملکروه

ولم أطرب لأنس

ان تبتسم فالليوم يوم

سعادي وزوال نحسى

أنت الذي أرهفت لي

بالحب عاطفتى وحسى

واعتنى في النبات

---

(١) ديوان البنا: 152/2، 153، قصيدة " من حقيقة حال ".

على التصبر والتأسي

علمتني معنى الحياة

سليقة من غير درس

فلتبق لي أملاً يجدد

عهد أحلامي وعرسي

أنا يا (سمير) أبوك فأرفع

عالياً في الناس رأسي<sup>(١)</sup>

والشاعرة (نازك الملائكة) ترى بعينيها أن ابنها (براق) يدعوها (ماما.. ماما) فتقرأ في عينيه سورة النعاس

والرغبة في النوم وحاجته إلى حضنها الدافئ ليجد فيه الحنان الذي يحتاج أن يغفو عليه فتحضن الأم ولديها

وتناغيه واصفةً ذلك الدفق من الحنان، فتقول:

ماما ماما ماما ماما

براق الحلو اللثقة ينوي النوما

والنوم وراء الربوة هيأ حلما

والحلم له أجنحة ترقى النجما

والنجم له شفةً ويحب اللثما

واللثم سيوقظ طفلي: ماما ماما<sup>(٢)</sup>

(١) ديوان أحلام الدواي: حافظ جميل، بغداد، 1972: 283، "ولدي سمير".

(٢) ديوان نازك الملائكة (شطايا ورماد) ط بيروت، مج 1: 1556/2015 وينظر - ونلاحظ في قصيدة (أغنية الطفلي) هذه بدأ كل شطر بعين الكلمة التي جاءت في آخر الشطر السابق، فلفظة (النوم) التي بدأ بها الشطر الثاني كانت تكرار لعين اللفظة في نهاية الشطر الأول، وللفظة (الحلم) التي ابتدأ بها

وهكذا الشاعر (بدر شاكر السياب) يسمع طفله (غيلان) بدعوه (بابا.. بابا) والنعاس يكحل عينيه وهو راقد في سريره تغمره عواطف الأبوة، فإذا بالأب الذي يهزم ذلك المنظر المؤثر فيقول واصفًا تلك الصورة في قصيدة تجعل قارئها يعيش في أجواها:

((بابا... بابا...))

ينساب صوتك في الظلام، إلى، كالمطر الغضير،  
ينساب من خلل الناس وانت ترقد في السرير.  
... وأظل أصبح في رشاش منه، اصبح في عبير.

فكأن أودية العراق

فتحت نوافذ من رؤاك على سهادي  
هذا خلودي في الحياة تكن معناه الدماء.  
تموز عاد بكل سنبلاة تعابث كل ريح.

((بابا... بابا...))

يا سلم الدم والزمان: من المليا إلى السماء  
غيلان يصعد فيه نحوى، من تراب أبي وجدي  
ويدها تلمسان، ثمًّ، يدي وتحتضنان خدي  
 فأرى ابتدائي في انتهائي.

((بابا... بابا...))

---

الشطر الثالث كانت تكرار لعين اللفظة في نهاية الشطر الثاني.. وهكذا وهو توظيف الأسلوب الحكاية الغنائية الشعبية المتسلسلة. ينظر- نازك الملائكة - دراسات ومحاترات: د. عبد الرضا علي، بغداد، ط1، 1987؛ ص80.

من أيّ شمس جاء دفوك؟ أيّ نجم في السماء؟

<sup>(1)</sup> ينسل للقفص الحديدي، فيورق الغدُّ في دمائي؟

وهذا الشاعر (عبد الوهاب البياتي) يرى أما تناغي ابنها الرضيع وتهدهده من أجل أن ينام فتنفعل

شاعريته وتتدفق في وصف ذلك المنظر العabic بشذا مشاعر الأمومة العطرة فيقول:

نام	ت عي	ون الـ	نجم	ل	ع اللي	وامته	ل
نـم	يـمـيـا	حـبـيـيـيـ	نـمـ	ل	يـغـمـ	رـكـ الـظـ	ل
والطيب والطل							
صـ	دـيـقـكـ	الـبـلـ	لـ	لـ	عـ	لـ حـنـيـنـ	يـ نـامـ
فـ	لـ	مـ تـ	رـيـ	لـ	وـ دـوـنـ	كـ الأـحـ	لـامـ
حياتنا أوهام							
أـبـ	وـ كـ	فـيـ الـ	وـادـيـ	لـ	يـ	صـارـعـ التـ	لـينـ
خـنـجـ	رـهـ الـ	صـادـيـ	مـلـطـ	لـ	خـ بـ	الـطـيـنـ(2)	لـ

وتمر الأيام فيصبح الشاعر آباً وتغمره مشاعر الأبوة، حين تزدهر جنة حياته بأطفال ملاؤنها سحراً

وبهجة، ولكن قسوة الأيام جعلته بعيداً عن تلك الجنة، ولكن إذا كان عنها بعيداً فإنه يتنسم عطرها الفواح حين

يُخاطب ولده (علي) من مهجره البعيد قائلاً:

(1) أنشودة المطر : بدر شاكر السهاب، بيروت، 1960: 18 ((محج، غيلان)).

(2) ديوان عبد الوهاب الساق، دار العودة، بيروت، مجلد 1: ص 130 "من أغاني المهد".

كناري الصغير

وجهك والسماء

قطر في منفافي، في مدینتي

يبرق في عيون

أمك، في واحات

ليل عذابي الدامس الأخير

يبرق في دموع

أمك، في أبيات...

قصائدی الخضراء

يبرق في بغداد

فمد لي يديك

رغم سجون الأرض

لي يديك

فإنني حزين

قطر في قلبي وفي مدینتي السماء<sup>(1)</sup>

وكم تهزه لوعة البعد وتتفجر عواطف الأبوة وحنينها وأشواقها حين يدعو ولده فلا يجد من يرد عليه

Sovi صدى صوته، فيقول:

ولدي الحبيب..

---

(1) ديوان البياتي: مذكرات رجل مسلول، مج 1: ص 375.

ناديت باسمك، والجليد

كالليل يهبط فوق رأسي، كالضباب

كعيون أمك في وداعي، كالمغيب

ناديت باسمك

في مهب الريح

في المنفى

فجاوبني الصدى: ((ولدي الحبيب))<sup>(1)</sup>

وتستمر الأيام في دورتها فتردان جنته بوليد آخر يتمنى أن تغمر السعادة فيه عالمه، فيسميه (سعدا)

وتزقق عصافير السعادة في سمائه، فيقول:

عصفور أزرق

في قفص من زنق

غنِ أغنية

غنِ الحرية

يا قمري الأخضر

يا حبي الأول

يا جدول

ينعش صحرائي..

يا وطني النائي

---

(1) ديوان البياتي: (من مذكرات رجل مسلول) مج1: ص 328 " أغنية إلى ولدي علي".

يا قمري

يا ولدي الأصغر<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وهذا الشاعر (صفاء الحيدري) يشاهد أما تحدق في فلذة كبدها لتأكد من استغراقه في نومه

واستسلامه إلى أحلامه الطفولية البريئة، فقال وهو منبهر بذلك المنظر المؤثر شعراً على لسان تلك الأم:

أتراه ناما؟

أيصبح ماما؟

ولدي

هو فلذة الكبد

أطعنته جسدي

أمسى له وغذي

هولي

أطعنته قبلني

وسقيته أمني

فمه على نهدي...

يختص من شهدي

لما أهددهه

---

(١) الديوان نفسه: ص375

في المهد انشده

ما قال لي غده

وأنا أمدده

جفناي مرقده..<sup>(١)</sup>

وهذه شاعرة وهبها الله رقة الشاعرية ورقة مشاعر الأمومة هي الشاعرة (صبرية الحسو) تناغي ولدتها  
وتهدهده وهو في سريره يحدق في النجوم، فتقول مخاطبة إياه:

من أجل أن تنعم بالنجوم

والشمس والمخيب

يا طفلي الحبيب

من أجل أطفال الغد القريب

من أجل أن ينعموا بالرخاء

من أجل أن يشعروا بالرخاء

كم أكره الحروب...

كم أُعشق السلام

يا طفلي الحبيب يا بريء

براءة الحمام

من أجل أن تنعم بالغد المضيء

يا طفلي البريء...

---

(١) ديوان صفاء الحيدري، المجموعة الكاملة، بيروت، د.ت: ص218-219 من " أغنية أم ".

من أجلنا يناضل الكبار

من أجل أن تنعم بالحياة<sup>(١)</sup>

وهذا الشاعر (عبد الستار القره غولي)<sup>(٢)</sup> يرى طفله (محمد) وبراءة الطفولة ترسم على أسارير وجهه

كلها، فقال يناجيه ويناغيه:

يَا فَلَذَةَ مَنْ كَبَدِي	مُحَمَّدِي
أَعْطَرْ مَنْ وَرَدَ نَدِي	يَوْرَدَةَ ارِيجِه
تَسْبِي طَيْورَ الْغَرَدِ	يَابَلَّا أَنْغَامَهُ
يَا كَوْكِي يَا فَرْقَدِي <sup>(٣)</sup>	يَامِنِي يَاجِنِي

ومر الأيام لتزج بالشاعر في السجون فتأتيه الأخبار وهو في معتقله بأنه رزق بطفلة أسمتها أمها (نهى)

فتتأجج في أعماق الشاعر مشاعر الأبوة فيخاطب ابنته التي حرمتها الأيام من دفء حنان الأبوة فأصبحا بعيدين

عن بعضهما، فقال:

مَا أَنْتُ وَحْدَكَ فِي حَزْنِ	ابنَتِي ذَاتِ الْفَطْنَ
وَتَجَرَّعْتَ كَأْسَ الْمَحْنِ	كَمْ طَفَلَةً فَقَدْتَ أَبَا
لَا تَهْرِبِي كِيدَ الْزَّمْنِ <sup>(٤)</sup>	لَا تِيَأسِي يَا طَفَلَتِي

(١) ديوان قيد ولحن - صبرية عبد الرزاق الحسو، بغداد، 1959، مطبعة الوفاء: ص 26 من قصيدة "من أجلك يا طفلي".

(٢) عبد الستار قره غولي- ولد عام 1906 إلى 1961، له مؤلفات عديدة من ضمنها ديوان مسرحيات الأحداث طبع في بغداد 1953،

ينظر - معجم المؤلفين العراقيين، ص 278.

(٣) شعراء العراق المعاصرؤون: 1/171، وينظر- ديوان القره غولي: ص 25-27.

(٤) المصدر نفسه.

وإذا كان الشاعر القره غولي رزق بابنته وهو في معتقله فلم يكن وحده الذي يعيش في مثل تلك الظروف القاسية، فهذا الشاعر (محمد صالح بحر العلوم) تصله الأنباء بأنه رزق بأحد الأبناء فيحز في نفسه أن لا يغمر ولده الجديد البريء ببراءة حنان الأبوة ولم يلق منه ما يستحقه من التدليل الذي هو به جدير، فقال في ذلك:

لَا تبْتَدِئْسِي سَا ولَدِي  
وارِقَدْ دُونَنِي أَنْسَا فِي  
إِنِّي أَبْرَدْ وَكَهْ ذَهَبِي  
دَلَّكِي يَمْتَدِي  
مَعَ تَقْلِي لَمْ أَرْقَدْ  
بَطْ وَلَتِي لَمْ تَجْهَدْ<sup>(١)</sup>

ونعود إلى الشاعرات العراقيات اللواتي أثرين شعر المنااغاة بشعرهن الراخر بالعاطفة فهذه الشاعرة

(فطينة النائب) تحس بجلاء وعمق بالحب الذي يغمر كيانها نحو ولدها الوحيد (سعيد) فتختاطبه قائلة:

إِنِّي أَحْبَبْ أَلَا تَرِي مَا يَفْعَلْ الْحَبْ الْغَضُوبْ؟

وَلَدِي الْوَحِيدِ نَذْرَتِهِ لِبَلَادِنَا وَهُوَ الْحَبِيبِ

يَا قَلْبِنَا الْصَّامِدُونَ وَكُمْ يَحْفَزُنَا الْوَثُوبُ<sup>(٢)</sup>

وتتعقد كل أمال الشاعرة (فطينة النائب) على ذلك الولد الحبيب فتراه يوماً وهو يرقص في سريره يتمتم

في كلمات لا تفهم لها معنى إلا أنها تقتحم أعماق قلبها فتبتوأ كل جهاته وحينئذ تتدفق قريحتها بشعر تستحثه

فيه أن تستعجل فهو ليحقق آمالها وأمانيتها التي تتطلع إليها بكل الشوق والحنين ولم تعقد لها إلا عليه، فتقول

مخاطبة له:

بَنِي مَتَّى تَهْ وَمَ إِلَى الْمَعَالِي  
أَرَاكْ بِجَانِبِي كَالْزَهْرَ غَيْضَاً  
فَتَشْفِي قَادِرًا ذَاكَ الْغَلِيلَاً  
رَهِيْفَ الْحَسْ بَسَاماً جَمِيلَاً

(1) ديوان محمد صالح بحر العلوم، ط.2، 1986: 205.

(2) ديوان رئيس الحب، فطينة النائب: ص90 "لست معك".

سأرعى مهدك السامي بروحـي

منحتك يا سعيد رقاد جفـني

فكـن رجـلاً وكـافـح في بلـادـي<sup>(1)</sup>

وهذه الشاعرة (طبيعة عباس عمارة) تتيه زهـواً واعتـزاـً حين وهـبـها اللـهـ أربـعاـتـهـ أطـفـالـ فـتوـزـعـ نـظـرـاتـهاـ  
الـحـانـيـةـ بـيـنـهـمـ لـتـرـىـ أـلـيـهـمـ أـقـرـبـ إـلـىـ نـفـسـهـاـ وـأـدـنـىـ منـ روـحـهاـ وـإـذـ بـهـاـ لـتـجـدـ أـيـ ذـرـةـ مـنـ فـرـوـقـاتـ بـيـنـ مـشـاعـرـهـاـ  
تجـاهـهـمـ،ـلـأـنـهـمـ فـلـذـاتـ كـبـدـهـاـ وـقـطـعـ مـتـنـاثـرـةـ مـنـ قـبـلـهـاـ،ـوـهـلـ يـسـتـطـعـ الإـنـسـانـ أـنـ يـفـضـلـ قـطـعـةـ مـنـ قـلـبـهـ عـلـىـ  
أـخـرىـ !ـ فـقـالـتـ:

بنـيـيـ صـدـىـ حـلـمـيـ فيـ الشـرـوقـ

أـعـزـ وـانـضـرـ مـمـاـ حـمـلتـ

بـأـسـمـرـهـمـ شـهـدـ روـحـيـ مـذـابـ

لـضـحـكـاتـهـمـ رـنـةـ فيـ الشـعـورـ

وـأـيـدـيـهـمـ كـلـفـيـ فـ الـحـرـيرـ

لـكـلـ لـسـنـاهـ لـكـلـ شـذـاهـ

مشـاعـرـ الـأـبـنـاءـ تـجـاهـ أـمـهـاـتـهـمـ:

إنـ مشـاعـرـ الـأـبـنـاءـ تـجـاهـ أـمـهـاـتـهـمـ،ـمـشـاعـرـ فـيـاضـةـ مـتـدـفـقةـ،ـلـاـ يـحـدـهـاـ مـكـانـ،ـلـاـ يـغـيـرـهـاـ زـمـانـ،ـلـاـ يـعـتـورـهـاـ  
فـتـورـ مـهـمـاـ اـمـتـدـتـ بـهـاـ الأـيـامـ،ـلـأـنـهـاـ مـشـاعـرـ طـبـيعـةـ وـغـرـبـيـةـ،ـغـرسـهـاـ اللـهـ فيـ حـنـياـ قـلـوبـهـمـ فـأـمـتـدـتـ جـذـورـهـاـ إـلـىـ  
أـعـماـقـ نـفـوسـهـمـ وـوـجـدانـهـمـ.

كيفـ يـسـتـطـعـ الإـنـسـانـ مـهـمـاـ أـوـيـ منـ بـرـاعـةـ الـبـيـانـ أـنـ يـصـفـ تـلـكـ الـرـابـطـةـ الـعـمـيقـةـ  
الـتـيـ تـرـبـطـ الـأـبـنـاءـ بـأـمـهـاـتـهـمـ،ـوـكـيفـ تـأـتـيـهـ الـمـقـدـرـةـ عـلـىـ تـصـوـيرـ ذـلـكـ الـحـبـ الإـنـسـانـيـ الـذـيـ

(1) ديوان لهيب الروح، فطيبة النائب، بغداد، 1955: ص 9-12 من "آمال أم".

(2) أدب المرأة العراقية في القرن العشرين: (بدوي طباعة): ص 212 من قصيدة "الزاوية الخالية".

هو أسمى وأجل وأعمق حب في الدنيا، تتجسد فيه كل معاني الصدق والوفاء... أنه عاطفة مشبوبة متوقدة، وشعور متدفق كالسيل الجارف، يحاول التعبير بما يجيش في النفوس من مشاعر الاعتراف بفضل الأمهات الذي يغمرن به الأبناء. كل هذه المشاعر المتوجهة تتجسد في حب الأبناء للأمهات.. ونحن حين نقول الأمهات، نعني ما نقول، لأن الأبناء حين يصفون حباً خاصاً للأمهات فلأن هناك علائق خاصة وروابط وثيقة تشد الأبناء بأمهاتهم، مضافاً إلى الحب العميق والروابط الأكيدة التي تربطهم بالأبوين معاً.

فالأم هي الأرض الخصبة الطيبة التي تبت فيها بذور البنوة الطيبة وتنخرس في حقلها الراهن نبتة الحب والخير والسلام.

والأمهات هن اللاتي يمنحن الأبناء - بعدهما يهبهم الله تعالى نعمة الحياة - المكان الآمن من بطونهن whom أحجنه يقضون الأشهر التسعة براحة ودفء واستقرار، ويغذينهن من دمائهن ويسقينهن من أرواحهن ثم أنهم بعد أن يولدو ويفتحوا عيونهم على الدنيا يتغذون من درهن النقى الصافي الممزوج بكل الحب والشفقة والحنان، لا يعيقهن حر ولا برد من أجل أن ينعم أولادهم بالرعاية الكافية ويسهرن معهم الليالي الطويلة التي تومن لهم الهدوء والاستقرار والاطمئنان والراحة والسعادة...

أجل، لهذه الأسباب الوثيقة تشد الأبناء بأمهاتهم روابط أشد وأعمق من كل روابط الحب الأخرى. وبسبب هذا السر الإلهي العظيم نجد أنفسنا في كل مراحل حياتنا نبقى بأسس الحاجة إلى عطف وحب أمهاتنا ومتلئفين إلى أن يضممنا بحني إلى أحضانهن وصدورهن الكريمة.

كل هذه المشاعر الصادقة من الأبناء تجاه أمهاتهم حاول الشعرا تجسيد وتجسيم معانيها النبيلة السامية وإعطائها ما تستحقه من التكريم والتعظيم والانحناء إجلالاً أمام ذلك الدور العظيم الخالد الذي تؤديه الأمهات من أجل انتعاش الحياة الأسرية والاجتماعية ومن أجل تربية وتخرج أبناء طيبين صالحين في المجتمع، متغذين من فيض ذلك الينبوع الذي لا ينضب من الحب والحنان.

نعم حاول الشعراء المحدثون في العراق أن يرسموا صوراً رائعة من مشاعر وفاء الأئمة تجاه الأئمـات.

وهذا البحث يضم باقة عطرة من أشعار تلك المشاعر النبيلة الصادقة كم يزين تلك الباقة الشعرية

ويزيدوها عطراً وشذاً لأن يتصدرها شاعرتان من شاعراتنا المعاصرات يعبرن عما يختلجم في حنایاهن من عواطف

متاجحة تجاه أمهاهن وهذه الشاعرة (عاتكة الخزرجي) تجد أن الحب والحياة والنور الإلهي كله يتجسد في

ملامح أمها، فتاختط بها قائلة في قصيدة بعنوان "أنت يا أماه":

أنت نور فاض من نور الإله      أنت معنى الحب يل معنى الحياة

انت يا أمياد من قلبي مناه  
أيعيش المرة دون الأم؟

أنت بعد الله رمز يعبد تفتديه مهوج بيل أكيد

**أنت بما أمهات سمد** ضل فيه الفكر **منذ الأزل<sup>(١)</sup>**

وَمِنْ تَكْفِ بِذَلِكَ يَلْ تَخَاطِبُ أَمَهَا الْعَزِيزَةُ الْغَالِيَةُ مَرَّةً أُخْرَىٰ وَمِنْ خَلَالِ آيَاتٍ أُخْرَىٰ فَتَقُولُ لَهَا بِأَنَّهَا قَدْ

تنسى أو تتناهى كل هوى يخامر نفسها إلا هوى الأم فإنها لا يمكنها أن تنساه يوم ما:

فأمير حبك كمان لي أحلاه أفندي و كانني أحبي بالله

(1) المجموعة الشعرية الكاملة: عاتكة الخز (ج ١)، ط ١، الكويت، 1986: 302.

(2) شاعرات عراقيات معاصرات: سلمان هادي آل طعمة، ط2، 1995 (مزيدة ومنقحة): ص148 من قصيدة بعنوان "أمي".

وذلك شاعرة أخرى هي (مليعة عباس عمارة) تجد في أمها هدى الطفولة ونغمة الحنان وملائكة الرحمة،

فتخاطبها قائلة:

## أمهات يا هدى الطفولة والصبا

ويا نغمة الحنان التي تسرى في نفسي

ويا ملاك الرحمة الذي يواسيني في مصيبي

دمت لقلبي حارساً... ودام قلبك لي محبأً

إن زلت قدمي، صحت... أمي

وإن مسني سقم، دعوت.. يا أمي

<sup>(1)</sup> وإن حفٌّ بي خطر، ناديت.. وأماه!

والشعراء المعاصرون يمتلكون نفس المشاعر والأحساس التي تتدفق بها مشاعر وأحساس أخواتهم من

الشاعر المرهفات، فيعبرون عن أنقى العواطف وأعمقها تجاه أمهاتهم، فهذا الشاعر (محمد الهاشمي) يحاول

رسم العواطف المتأججة التي يعمر بها قلب الأم الرؤوم، فيقول من قصيدة له:

أي قال ب كفل ب أم رؤوم؟ ظمت في شغافه العاطفات

**أين أمي؟ ولا حبيب كامي**      **أين تلوك الشمائل الطاهارات**

**فإذا ما بكيت آلمها صوتي** **وسالت دموعه ساحتا الحاميات**

وإذا ما ضحكت أنيست منها نظرات ورائيه سمات

حملتى علی يديها وناظرت بى قماطأً تنوته الأمهات

اوْتَقْنَتِي مُثْلُ الْأَسِيرِ وَضَمَّنَتِي وَلَمْ تُشَفِّ نَفْسَهَا الْقِبَلَاتِ

(1) أدب المرأة العراقية في القرن العشرين: 196.

لـيس فـيـه تـهـاـون وـافـتـئـات<sup>(1)</sup> هـوـ حـبـ مـنـ الـسـمـاءـ أـتـاهـا

وـذـلـكـ الشـاعـرـ (عـبـدـ الرـحـمـنـ الـبـنـاـ) نـفـتـحـ دـيـوـانـهـ لـنـجـدـ فـيـ طـيـاتـهـ قـصـيـدةـ يـخـاطـبـ فـيـهاـ أـمـهـ وـاصـفـاـ حـانـهاـ:

حـنـانـ لـطـفـكـ بـالـحـسـنـىـ يـغـطـيـنـيـ

أـنـتـ الطـبـيـبـ مـنـ الـأـمـرـاـضـ يـشـفـيـنـيـ

ذـنـبـاـ أـتـيـتـ بـالـطـافـ تـسـلـيـنـيـ<sup>(2)</sup>

يـاـ أـمـ أـنـتـ إـذـاـ مـاـ الـلـيـلـ يـؤـيـنـيـ

يـاـ أـمـ أـنـتـ مـلـاـذـيـ أـنـتـ مـدـرـسـتـيـ

يـاـ أـمـ أـنـتـ إـذـاـ مـاـ رـاحـتـ مـقـرـفـاـ

وـهـذـاـ الشـاعـرـ (الـجـواـهـرـيـ) مـلـيـنـسـ وـهـوـ مـزـمـعـ عـلـىـ السـفـرـ أـنـ يـمـرـ عـلـىـ أـمـهـ لـيـجـدـ الـعـهـدـ بـهـاـ وـبـحـبـهـاـ،

مـجـدـاـ الـأـعـرابـ عـنـ مـشـاعـرـهـ تـجـاهـهـاـ،ـ فـيـقـولـ:

وـبـورـكـ فـيـ رـحـيـاـكـ وـالـمـاءـ اـمـ

تعـالـىـ المـجـدـ يـاـ قـفـصـ العـظـامـ

إـلـىـ أـنـ يـقـولـ فـيـهـاـ:

تمـخـضـ عـنـ جـبـابـرـةـ عـظـامـ

وـوـجـهـ الـأـرـضـ أـيـ فـتـيـ هـمـامـ

عـلـيـكـ بـكـلـ قـاصـمـةـ عـقـامـ

اقـتـلـتـنـ يـإـلـىـ عـهـ دـالـفـطـامـ

حـمـولـ مـنـ دـمـوعـ وـابـتـسـامـ

مـخـايـلـ مـنـ مـلـاـمـحـكـ الـوـسـامـ

حـنـانـكـ مـثـلـ بـرـءـ فـيـ سـقـامـ

تعـالـىـ المـجـدـ يـاـ أـمـ الرـزاـيـاـ

قـمـلـ الـقـبـيرـ مـنـهـاـ أـيـ عـطـرـ

حـجـجـتـ إـلـيـكـ وـالـدـنـيـاـ تـلـاقـيـ

وـطـارـتـ بـيـ عـلـىـ الـخـمـسـينـ ذـكـرـيـ

وـحـطـتـ بـيـنـ تـلـكـ وـبـيـنـ هـذـيـ

فـمـاـ هـيـ غـيـرـ أـنـ لـاحـتـ لـعـيـنـيـ

وـطـفـتـ بـخـاطـرـيـ حـتـىـ قـمـشـيـ

(1) ديوان السيد محمد الهاشمي البغدادي، تقديم: د. عبد الله الجبوري، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، 1977، دار الحرية للطباعة، بغداد: 205، وينظر الأدب العصري في العراق العربي: 29.

(2) ديوان البنا: 176/2.

وكنت السمع مني لا ورائي<sup>(١)</sup>

وهذا شاعر آخر هو (كاظم الخلف)<sup>(٢)</sup> يحيي أمه ويصف معاناتها من أجله، فيقول:

صغاراً فكنت الأم من والأب والجدا  
وأجهدت منك العين والقلب والزندادا  
فطرفك لا يكري وقلبك لا يهدا  
صبرت فإن الشوك لا يحجب الوردا  
وقد يصدأ التبر النضار ولا تصادا  
بأنغامها يوماً هزرت لي المهدادا  
فما كان في الدنيا أحب ولا أندى  
لك الحب ما أغنى القريض ولا أجدى  
لغيرك ما صنعت المحبة والودا<sup>(٣)</sup>

رعيت - رعاك الله - بالحب صبية  
تحملت أصناف العذاب لأجلهم  
وكنت إذا أرخى الظلام سدolleه  
وإن ضاقت الدنيا بعينيك مرة  
تذكرة والذكرى علي عزيزة  
فإن أنس لا أنسى تراني مك التي  
تعلمت منها الشعر والحب والندي  
ولكنني لما قصدتك شارحاً  
أحبك يا أيام حتى كأني

(1) ديوان الجوواهري، طبعة بغداد، 1974: 81/4، من قصيدة عنوانها "قصص العظام" نظمها عندما قرر الهجرة إلى مصر، فذهب إلى النجف ليودع والدته قبل سفره فلما ودعها واستقل السيارة عائداً إلى بغداد هطلت دموعه مما دار في نفسه من أنه قد يكون يشاهد أمه المرة الأخيرة.

(2) كاظم الخلف - من مواليد التحالف حصل على بكالوريوس في الاقتصاد ودبلوم معهد الدراسات الدولية في جامعة باريس، وعمل في السلك الدبلوماسي العراقي، وكان أول سفير للعراق في لندن بعد ثورة 17 تموز وكان سفير لدى الأمم المتحدة ووكيل الوزارة الخارجية. بدأ ينظم الشعر وهو في الثانوية.. مقابلة شخصية.

(3) ديوان ازاهير وأعاصير: كاظم الخلف، بغداد، 1984: 256 من قصيدة عنوانها "أمه".

وهذا الشاعر (زهير القيسي) يعرب عن مدى حاجته إلى أن تضفي أمه حنانها عليه، فيقول من قصيدة

عنوانها "أمه" :

ظلل الهم جبيني

فخذيني

وأغمريني بالحنان

وامسحي دمعي وضميني فقد طال الهوان

وذوى زهري نديا في الهجير

فخذيني، إيه يا أم فقد يشفى السقام

في فؤادي البائس المضني الكسير<sup>(1)</sup>

وهذا الشاعر (عبد الرزاق عبد الواحد) يرى أمه الحبيبة وهي تนาزع سكرات الموت فيتذكر ويستعيد

لحات وصورةً رائعة من حنانها، فيقول:

أدرني بأنك رغم هول الداء لا تتكلمين

أدرني بأنك تنزعين

وتغالمelin الموت خشية أن أراك أنا المريض

تألمين

أدرني بأنك تنزعين

ويكاد يقتلني أنا الخاوي اليدين أنا المريض

مراك قربى تصحّين

---

(1) ديوان أغاني الشبيبة الضائعة: زهير القيسي، بغداد، 1981: ص 57-58 نظمها عام 1950.

كيلا تعذبني شكاتك ليت أنيك تشتنين<sup>(١)</sup>

وهذا الشاعر (صالح جواد الطعمة) يرى أنه بنفس المنظر المؤلم الحزين فيعبر عن مشاعره تجاهها بكل

ألم وحرارة، ويصور منظرها المفزع أمامه، فيقول في قصيدة "أنت أم":

أي اثم جنبيه أنت يا أم

فأمسكت مرقبي الآلام؟

السعال الدامي، على هدأة الليل،

صراخ يهز صمت المنام

يستفز النائم، من ملعب الأحلام،

تلويين، تذرفين دموعاً...

حانيات على الشباب المضام،

ثم تبكيـنـ تومئـنـ لطـفـليـكـ

استـفـاقـاـ على غـدـ الأـيـاتـامـ

فيطرد الأوهام والخيالات المريضة من أفكاره، فأمه ما زالت حية:

لا يزال الحنان، في قلب أمي

دقةـ منـ سنـىـ،ـ يـفلـ ظـلـاميـ

إنـهاـ حـيـةـ،ـ تـتوـجـ رـأـسيـ

قبلـاتـ،ـ منـ ثـغـرـهاـ الـمـسـتـهـامـ

أـيـ اـثـمـ جـنـتـهـ أـمـيـ،ـ لـتـحـيـاـ

---

(١) الشعر الحر في العراق - يوسف الصائغ: 225، "من حياتنا الطيبة".

ونختتم هذا البحث بقصيدة للشاعر (الرصافي) نقتطف منها بعض ما يعبر به عن مشاعره تجاه الأم فيجدد بعض معاناتها من أجل أولادها، مما يجعله يرى أن أوجب الواجبات إكرامها واحترامها وتبجيلها، فيقول من قصيدة عنوانها " حق الأم " :

## حنين الأبناء إلى الأمهات في رسائل شعرية:

درسنا في البحث السابق المشاعر العاطفية المتبادلة بين الأبناء وأمهاتهم، وما تمتلك به حنایاهم وتنطوي عليه قلوبهم من لهب تلك المشاعر، وتوهج تلك العواطف الإلهية المقدسة.

وهنا وفي هذا البحث سنقتصر الحديث على جانب معين من جوانب تلك العواطف الجياشة والمشاعر الملتيبة، وذلك حين يكابد الأبناء معاناة التغرب، ويغایبون الآم الابتعاد عن الأمهات، فيشعرون وكأنهم افتقدوا اللمسات الدافئة والنظرات الحانية التي كانت تغمرهم بها أمهاتهم يوم كانوا يعيشون معها جنباً إلى جنب وهم مغمورون بذلك الدفء والحنان.

(1) ديوان ظلال الغيم: صالح جواد الطعمة، المجموعة الأولى، مطبعة الرابطة، 1950: 51

(2) المنهل الصافي في شعر الرصاف: بقلم عبد الرزاق الهلاّل، مطبعة المعارف، بغداد، 1964: ص. 49.

إن الغربة بحد ذاتها موجعة قاسية على أي إنسان يتغرب عن وطنه ويبعد عن ذويه، ولكن وطأتها تكون أوجع وألمها أقسى حين ينأى الإنسان عن أحب الناس إلى قلبه وأعزهم عليه.. أمه الحنون.. وهل هناك في الدنيا كلها أحب وأعز وأغلى من الأمهات اللاتي انغرس حبهن في حنايا نفوس أولادهن، فأزهر وأفرع وفتحت زهوره وهي تفوح شذاً وعطراً.

لذلك نجد الإنسان دائمًا وأبدًا وفي كل الظروف والأحوال بأمس الحاجة إلى عطف أمه الفياض وحنانها المتدايق، ولكنه حين تتبدل سماوه بغيوم الغرب المدلهمة وتكتهر أجواوه بزوابع الوحدة والوحشة تكون حاجته أشد إلى نفحات ندية من ذلك الحنان المنعش للنفس الذي يجدد وحشتها ويعيد إليها هدوءها واطمئنانها..

وهكذا يكون الأبناء من مكان غربتهم.. النائي البعيد، وهكذا تختدم مشاعرهم وتتدفق أحاسيسهم وتلتهب عواطفهم حين تأجج نيران الشوق ويتوهج جمر الحنين في حنایاهم إلى أمهاتهم العزيزات من ذلك المتنائي البعيد.

والشعراء من أولئك الأبناء يكونون أشد معاناة لأنهم أرهف إحساساً، فتفجر قرائحهم عن قصائد يكتبونها وهم في غمرة تلك المعاناة يعانون آلامها ويکابدون أهواها...  
أجل، يتفجر إحساس الشاعر عن قصائد تلتهب بلوعة الحنين وتضطرم بنيران الشوق العاتية إلى أمه التي تعيش أيام ابتعاد ابنها وتغريبه عنها على لهيب جمر الشوق، فلا يغمض لها جفن ولا يهدأ لها بال ولا يقر لها قرار، فهي تحدق في الجدران التي حواليها لأنها تزدان وتزدهر بصورة ابنها الحبيب، فتقابلاها حبراً حبراً تعبرياً عن شوق عنيف إلى ذلك الابن الحاضر.. الغائب..

والحب العميق الأصيل الصادق الذي يربط بين الأم وولدها سرعان ما ينقل بأسلاكه الروحية إلى الابن المعندي دقات ملتهبة من ذلك الشوق ومن ذلك الحنين فيقابل الابن شوق أمه بشوق يكاد يكون أشد عنفاً وبحنين يكاد يكون أكثر عمقاً.. فإذا كان ذلك الولد شاعراً، يكتب لأمه رسالة شعرية تحمل أصدق عواطفه وأرق أحاسيسه المعبرة عن بنوة وفية مخلصة صادقة.

فهذا الشاعر (عبد الرزاق محي الدين)<sup>(1)</sup> كان خلال فترة الأربعينات متغرباً في القاهرة من أجل طلب

العلم وتحضير شهادة الدكتوراه، اشتغل بها مشاعر الحب والحنين إلى أمه فكتب قصيدة رائعة ضمن رسالة

بعث بها إليها في البريد، عنوانها " لك يا أمي " قال فيها:

فخذـي	لـك يـا أمـي كـتاب فـي البرـيد
تقرـأـي	وـالثـمـيـه بـحـنـه وـقـبـلـهـلـأـنـ
مـوـعـيـهـنـدـمـ	إـنـفـيـطـيـكـتـأـيـقـطـرـةـ
عـوـعـيـهـنـوـلـ	هـيـعـنـوـانـكـتـابـمـعـربـ
لـرجـيـهـ	فـضـعـيـهـاـلـيـفـيـقـارـورـةـ
صـعـدـتـهـاـنـسـارـحـبـيـ	إـنـهـسـاحـجـهـةـقـلـبـيـ
كـيـمـاـتـعـرـفـيـهـ	عـلـةـتـفـيـجـبـهـةـقـرـطـاسـ
لـكـفـيـهـ	أـنـظـرـيـبـلـدـرـفـإـنـيـنـاظـرـ
فـسـلـيـهـ	وـإـذـماـشـيـتـعـنـيـخـبـراـ
فـهـأـمـيـهـ	فـهـوـأـدـرـيـبـهـ
وـهـطـفـيـهـ	ـأـمـيـهـاـهـيـوـنـيــ
ـمـيـرـفـيـالــدـجـيـاـصـ	ــمـيـرـســلـيــوـلـيــخـ

\* \* \*

كـتـطـفـلـأـ	أـنـتـيـمـدـرـسـتـيـأـلـأـوـلـيـوـقـدـ
لـيـيـسـيـ	حـيـثـدـرـسـالـحـبـدـرـسـمـبـهـمـ

(1) هو رئيس المجمع العلمي العراقي الأسبق.

چ ٹ لا اع رف ق و ل او واعي ه

صفحة المهاجر دكتور اياد

تاليًاً أن شودة الفجر متى

وهذا ابن آخر من الشباب الفلسطينى الذى ذهب إلى أعماق الأرض المحتلة مع إخوانه المجاهدين

الفدائين فتذكّر حنين أمه إلّيّ وهو في عنفوان عمله الفدائي حين أثخنته الجراح فكتب إلى أمّه رساله صاغ

معانٰها شعرًا رائعاً الشاعر (محمد جواد الغيان) معيراً فيها عن مشاعر ذلك الشاب وهو في ساحات الجهاد

والفداء تجاه أمه الحنون، فقال من قصيدة عنوانها "رسالة من فدائي إلى أمه":

أمهات ذكر في شفاهي يعذب والشوق نار في الجح وانج تلهب

أمهات تغمرنى السعادة والهناء وأنا أخط دمى إليك وأكتب

تيهـى اعتـزاـزاً إـن عـلـمـتـ بـأـنـيـ بـدـمـ الـشـاهـادـةـ وـالـفـداءـ مـخـضـبـ

وتطلعى للصبح نصنع فجرة يزهـ و وبالنـ صـر المـبـين مـاذـهب

فَلَقَ دَوْهِنْيَا لَلْبَلَادِ نَفُوسَنَا وَالنَّفْسُ أَغْلَى كُلَّ شَيْءٍ يَوْمَ بِ<sup>(2)</sup>

وهذا الشاعر (عبد الوهاب البياتي) يصور لنا أمه - في رسالة يكتب بها إليها - خيالاً مرتعاً يومي له

**بـالعـودـة فـيـقـول:**

وخيال أمي الراعش اليابكي الكثيب

یومی إلی بآن آعوڈ

(1) بنظر مختارات الغان من ديوان الشعر العربي - الشعر الحديث "مخطوط" : 167/2.

(2) ديوان مرفأ الحرارة: محمد حماد الغياني "مخخطوط": ص 13.

وإلى خطى ساعي البريد

تصغي وتصغى: "ليس في الدنيا جديد "

حتى الرسائل لا تعيد..

" صلي لأجلِي، أنت يا أماه من وطني البعيد"

وتظل تلائمها كأن غلافها وجهي الكثيب<sup>(١)</sup>

وتلك قصيدة حنين وشوق أخرى من الشاعر (عبد الصاحب الموسوي)<sup>(٢)</sup> يكتب بها إلى أمه العزيزة معبراً

عن مكامن حبه ولماج شوقه فيقول فيها:

خجلان أسال عنك يا أمي، لكي أهديك زهره

إن الظہور هنا قمود

لكن في قلبي من الأسواق زهره،

مبتهلة بالدموع، قانية صمود.

أرسلت يا أمي رسالة

لك من دمشق، وكتت فيها

تألقين على الحروف

إني لأعرف عنك يا أماه إنك تجهلين

ماذا كتبت، وتسألين!

(1) ديوان أباريق مهشمة: عبد الوهاب البياتي، ضمن المجموعة الكاملة، مجل 1، بيروت، دار العودة: ص 229 من قصيدة بعنوان "الرحيل الأول".

(2) شاعر عراقي له ديوان (أحلام الفجر) نشر في بغداد 1951. تنظر ترجمته في معجم المؤلفين العراقيين، ص 282.

لكنني لو طفت بصرتنا لما عرف الجميع

إلاك يا أماه حرقى<sup>(١)</sup>

وفي يوم من أيام الغربية القاسية الموجعة يشتد الشوق ويعصف بمشاعر الطفل البريء (مازن) أحد أبناء

الشاعرة (لميعة عباس عمارة)، وتصل تلك الرسالة البريئة الصادقة المشاعر من ابنها البريء فتتأثر بها الألم ويلذع

كبدها جمر الشوق المتأجج إليه ويبلغ بها التأثر درجة يلهب بها أحاسيسها الشعرية فتظم محتويات تلك

الرسالة شعراً على لسان ابنها الحبيب عنوانها (رسالة من مازن) نقتطف منها هذا المقطع:

ما أطول ليل حزيران

وانت بعيدة

في الصيف.. بغداد

تقرب الانجم

توشك تلتف بأغطية الغافين على السطح

وأرى صورتك ارتسمت

بسماءِ صافية

مدي يدك

أصل الصدر الحاني

---

(1) نقلًا عن ديوان (أحلام الفجر) لعبد الصاحب الموسوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1959: ص90 من قصيدة بعنوان "شوق". علمًا أن يوسف الصائغ في رسالته (الشعر الحر في العراق) قد نسب هذه القصيدة إلى الشاعر (سعدي يوسف) ص225، مع العلم بأننا رأيناها مثبتة في ديوان عبد الصاحب الموسوي مما اقتضي التنوية والتبنيه.

وهذا الشاعر (محمد صالح بحر العلوم) حينما تلفه غياب السجون، فتطل عليه صور رائعة من حنان

أمه الحبيبة فتلفه في حناتها وعند ذلك يهزه شوق عارم فينظم قصيدة يرسل بها إلى أمه يقول فيها:

روحى لديك فما يعنيك من جسدي  
خشونة العيش محكوماً بلا أمد  
على فراش من الإهان في رغدٍ  
 فأثرتك على جسمى ولم تعد  
عني فأرسلت في تعقيها كبدي  
فأين اكتم عن خصمي لظى كمدى؟  
فأنست أقوى نساء الحي بالجلد<sup>(٢)</sup>

أماه لا تحسبيني عنك في جلد  
ذرية في معقل الأحرار محتملاً  
وجنبي الهم عن جنبيك واضطجعي  
بعثت نفسي لتروي منك غلتها  
وساورتني شكوك من تخلفها  
فضل جسمى بلا نفس ولا كبد  
أما لا تجزعى حوشيت من جزع

وهذا شاعر آخر هو (بلند الحيدري) يكتب إلى أمه من سجنه أيضاً قصيدة تجيش فيها عواطفه تجاه

أمه يجسد في أبياتها خوف الأم وقلقها فيقول فيها:

إني.. هنا..

في السجن يا أمي أجر براءتي  
في ألف غل  
أمي كباقي الأمهات

(1) ديوان يسمونه الحب: لميحة عباس عمارة، دار العودة، بيروت، ط1، 1972: ص.55.

(2) ديوان محمد صالح بحر العلوم، بغداد، دار التضامن، ط1، 1968: 211/1 من قصيدة نظمت عام 1942 عنوانها: "أماه".

ولكن فيما يبدو لي أن هذه القصيدة لم تصل إلى وهج القصائد التي ذكرناها آنفاً، والتي كانت تتألق فيها العاطفة ويشع منها الأسلوب روعةً وجمالاً.

ومن الطريف الممتع أن اختتم هذا البحث برسالة شعرية طريفة من عالم دين كبير وهو في الوقت نفسه شاعر كبير هو السيد (رضا الموسوي الهندي)<sup>(2)</sup> كتب بها إلى ابنته وفلذة كبد العزيزة التي كانت تسكن بصحبة زوجها في بلد آخر غير البلد الذي كان فيه أبوها، فدفع به الشوق الأبوي العنيف إلى أن يكتب إليها هذين البيتين وذلك عام 1347هـ يقول فيهما:

كيف يطيب العيش أو ينفي الكمد  
ولاعج الاشواق في القلب انقدر  
وها أنا أيدي الفراق أودعست  
في بلد جسمي وقلبي في (بلد)<sup>(٣)</sup>  
ولا يخفى ما في البيتين من صياغة رائعة ومعنى بديع، واحتوائهما على لونين من ألوان البديع هـ  
بربة) و(الحناس التام).

تحايا شعرية من الأبناء إلى الأمهات في عيد الأمومة:  
الأم... هذه اللفظة التي تنبض رقة، وتتدفق عنوبة، وتتوهج سحراً. كيف لكاتب..أي كاتب كان.. أن  
يسطح تصوير معام تلк الرقة، وروعه تلك العذوبة، وتوجه ذلك السحر.  
الأم.. هذه الحروف الصغيرة.. هل بقدور أي كاتب كان، مهما أوتي من سحر البيان،  
أن يرسم بشة كل الأقلام المبدعة عظمة المعانى الخلابة والكبرة والعظيمة التي

(1) ديوان خطوط في الغربية: بلند الحيدري - ضمن المجموعة الكاملة- بيروت، 1974: ص425، "أنها تنتظرك".

(2) ولد الشاعر في النجف 1873-1943، نشر نماذج من شعره على الخاقاني في شعراء الغرب: 85/4.

(3) دیوان السيد رضا الموسوي الهندي (ت1362هـ)، ط١، بيروت، 1988، جمعه السيد موسى الموسوي، وراجعه وعلق عليه، د. عبد الصاحب الموسوي؛ ص 97.

تنطوي تحت هذه الحروف التي تتألق حباً وحناناً، وعطاءً، ليس له من حدود. فالألم - بدون أية مبالغة هي بحر زاهر، متلاطم بأمواج الدفء والحنان والوفاء.. وشاءت العناية الإلهية لهذا البحر العظيم أن يبقى زاخراً متدفقاً إلى أبد الآبدين لا ينضب عطاوه ولا ينفد ماوئه الذي ينبت الزهور الفواحة المختلفة العطور والألوان.

الألم ذلك الصوت الرائع الذي فيه من الأنغام الشجيبة، ما يجعلنا نحس معه بكل الأمان، وبكل الحنان، الذي يبعث فينا وفي أعماقنا موجات من السعادة تسرب إلى أعماقنا إلى أعماقنا وتتدفق في حنائنا.

تلك السعادة الدافئة الهائلة التي تعجز كل قواميس الدنيا عن وصفها والإحاطة بمعناها العميق

الدقيق.

كيف يستطيع معجم من المعاجم أن يجسد معنى واحداً من معاني الأمومة العظيمة التي كفاحا إكراماً وإعظاماً قول الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم): "الجنة تحت أقدام الأمهات"<sup>(1)</sup>، فإذا كانت الجنان الوارفة الظلال تحت أقدام الأمهات كما يقول عليه أفضل الصلة والسلام، فماذا في نظراتها الحانية وبسماتها الملائكة وحنانها الدافي.

وتنافس المسلمون في إعطاء الأم المكانة التي تليق بمقامها العظيم وعبروا عن ذلك بشتى وسائل التعبير

المتاحة لعقولهم وعواطفهم.

وبقوا يتوارثون ذلك التقدير جيلاً بعد جيل وعصرًّا بعد عصر.. حتى دارت الدنيا دورتها التي انتهت بالأمة إلى ما لم يسبقها بالغيوم الداكنة، وجعل أجواءها مدلهمة، فتمطرها بوابل من التخلف والتأخر والانحطاط الذي طبع حياتها كلها في شتى مجالاتها الفكرية والاجتماعية بطبع الجمود والتقهقر.. ومن الطبيعي أن يعكس ذلك كله على مكانة الأم فيقلل من شأنها ويحاول أن ينزلها من الموضع الرفيع العظيم

الذي وضعها الإسلام فيه...

---

(1) مسند احمد بن حنبل: 429/3

أجل حتى تلك الإنسانة العظيمة التي لا يضاهي عظمتها شيء بما تضفيه الأم على أولادها وعلى الأسرة، ومن ثم على المجتمع كله والإنسانية بأسرها من حب وعاطفة وحنان.. حتى الأم حاولت تلك الفترة المظلمة في عصور التأخر والانحطاط، حاولت أن تنزلها من مكانتها التي لا تسمو إلى عظمتها شيء.. وقامت النهضة الحديثة في شتى ميادين الحياة وأعطيت المرأة جل حقوقها المهمومة، واستردت كثيراً مما اغتصبه منها المجتمع؛ وكانت الأم هي المرأة الأولى من بين نساء المجتمع كله تستعيد حقوقها وتتنطلق الدعوات من هنا ومن هناك إلى الاحتفاء والاحتفال بها تكريجاً لعطائها الكريم واعترافاً بمكانها المقدس.

ومن مظاهر ذلك الاحتفاء والاحتفال أن تداعت دول العالم وشعوبه إلى الاحتفال بامرأة في يوم عالمي تشارك في الاحتفال به كل شعوب العالم، أطلقوا عليه اسم (عيد المرأة العالمي).

وشاركت الأمة العربية بأسرها دول العالم بهذا الاحتفال، والعراق بصورة خاصة كان من السباقين إلى ذلك الاحتفال اعترافاً بمنزلة المرأة ومقامها السامي الرفيع.

ولم تكتف الأمة العربية بذلك فرألت - من باب تكريم الأم والإشادة بفضلها والاعتراف بآلئتها وألطافها -

أن تجعل عيداً خاصاً يحتفل به العرب، أطلقوا عليه (عيد الأم العربية - أو عيد الأم) تكريماً للأم وتذكيراً بما أولوه العرب للأم من تعظيم وتكرير في صدر الإسلام للأمهات.. وانتهز البررة من الأبناء تلك المناسبة السعيدة والكبيرة والعظيمة، فأقاموا بعيد المرأة العربية الاحتفالات اللائقة به تكريماً للأم وتعبيرأ عن عواطفهم الصادقة ومشاعرهم العميقية تجاهها؛ ونثروا زهور التبريكات على جباراً أمهاطهم وكتبوا لهن بطاقات التهاني معربين بها عن ولائهم وحبيتهم العميق لهن... .

والشعراء والشواعر من أولئك الأبناء الأولياء، أذكت تلك المناسبة العظيمة مشاعرهم وألهبت وجданهم فكتبوا أحلى القصائد وأغلبها بكل العيدان: عيد المرأة، وعيد الأم، وهذه الشاعرة (وديعة الشبيبي) تبعث ببطاقة حب وتكتريه إلى أمها (السيدة زينب) في عيدها المبارك فتقول:

**زيـنـبـ الـحـلـوةـ والـرـوعـةـ** يـاـ أـمـيـ الحـزـونـ

أُي عِيدٌ لَاحْ دِنِي	ن ج مَالِ وَفَتْ وَن
عِيدَك الوضَاءِ مَا	أَسْمَاهُ يَانَورُ الْعَيْنَ وَن
يَا نَشِيدُ الْحُبُّ وَالْأَشْوَاقِ	يَا أَحَدَى رَزَّيْنِ
يَمْلَأُ الْقَابَ سَبَّا	وَأَمَانَ وَيْهَأً يَنِين
يَا صَفَاءَ وَنَفَاءَ	كَنَّةَ إِلَيَّاَسَ مَيْنَ
يَا جَلَالًا عَبْرِيَّاً	فِي قَلْبِ الْمَلَهِمَيْنِ
وَشَدَّادًا سَرْمَدِيَّاً	فِي عِيْنَ الْحَامِلِينَ
لِيَدِمْ عِيدَكَ فِيَنِ	مَشْرِقًا عَبْرَ الْسَّنِينِ <sup>(١)</sup>

وفي عام آخر تنتهز الشاعرة (وديعة) فرحة عيد الأم الذهبية الغالية لتعبر عن بالغ تعلقها بأمها الحنون،

فتقول قصيدة بعنوان "آمنيات طيبة":

إِلَيْكَ أَحَدَى التَّهَانِيَّ	قَدْ مَازَجَتْهُ الْأَمَانِيَّ
أَمْمَاهُ عَامٌ سَعِيدٌ	تَخَضُّرٌ فِيَّهُ الْمَغَانِيَّ
حَيَّتْ قَلْبًا رَؤُومًا	يَا نَفْحَةً مِنْ حَنَانِ
سَعَدَتْ عَامًا فَعَامًا	تَرْزُّ وَلَكَ الْعَيْنَانِ
هَذَا دُعَاءُ جَنَانِيَّ	قَدْ نَسِمَ عَنْهُ لَسَانِيَّ
فَفَاضَ شَعْرًا بِقَلْبِيَّ	وَهُرَّزَ شَوْقًا كَيَانِيَّ
أَمَاهًا غَلَى الْمَعَانِيَّ	اهْدَيْتَهَا فِيَّيَانِيَّ

(1) ديوان خواطر ملونة: وديعة الشبيبي، ط.1، 1990، بغداد: ص155 قصيدة بعنوان "بطاقة حب في عيد الأم".

وهذه الشاعرة السيدة (حياة الزبيدي)<sup>(2)</sup> تحيي النساء العربيات في يوم عيدهن الأغر المبارك، بقصيدة

عنوانها "تحية إلى النساء العربيات":

من القلب أصدق العاطفات

من القلب من ملحاً الذكريات

أحبيك، أمي وأم الجميع

أحبيك أمي فهل تعلم من

بأنى قريباً أرد الجميل

اللَّكَ وَأَنَّ الْحَيَاةَ تَسْرِ

وَنَحْنُ نَسِرُهُ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ

الآباء، المشهد المستنصر

<sup>(3)</sup> الـجـةـ وـالـجـهـ وـالـنـصـارـ

ثم تقدم تحية الى الأمهات العراقيات في عيد الأم، هذه الأم العظيمة التي، تربى البنين على حب الوطن.

٢٩٦

أحسك أمي، بأرض العراق

بلاد النخيل، بلاد الجنان

(1) ديوان وديعة الشبيه، نفسه: ص 131.

(2) حياة الراedy - شاعرة عراقية ولدت في الصويرة، لها ديوان (أغنية للشودة 1958). ينظر - محمد المؤلفين، العارقين، ص 390.

(3) ديوان الغد المشرق: حياة النبى، مطباع دار الأخبار، 1952: ص 21.

فيالك أما تربى البنين

على حب أوطانهم والحنين

وفي كل جارحة تغرسين

محبة شعب عريق مجيد

تغييننا فيه حب العراق<sup>(١)</sup>

وهذه الشاعرة (فطينة النائب) يمر عليها "عيد الأم" فتغتنم الفرصة لتحبي الأمهات في عيدهن الأغر

وتحب نفسها كأم من خلال تلك التحية، فتقول في قصيدة عنوانها "تحية اكبار" :

حي العراق وحيهنه أني تردد ذكرهنه

الأمهات الحانيات بكل عاديه ومحنه

المسبغات من الأمومة بردة في كل جنة

الساعيات إلى العلي الباذلات نفوسهنه

يا أيها التاريخ سجل إن علمت بفضلهنه

\* \* \*

بوركت يا ذات الرسالة إذ حظيت بخير مهنه

سيري إلى العمل المقدس دون إبطاء ومنه

وتثقفي دوماً فإن العلم نور في الدجنه

وارعي زهوراً ناضرات في يديك بكل فطنه

---

(1) الديوان نفسه: ص 23، نظمت في عام 1957.

فإذا تعبت فأنت أشرف قدوة بعيو ننه  
وإذا منحت فأنت أسمى الأمهات وكم منحن  
وطني الحبيب بحاجة لجهودهم وجهودكنه  
وطني يهيب بنا اعملوا وتثقفوا من أجلهن<sup>(1)</sup>  
ولا نكتفي بهذا القدر من اختياراتنا في عيد الأم من شواعر العراق، وانتقل إلى شاعر آخر من الشعراء  
حييا الأمهات في عيدهن المبارك هو الشاعر (محمد جواد الغبان) بقصيدة عنوانها " حبيتهن بعيدهن" نختتم بها  
بحثنا هذا ونورد منها قوله<sup>(2)</sup>:

حبيتهن بعيدهن وهتفت إكباراً لهنه  
أنا إن أتيت لانثر الأزهار فوق جباوهنه  
فلأنهن منابع الوحي العظيم... وأنهنه...  
 وأنهن أرج الحياة، فكل نفحة زهرة من عطرهنه  
مالي أعدد؟ إنما في الفكر ألف لأنهنه  
لو قيل.. من رمز المحبة والحنان، لقلت هنه  
أو قيل: أين ترى الأمان، لقلت في نظراتهنه  
أو قيل: من أولى المدارس، لقلت في احضانهنه  
لم أدر كيف تكون أيام الحببية بينهنه  
فلذاك قد حبيتهنه مباركاً أعيادهنه<sup>(3)</sup>

---

(1) الديوان نفسه: ص23، نظمت في عام (1957).

(2) ديوان رمسيس الحب: فطينة النائب، بغداد، 1971، ص14-15.

(3) ديوان على مرفا الجراح: محمد جواد الغبان " مخطوط ، " ص100-101.

إن الأولاد<sup>(٢)</sup> هم أفلاد أكباد آبائهم وأمهاتهم لأنهم يمثلون حاضرهم المشرق ومستقبلهم الراهن. وتتجلى لنا قيمة الأولاد وأهميتهم بالنسبة للوالدين حين نتذكرة أن والديهم يرون فيهم الامتداد الطبيعي لوجودهم والإشعاع الوهاج الذي ينبعث من حياتهم ليرسم سطوره المشرقة على صفحات الخلود، باعتباره نتيجة من نتائج غريزة حب البقاء والحياة.

إن الأولاد - من بنين وبنات - تتلاؤ بوجودهم البسمة على شفاه أمهاthem وآبائهم ومتلئ برؤيتهم قلوبهم بالفرحة الغامرة التي تجعل حياتهم باسمة زاهية. ولا يمكن أن يصل فكر الإنسان وخياله مهما كانا واسعين إلى عمق العاطفة الجياشة والشعور الفياض الذي يكنه الآباء والأمهات لأنباءهم إلا إذا تهيأ لذلك الإنسان أن يعيش في ظلال تلك الأجراء العاطفية الراخمة بالحب والحنان، ولا يمكن أيضاً أن يصل التصور الذهني إلى مدى الجراح العميق التي لا تندمل عند فقدان الوالدين لأحد أولادهم، والأحزان الموجعة التي تتلبد بها سماوهم، والدموع الحارة الملتهبة التي تتدفق من حنايا قلوبهم فتجري من عيونهم لهباً محرقاً وأسى مضىً في الفراغ الهائل الذي يتركه فقدان الأولاد وموتهم في نفوس آبائهم وأمهاتهم. إنه فراغ صاحب يضج ويتعجب بالذكريات

---

(1) عرف العرب الرثاء منذ العصر الجاهلي، إذ كان النساء والرجال جمِيعاً يندبون الموت، كما كانوا يقفون على قبورهم مؤبنين لهم مثنين على خصالهم، قد يخلطون ذلك بالتفكير في مأساة الحياة وبيان عجز الإنسان وضعفه أمام الموت، الذي هو مصير مختوم لكل بني البشر. انظر في ذلك: الرثاء - د.شوقي ضيف، ط4، دار المعارف، القاهرة، 1959: ص.7.

(2) الولد: هو المولود وهو ( فعل ) بمعنى ( مفعول ) ويطلق على الذكر والأنثى والواحد وغيره، ويجمع على أولاد، انظر - مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني، أعدد للنشر وأشرف على طبعه د. محمد احمد خلف الله، مكتبة أنجلو المصرية، 1970، وأنظر - معجم ألفاظ القرآن الكريم - إصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة، طبع الهيئة المصرية العامة لتأليف والنشر - ط 2 - 1970: مادة ( ول د).

الحلوة المرة، التي تملأ أجواءهم رعباً وقلقاً وتتوتاً. مما لا شك فيه أن الموت هو قضاء الله وقدره - ولا راد لقضاء الله - وأنه النهاية الحتمية لكل حي. ولكنه في الوقت نفسه لا يوجد في الدنيا أي حزن ممض يغمر النفوس وجعاً وألمًا وقزقاً مثله، فإنه حين يدخل البيوت يجعلها بالحداد ويلبسها أبراد السواد بعد أن كانت جدرانها تردد وتعزف أصوات ضحكات الأبناء وتشدو بالسعادة التي كانت ترتسم على كل معلم من معالمها، وإذا بكل شيء من تلك الأجواء الجميلة يستحيل إلى ندب<sup>(١)</sup> وبكاء وعويل، حين يرى الوالدان الوجه في حياتهما منطفئاً وسماءها ملبدة بغيمون الحزن الداكنة التي تمطر وابلا من الأسى والألم العميق الذي يمزق القلوب ويشقق الأكباد. والموجع لهم أنهن حين يجوسون زوايا بيوتهم لا يسمعون فيها أي صوت إلا صدى أصوات بكائهم على الأولاد وأفلاذ الأكباد.. وأنى للدموع أن تقوم بالتنفيس عن النفوس الثكلى وتفصح عن الحزن الدفين والآهات الكثيبة. وإذا كان أولئك الآباء المفجوعون بفقد أبنائهم وأفلاذ أكبادهم من الشعراة الذين يدعون عندما تلتهب أحاسيسهم وتتوهج مشاعرهم فإنهم يكونون أكثر تنفيساً عن حزنهم وأعمق تعبيراً عن الآهات والأحزان التي تتكدس في أعماقهم، لأن الشعر إذا كان نابعاً من أعماق وجdan الشاعر فإنه يكون المتنفس العميق الذي يجد الشاعر في ثناياه أصدق التعبير عن المشاعر والعواطف التي تختلي في حنايا القلب وخبايا النفس فإذا به يجد في ثنايا أبياته وقوافيه دموعاً أكثر حرارة من دموع عينيه تخفف من الواقع قلبه وتجفف من مداعع عينيه، ولا بد هنا من الإشارة إلى البون الشاسع والفرق الكبير بين دموع العيون ودموع القوافي، فإن العيون إذا جفت منها الدموع - ولا بد لها أن تجف يوماً ما - فإنها بعد جفافها يطويها الزمان ويلفها النسيان، ولا يبقى لها ذكر في أعماق الوجدان؛ ولكن دموع القوافي تظل باكية على مر العصور والدهور، كلما

---

(١) يقول د. شوقي ضيف في كتابه (الرثاء) ص12. أن الندب هو - النواح والبكاء على الميت بالعبارات المشجحة والألفاظ المحرزة التي تصدع القلوب القاسية وتذيب العيون الجامدة، إذ يولول النائحون والباكون ويصيحون ويعولون مسرفين في النحيب والنشيج وسكب الدموع.

فتح إنسان صحائفها وحدق في سطورها وجدتها تتدفق أملأ، حيث ترسم على كلماتها وعلى حروفها جميعاً كل معالم اللوعة والحزن، وسبب ذلك فيما يبدو لي أن قصائد الرثاء المشحونة بالعاطفة والمتوهجة بمرارة الألم تظل جديدة، وتبقى كلماتها حية تنبض بصدق العاطفة وعمق الشعور بحيث تركت في نفس قارئها أبلغ الأثر، ولا يمكن للسنين أن تمحو ذلك الأثر البالغ. والذي لفت انتباهي هنا وشدني إليه بحيث استوقفني فوقفت عنده ملياً، هو أن تلك الدموع الشعرية التي نظمت لائلها في رثاء الأولاد من بنين وبנות والتي هي مادة هذا البحث، كانت كلها مراثي شجية من الآباء لأنبيائهم.. أجل من الآباء فقط دون الأمهات - على الجهد الكبير والواسع الذي بذلته وأنا أبحث في ثانياً مراجع البحث ودواوين الشعر الحديث وحتى الصحف والمجلات استقصيها، وبتعبير أدق حاولت استقصاءها على كثرتها وصعوبة الحصول على بعض أعدادها - فلم أجد فيها جميماً شاعرة واحدة من شاعرات العراق في العصر الحديث جاشت قريحتها برثاء أحد أولادها المفجوعة بفقدتهم. تلك القضية التي استوقفتني، وكان علي بمقتضى أمانة البحث والجهد الذي يتربّ على كدراسة أن أبذله عند كل ما يعترضني من تساؤلات يجب أن أجده الإجابة عليها، أو محاولة تبرير عدم وجود الجواب الشافي والكافي... آباء شعراء يرثون أولادهم فأين الأمهات الشاعرات فغيابهن عن هذا الميدان استوقفني - كما قلت - ويستوقف غيري ممن يبحث عن الحقيقة ويريد الوصول إليها. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا.. ألم تكن في العراق في العصر الحديث أمهات شاعرات؟! والجواب عن ذلك: بلى، ولكن - وهذا ما أوصليني إليه البحث والتفكير العميق في الأمر - أجل: ولكن الشاعرات في العصر الحديث قليلات جداً في الفترة التي كانت موضوعاً لرسالتها هذه، وهي فترة ليست بالقليلة زمنياً، حيث تمتد ثمانية وخمسين عاماً بالتمام والكمال.. لم أجد خاللها من الشاعرات العراقيات من لها صلة بموضوعي سوى عدد محدود لا يتجاوز أصابع اليدين، ومن أجل الدقة فقد كان عددهن سبع شاعرات فقط وهذا عدد قليل وضئيل جداً بما يقابله من الشعراء الذين شملهم البحث والبالغ عددهم خمسين شاعراً.. وهو عدد كبير بلا شك.. وبالإضافة إلى قلة عدد تلك الشاعرات فقد شاءت لهن الأقدار

أن لا تفجع واحدة من تلك السبعة بموت أحد أبنائهن.. وبطبيعة الحال ونتيجة لذلك لم نجد في ثنايا شعر تلكم الشاعرات قصيدة واحدة في رثاء الأبناء.. ولما كنا في صدد التبرير والتعليق فإننا يجب أن لا نغفل الإشارة إلى غزارة عاطفة الأم وعمقها وسعتها، بالإضافة إلى رقة تلك العاطفة وتوهجها وتقدّمها مما يجعلها - كامرأة وكأم - أن تنحصر وسيلة تعبيرها عن آلامها وأحزانها بالدموع بل والصرخ والعويل وإذا لم تجد ذلك شافياً للتعبير عن حزنها وألمها تلجأ إلى خمس الوجه ولطم الخدود مما يندر جداً أن يفعله الرجال في مجال التعبير عن أحزانهم وألامهم لأنهم أربط جائساً وأشد قاسكاً وأكثراً تصبراً وتأسياً بحكم تركيبهم النفسي والاجتماعي. وبعد توضيح ذلك يجدر بنا أن لا نستغرب إذا وجدنا بأن مراثي الأبناء في مجال دراستي منحصر بالآباء.. وبالآباء وحدهم.. وكما قلنا في بداية هذا البحث أن الأبناء أفالذ أكباد آبائهم وأمهاتهم، وأن فقدانهم يتراك جراحاً عميقاً لا تندمل في قلوب والديهم الذين إذا تفجرت قرائحهم في رثائهم فأنها تتفجر عن حزن دفين وألم عميق. ولعل الأشعار التي هي محل الاستشهاد في فصول هذه الرسالة وأبحاثها كان من أهم مميزاتها وخصائصها أنها تعقب بشذا الرقة وتفوح بأرج العذوبة وذلك لأن موضوع الرسالة الذي هو (الأمومة والبنوة في الشعر العراقي الحديث) من أغزر المواضيع وأشدتها رقة وعذوبة، ولكن تلك الرقة والعذوبة تبلغ ذروتها في شواهد هذا البحث - والبحث الذي يليه - لأنهما يتعلمان بالرثاء، والرثاء من أصدق الشعر الإنساني تعبيراً عن عمق المشاعر وصدقها (فتسليل كلمات الشعراء وأشعارهم الحزينة وكأنها تسيل من جروح لا ترقأ في القلوب)<sup>(١)</sup>. وهذا هي الشواهد الشعرية التي تتعلق بضمون بحثنا هذا وهي من أكثر الشواهد في فصول هذا البحث وأعمقها تعبيراً عن العواطف الجياشة وأمشاعر الحزينة، فهذا الشاعر (عباس شبر) يفقد بنتاً له في السادسة من عمرها فقال في رثائها قصيدة بعنوان "طفلت"، والتـ، مطلعها:

أُعْلَمُ بِكَمْ تَبْقِي عَرَبِيًّا  
دَمًا وَتَذَرْفُ جَمَارًا

١٥ (١) ظلثاء: ٢٠١٥

أهـل الـموت وـهي تـبـقـ نـشـرا	أـيهـا الـزـهـرة الـتـي اـقـطـفـتـهـا
ليـهـا أـكـمـلتـ سـنـيكـ (عـشـرا)	فـجـعـتـنـي بـكـ الـصـرـوفـ (لـسـتـ)
وـفـؤـادـ طـهـ رـأـ وـجـهـ أـغـراـ	عـاجـلـتـ بـالـرـدـي لـسـانـاـ فـصـحـاـ
مـقـلـتـيـ، تـعـصـرـ المـدـامـعـ عـصـراـ	حـبسـ الـخـطـبـ مـنـطـقـيـ فـأـسـتـهـلـتـ
بـلـ فـؤـادـ قـطـعـتـهـ فـيـكـ شـعـراـ	مـاـنـظـمـتـ الـقـرـيـضـ فـيـكـ رـثـاءـ
عـنـكـ هـلـ أـسـتـطـعـ بـعـدـكـ صـبـراـ	إـيـهـ يـاـ طـفـلـتـيـ وـمـ أـغـنـ شـيـئـاـ
شـقـ فيـ بـاطـنـ الـحـشـىـ لـكـ قـبـراـ <sup>(1)</sup>	فـوـدـاعـاـًـ يـاـ طـفـلـتـيـ مـنـ ثـكـوـلـ

وهذا الشاعر (اليعقوبي) يختتم الموت منه أبناً صغيراً لم يتجاوز عمره بضعة أشهر وكان قد مات له قبله ولدان خلال عام واحد، فتحدرت دموعه الشعرية بقصيدة رثاء لهم، غريزة العاطفة، عنوانها " ثلاثة أقمار " جاء

فيها قوله:

بعـيـدـاـ عـلـىـ قـرـبـ مـنـ الـعـهـدـ بـالـدـارـ	بـنـيـ الـذـينـ اـسـتـوطـنـواـ الـأـرـضـ مـنـزـلاـ
بـاجـدـاـثـكـمـ وـارـيـتـ طـاقـةـ أـزـهـارـ	ذـوـيـ مـنـكـمـ رـوـضـ الـصـباـ فـكـأـنـيـ
يـزـيـدـ بـإـعـظـامـ عـلـيـ وأـكـبـارـ	ذـهـبـتـمـ صـخـارـاـ غـيرـ أـنـ مـصـابـكـ
غـداـةـ خـبـتـ مـنـكـمـ سـوـاطـعـ أـنـوـارـ	فـحـالـ بـعـيـنـيـ النـهـارـ دـجـنـةـ <sup>(2)</sup>
أـوـسـدـهـاـ مـاـ بـيـنـ رـمـلـ وـأـحـجـارـ	أـفـ كـلـ يـوـمـ مـنـ فـؤـادـيـ قـطـعـةـ
مـنـ الـأـرـضـ قـدـ ضـمـتـ ثـلـاثـةـ أـقـمـارـ	وـمـاـ كـنـتـ أـدـرـيـ قـبـلـهـاـ أـنـ بـقـعـةـ

(1) ديوان المؤشور - عباس شبر، تحقيق - جواد شبر (ط، 1978): ص165.

(2) دجننة: السود والظلمة.. ينظر - المعجم الوسيط.

علي(جعفر)من قبله دمعي الجاري	بكيت على فقد (الحسين) ومارقا <sup>(١)</sup>
وعدد من يومها أي تذكار	وهيج لي أحزان يعقوب (يوسف)
فدمع على دموع ونار على نار	أبيتم على عيني وقلبي راحه
فعادت رثاءً فيكم جل أشعاري	وكنت أصوغ الشعر فيكم تشبباً
وابدلتكم صفو الحياة بأكـدار <sup>(٢)</sup>	حللت عمري صبري وكانت وثيقه

وهذا الشاعر (عبد المنعم الفرطوسي) يفجع بوفاة طفله الصغير(علي) فستفجر قريحته بقصيدة رثاء  
بلغت مئة بيت، تعرب عن صدمة للقلب قد هدمت وصدعت أركانه فجعلته قطعاً متباشرة، فارتمى بعده جسداً  
مهماً بلا روح. نقتطف منها قوله:

أبْنَيْ يَا أَنْشُودَةَ الْأَمْل  
يَا عَوْدَ أَنْغَامِي وَقَدْ سَكَنَتْ  
يَا وَحْيِيْ أَفْكَارِي وَقَدْ هَدَأَتْ  
يَا بَسَمَّةً بِفَمِيْ قَدْ أَئْتَلَقَتْ  
أَيْتَمَتْ قَلْبًاً كَنْتْ مَفْزَعَهِ  
جَفْنًاً قَرِيحًاً كَنْتْ تَكْحَلَهِ  
أَمَاً رَؤُومًاً فِيْكَ قَدْ فَجَعَتْ  
قَدْ كَنْتْ نَخْرًاً فِيْ مَبَاسِمَهَا

(١) رقا: هدا، وحذفت الهمزة للضرورة الشعرية.

(2) ديوان البعقوبي: ص 156 ونشرت القصيدة في مجلـة الاعتدال عام 1357هـ (1938م).

وتعيش في دنيا بلا أمل  
أركانه في حادث جلل  
بعض ببعض غير متصل<sup>(١)</sup>

تحيا بلا قلب تحس به  
يا صدمةً للقلب قد هدمت  
فإذا به كسر مبعثرة<sup>(٢)</sup>

وهذا الشاعر (خيري الهنداوي) يرثي ولده البكر (عارف) وقد أودى به الردى وهو في السابعة من عمره بقصيدة طويلة يقول فيها:

خذوا معكم هذا الكبير إلى القبر  
برؤيته عندي الشديد من الضر  
فما لي على بعد ابني اليوم من صبر<sup>(٣)</sup>

أيا حاملي النعش الصغير ترثوا  
قفوا لأرى وجه الذي كان ينجلني  
قفوا وخذذوني حاماً ومشياً

ثم يصور لنا كيف ذهب إلى قبر ابنه الحبيب مصطحباً الأُم المفجوعة بابنها الفقيد الغالي، وكيف كانا يبحثان عن قبره بين القبور الدوارس، فقال:

وذات الجوى الثكلى تسير على أثرى  
تردد ما بين الترائب والنحر  
نحيي الصوى<sup>(٤)</sup> منهن بالادمع الغزير  
من الدل غصناً غاله الدهر بالكسر  
إليه الأسى من حيث ندرى ولاندرى

مضيت إلى قبر الحبيب عشيّةً  
تشاطرني الثكل الممض بزفراً  
وقفنا على الأجداث<sup>(٥)</sup> وهي دوارس<sup>(٦)</sup>  
نفتش عن قبر به أودع الرعد  
فجعنابلا رشد عليه يقودنا

(١) ديوان عبد المنعم الفرطوسى: 237/2.

(٢) خيري الهنداوى - حياته وشعره: د. يوسف عز الدين (1974): ص242، بعنوان "في النعش".

(٣) الأجداث - جمع - (جئت) وهو (القبر).

(٤) دوارس - مفرداتها (درس) وهو (الرسم).

(٥) الصوى: الحجارة والواحدة منهن (صوة).

إلى الصدر نستشفي به غله الصدر<sup>(1)</sup>

نشم الشّرّى طوراً وطوراً نضمه

ثم يقول بعد ذلك مخاطباً ابنه العزيز بـلسان أمه المفجوعة الثكلى بشعر يعبر عن مدى لوعة الأم

وحزنها وذلك بقوله:

يزورك فاستقبله باللطف والبر  
عهـدناه قبل الـيـوم في وجهـكـ الحـرـ  
بني عـدـاكـ الـوـقـرـ ماـ فيـكـ منـ وـقـرـ  
جوـىـ فـوـقـ مـاـيـ منـ لـهـيـبـ وـمـنـ سـعـرـ  
وـجـرـعـتـنـيـ كـأـسـاـًـ أـمـرـ مـنـ الصـبـرـ<sup>(2)</sup>

بنيـ أـفـقـ هـذـاـ أـبـوـكـ بـجـانـبـيـ  
فـقـمـ وـأـجلـ عـنـهـ الحـزـنـ فيـ بـشـرـكـ الـذـيـ  
بنيـ أـجـبـ صـوـتـيـ بـحـقـ أـمـوـمـتـيـ  
سـكـوتـكـ قـدـ أـدـمـىـ فـؤـادـيـ وـزـادـنـيـ  
بنيـ لـقـدـ اـفـقـدـتـنـيـ الصـبـرـ وـالـحـجـىـ

وهذا الشاعر (عبد الحسين الأزري) يفجع قلبه بوفاة ولده الذي بدأ يضع قدميه على اعتاب الصبا  
ففاجأته المنية. ويهزه فقد ابنه الحبيب (صبيح) بقصيدة عنوانها "ولدي صبيح" يناجيه فيها معبراً عن بالغ

لوعته وأساه بقوله:

سبـقـ الشـمـسـ لـلـمـغـيـبـ هـنـارـيـ  
رـصـبـاحـاـ كـعـادـةـ الـأـطـيـارـ  
تـرـقـبـ الـأـفـقـ سـاعـةـ الـأـقـطـارـ  
أـطـفـأـتـ هـعـاصـفـ الـأـقـدارـ  
كـمـ رـورـ النـسـسـيمـ فـيـ الـأـسـحـارـ  
ـنـ بـأـيـامـ هـلـطـافـ الـقـصـارـ  
ـمـنـ عـطـوـرـ أـوـ باـقـةـ مـنـ بـهـارـ

بـيـنـ نـشـرـ الدـجـىـ وـطـيـ النـهـارـ  
أـيـهـاـ الطـائـرـ المـغـرـدـ فـيـ الـدـاـ  
فـاجـأـتـكـ الـمـنـونـ وـالـعـينـ مـنـاـ  
كـسـرـاجـ مـلـاتـ لـلـأـنـ وـرـاـ  
ـمـاـ ظـنـنـكـ أـنـ تـمـرـ عـلـيـنـاـ  
ـأـوـ كـفـصـلـ الـرـبـيـعـ قـدـ أـبـهـجـ الـعـيـ  
ـأـيـهـاـ الـحـامـلـونـ لـلـقـبـرـ درـجـاـًـ

(1) خيري الهنداوي - حياته وشعره: ص244 "وقفة على القبر".

(2) خيري الهنداوي حياته وشعره: ص244 "خطابة الأم".

كفن و بـالورد فـهـوـهـ وـأـخـوـهـ  
وـاجـعـلـواـ الـقـبـرـ سـلـلـةـ مـنـ نـضـارـ  
فـحـرـامـ تـعـهـ رـاـمـ تـرـاـبـاـ  
لاـ تـهـيـلـواـ عـلـىـ الـأـقـاحـيـ<sup>(1)</sup> تـرـاـبـاـ  
فـحـرـامـ تـعـهـ رـاـمـ تـرـاـبـاـ  
وـهـذـاـ الشـاعـرـ (إـبرـاهـيمـ الـوـاثـيـ) يـفـتـقـدـ طـفـلـتـهـ الغـالـيـةـ التـيـ سـمـاـهـاـ (ـحـيـاةـ)  
وـلمـ يـسـمـهاـ بـهـذـاـ الـاسـمـ اـعـبـاطـاـ،  
بـلـ تـفـأـلـاـ لـهـاـ بـأـنـ تـنـعـمـ بـالـحـيـاةـ فـيـ كـنـفـ أـبـوـيـهـاـ وـلـكـنـ كـانـتـ لـهـ الأـقـدارـ بـالـمـرـصـادـ، فـاـخـتـطـفـتـ مـنـهـ تـلـكـ الطـفـلـةـ التـيـ  
كـانـتـ تـغـمـرـ بـيـتـهـ وـحـيـاتـهـ بـهـجـةـ وـسـعـادـةـ، فـقـالـ فـيـ رـثـائـهـاـ قـصـيـدةـ عـنـوانـهـاـ "ـلـنـ تـنسـيـ"ـ:

وطفلاً كلاماً ناغيتهاً ابشت  
تناءباً الموت في أجفانها شهراً  
وقيل: ماتت "حياة" فارقت دفعاً  
ماتت ولم تطوا عاماً من طفولتها  
فيالدرّ عليهما جف واحتقنا  
على الخدود دموع من هنا وهنا  
وانقض يخطف منها الروح والبدنا  
مني بقلب بها قد ذاب وافتتنا

ونرى من الغريب أن تبقى صورة هذه الطفلة البريئة عالقة في ذهن أبيها، فينظم فيها قصيدة تنبض

بالعاطفة والمشاعر بعد أكثر من أربعين عاماً على وفاتها...

\* \* \*

والآم التي أشرنا في ثانياً هذا البحث إلى شدة عاطفتها التي تحول بينها وبين التعبير بالكلمات، فتلجأ للدموع الغزيرة والآهات المثيرة وهي منفذها الوحيد في التعبير عن مواجه الألم، ألفت انتباه الشعراء فشجاهم منها ذلك، فحاولوا أن يصفوا الألم وهي بتلك الحال العاجزة عن التعبير؛ فهذا الشاعر (محمود الحسوي) بري أماً ثكلى فقدت ابنتهما

(1) الأفاح: جمع "ق ح 1" (الأقحوان) البالونج على افعلن وهو نبت الريح جواله ورق أرضي ووسطه اصفر.

(2) ديوان عبد الحسين الأزدي: ص 275، توفي ابنه (صحي) وهو صبي سنة 1931م.

(3) ديوان ابراهيم الوائل، بغداد، 1981: 325/2 تهافت الطفلة عام 1937م.

الوحيدة وهي لا تمتلك إلا العویل بل الصراخ، في رباعية عنوانها "أم تبكي وحيدتها" قال

فيها:

أي صوت أسر هر الأعين من  
صرخة قد مزقت ستر الدجى  
أرسلتها نفس ثكلى لم تجد  
أرسلتها للسماشاكية  
راقي الليل وراع الآذن سا  
بعد بنت فقدها مؤنسا  
بعدها م Zinc القلب الأسى  
ما تقاسيه نفس وس التعسا<sup>(١)</sup>

وهذا الشاعر (جميل صدقي الزهاوي) يحدق في وجه أم لا تمتلك غير ألفاظ الدموع وكلمات الآهات،

فقال يصف موقفها وهي تقف بكل الحزن واللوعة على قبر ابنتها الحبيب:

يا ابنتي أنت سلوكى ورجائى  
حلمى أنت فى منامي وذكري  
إن نفسي عليك يا أنفسى نفسى  
أيه القبر هل علمت بـأنى  
وسراجى في ليلة الأحزان  
حين اذنو من يقطتى في لسانى  
ذهبت أى وربه حسرات  
قبل موتي دفت فيك حياتى<sup>(٢)</sup>

ويقف الشاعر (الزهاوي) مرة أخرى مفجوعة بوحيدها الذي احترمه المئون، فيقول على

لسان تلك الأم قصيدة عنوانها "هواجس ثكلى" يصور فيها لوعتها ومارتها وهي تعتب على دهرها الذي

أصابها في وحيدتها:

أصابني في وحيدى غير مكتثر  
واحر قلبا من نار قد اضطرمت  
لما بقلبي من حب ومن ضرم  
من سورة الثكل فيه أي مضطرب

(1) ديوان رباعيات الحبوبى، طبع النجف، 1951: ص 77.

(2) ديوان الزهاوى - بقلم عبد الرزاق الهملاوى (ط1972): ص87، ضمن مجموعة "الحديث شجون" قصيدة عنوانها "على قبر ابنتها".

ومارحمت بياض الشعر في لممي  
علي تقسو فهلا كنت مختزمي  
في شواهد آمالي به انهدمي  
على صروف زماني ثم في هرمي  
إما شقائي فهذا غير منصرم<sup>(١)</sup>

يا دهر إنك لم تعطف على كبري  
قد اخترمت أعز الناس قاطبة  
وقد بنيت به الآمال شاهقة  
وكنت أمل عوناً منه في كبري  
وللسعادة أيام قد انصرم

رثاء الأبناء لأمهاتهم:

إن الألم - ومنذ الأزل - تحمل أسمى المعاني الإنسانية النبيلة العظيمة، ومن أبسط الدلائل والقرائن على تلك المعاني أنها تملك من القابليات والمواهب ما يجعل به أولادها الصغار الأبراء يتحسّسون من أعماق وجدانهم بأن هناك قلباً حانياً يظللهم بحنانه ورعايته، ويقلق عليهم ويتعدّب من أجلهم، خوفاً من أن يصيّبهم أي مكرٍ.

والقلق والخوف من الصفات الطبيعية الغريزية في كل إنسان منذ أن يبدأ بمعانقة الحياة على وجه هذه البساطة، والأبناء حين تساؤرهم لحظات رهيبة من حالات ذلك الخوف وذلك القلق الغريزي فإنهم يتكتّون على صدر الألم الذي سرعان ما يبدد كل سحب ذلك الخوف والقلق ويجعل سماءهم صاحية ضاحية ينعمون بصفاتها ونقاءها. ويبداً أولئك الأولاد يكبرون ويكبر معهم حبهم لأمهم وتعلقهم بها، فهي معهم دائماً وأبداً يستمدون منها القوة ويستلهمون العزيمة فيشقون طريقهم في هذه الحياة وهي معهم أيضاً دائماً وأبداً تشد من تلك العزائم وتضاعف من تلك القوة حين تكون لهم روضة غنا في صحرائهم القاحلة ونسمة ندية في هجيرهم اللافح. ويكبرون... ويكبرون.. ويأخذ ذلك الحب وذلك التعلق بأمهاتهم في ازدياد، حتى يصل إلى درجة ليس لها حدود تحدّها ولا آفاق تقف عندها.

(1) ديوان الزهاوي (ط1972)، مج1: ص511-509 من قصيدة نظمت عام 1930م.

وإذا كانت الحكمة الإلهية والإرادة الربانية اقتضت أن تخطف الأقدار كل زهرة، وتطفي كل نجمة وتجفف كل نهر معطاء.. فلا بد اذن من أن يأتي يوم - مهم طال الأمد - يجد فيه الولد زهور روضته ذابلة ونجوم سمائه منطفئة ونهرة المتدفق المعطاء جافاً يابساً، وذلك كله بفقدان أمه الحبيبة التي كانت له كل ذلك بل وأبعد وأكبر من ذلك كله.

أجل وحين تقع الواقعه ويجد الابن سماءه متلبدة بالأحزان وأرضه مزروعة بالأشواك والأشجان فإنه يعيش آلاماً مبرحة، وهموماً عنيفة، وأحزاناً رهيبة تقاد هرزاً كيانه وتعصف بوجданه من الفراغ العاطفي المرعب والجدب الوجداني القاتل.

إن الجراح التي يكابدها الإنسان في الحياة كثيرة ولكن جرح الموت أعمق كل تلك الجراح وأكبرها أثراً وأعمقها تأثيراً في النفس.

وجرح فقدان الألم أشد كل تلك الجراح عمماً وألماً ووجعاً لأن حياة الإنسان بدون تلك العواطف الفياضة والحب المتدفق والحنان الدافئ لا تعني شيئاً.

ما أقسى وأشد أن يجد الأبناء كل تلك المعانى النبيلة التي عمقها قلب الألم الكبير تؤول إلى ظلمة القبر ووحشته، بين أковام من التراب والأحجار.

ليس من الهين على أي إنسان أن يختطف الموت أعز من لديه في هذه الدنيا وأحن إنسان عليه لأنه لا حنان في الدنيا كلها يعدل حنان الألم.

صحيح أننا نعلم علم اليقين أن الدنيا دار فناء لا دار خلود وبقاء وكل نفس فيها ذاتقة الموت (وعلى الناس أن يقبلوا الحياة كما هي.. ليقبلوها على أنها دار زوال وانتقال وليس دار بقاء واستمرار). يقبل النهار المشرق ثم يدب، ويخرج الليل المظلم وينعقد السحاب وتبكي السماء ثم تصحو وتصفو. والإنسان ضعيف أمام هذا التغير والتقلب لا يملك من أمره شيئاً<sup>(1)</sup> ... إنه يذرف الدموع لفارق الأحبة، ولكن ماذا تفيد الدموع وماذا يفيد الأسى والحزن؟

---

(1) الرثاء: ص86-87

وكل هذه الحقائق التي عرضناها عن الدنيا وفنائها والموت الذي لا بد منه، لا تتعدي ولا تتجاوز منطق العقل والحقائق الثابتة، ولكن الذي يجب أن لا ننساه أن الإنسان يتحكم فيه منطقاً العقل والعاطفة معاً فإنهم لا ينفكان عن بعضهما وتبقى العاطفة عميقية الجذور في الإنسان لها أثر بالغ في أعماله وكل ما يحيط به من الأمور والشؤون الشخصية وال العامة.

وعليه ومن هذا الجانب العاطفي المهم جداً والذي يترك أثره البالغ على معالم النفس الإنسانية، ويكون لفقدان الأحبة وفي مقدمتهم الأم الحبيبة وقع شديد وأثر بالغ في الإنسان، فتفيض نفسه آملاً وتتدفق روحه لوعة وحزناً فلا يستطيع عند ذاك أن يحبس الدموع الحارة والآهات المحرقة والحسرات الموجعة التي تتزاحم في حناته، وهي من أغزر الدموع الحارة وأوجع الآهات المحرقة التي تتفجر من أعماق نفوس الأبناء حين يفقدون أمهاتهم العزيزات الغاليات وبقدر غزارة الذكريات الحلوة التي يخزنها الأبناء في ذاكرتهم العميقة عن أمهاتهم تكون غزارة الدموع، وكلما تتجدد ملامح تلك الذكريات يتجدد سكب الدموع وتتدفقها.

والأبناء المفجوعون بأمهاتهم إذا كانوا يتلذذون موهبة الشعر فإننا نراهم حين يسكنون دموع الحزن واللوعة ويتجادذبون الآهات والحسرات ينظمون تلك الدموع قصائد حزينة وأبياتاً لتلك الأبيات؛ وهم حين يبكون فإنهم يلحنون نشيجهم وبكاءهم ألحانًا شجية على قيثارتهم الشعرية<sup>(١)</sup>. - كما أشرنا إلى ذلك الجانب العاطفي في البحث السابق حين كنت أتحدث عن مشاعر الآباء اتجاه اللوعة العميقة التي يتركها فقدان أولادهم وبصورة خاصة مشاعر الشعراء منهم .-

وأنني ومن أجل إثراء هذا البحث بمراثي الشعراء لأمهاتهم في الشعر العراقي الحديث، بحثت عن الشعر الذي سأجد فيه بغيتي - حسب طاقتني وجهدي - بين طيات الدواوين المطبوعة والمخطوطة والمجاميع الشعرية الخاصة التي يحتفظ بها أصحابها من

---

(١) ينظر - الرثاء: ص.5

الأدباء بالإضافة إلى ما هو منشور من ذلك على صفحات الصحف والمجلات فلفت انتباهي أني وجدت مراثي الأمهات الشعرية تشغل حيزاً كبيراً من مساحة الشعر المتعلق بالأمومة والبنوة، بالإضافة إلى ما يمتاز به ذلك الشعر من غزارة العاطفة وصدقها وعمقها وحرارتها، لأنه يقتبس تلك الغزارة والصدق والعمق والحرارة من عواطف الأم نفسها التي أدمت قلب الشاعر بفقدانها وضياعها منه.

ولنقم الآن بجولة بين أولئك الشعراء الذين صهرت الأحزان قلوبهم فسكبوا الدموع الغزار قصائد رثاء طافحة بالألم والحزن.. ولعل أول من يستوقفنا ويشدنا إليه هو الشاعر (محمد باقر الشبيبي) لما في ميراثه لأمه من اللوعة وصدق العاطفة، ولعلها تأتي من أروع ما قيل من رثاء الأبناء للأمهات، ويقول فيها:

وأين أنت.. وماذا في مصالك؟

تبكيك للملا الأعلى وتنعاك

ما بين باكيّة العينين أو باكك

ولا النسيم نسيم دون ريك

بوركت خالدةً فين اس جاياك

أن لا تقبل للتدريع كفاك

مناحلة حسرت فيه ايتاماك

أنا الحزين الذي هيئات ينساك

له أيّة أم قد فدقة دنائك

من ألهب الحزن في الدنيا واطفاك<sup>(1)</sup>

هذا سيرك لكن أين مثواك

مناحلة شقت الأجراء وانطلقت

ونكبّة تركتنا في محالفنا

فلا الصباح صباح عند روعته

أم الفضائل أخلاقاً وتربيّة

قبلت كفيك إجلالاً فروعني

يتيمة الدهر أشجى ما يروعنا

لست الحزين الذي تنسى فجيئته

إن فقدنا بك الدنيا مباركة

يا شحنة النور والأفاق مظلمة

(1) مختارات الغبان من ديوان الشعر العربي "مخظوط": 83/2 من قصيدة بعنوان "في ذمة الخلود" نظمت هذه القصيدة في أواخر الثلاثينيات.

وهذه مرثية أخرى للشاعر (رضا الموسوي الهندي) الذي عاش في مطلع القرن العشرين وطفحـت على

قصيدته مسحة من الأسلوب القديم إلا أنها تفيف باللوعة والحزن، كما سنرى فيها قوله:

مشفوعة بـ العفو والرضـوان	وعليك يا أمـاه أـلف تحـيـة
ونـواظـري وقفـ على الـهـلان	وقفـ على الزـفـراتـ فيـكـ جـوانـحي
لوـ كانـ تـعـرـفـكـ الـورـىـ عـرـفـانـي	ماـكـنـتـ منـفـرـداـ بـرـزـئـكـ فيـ الـورـىـ
قلـبـيـ الجـوـيـ وـيـذـلـهـ مـنـ أـجـفـانـي	هـيـهـاتـ لـأـقـضـيـ حـقـوقـكـ أـنـ يـذـبـ
وـغـ ذـوـتـيـ بـالـبـرـ والإـحـسانـ	أـنـيـ وـقـدـ رـبـيـتـ يـيـ وـكـفـلتـ يـيـ
مـنـ بـعـدـ شـكـرـ الـواـحـدـ الـدـيـانـ <sup>(١)</sup>	فـعـلـيـ يـاـ أـمـاهـ شـكـرـ وـاجـبـ

وهذه قصيدة أخرى للشيخ (محمد علي اليعقوبي) يمر على قبر والدته فتهيج به أحزانه وأشجانه وتتفجر

قريحته عن القصيدة الآتية التي ر بما كانت بأسلوبها نحو منحـى قصيدة السيد رضا الهنـدي ولكنـها مشبوبة  
العاطفة والمشاعـرـ كـماـ نـرـىـ فيـ قـولـهـ مـنـهـاـ:

ثـراكـ مـلـثـ <sup>(٢)</sup> الـحـيـاـ اـمـاطـرـ	لـكـ اللـهـ مـقـبـوـرـةـ لـاـ عـدـاـ
وـغـيرـ التـقـىـ وـالـحـجـىـ الـبـاهـرـ	فـمـاـ ضـمـ قـبـرـكـ غـيرـ الـعـفـافـ
إـذـ عـنـ ذـكـرـكـ فيـ خـاطـرـيـ	وـكـمـ خـطـرـتـ فيـ الـحـشاـ لـلـهـمـوـمـ
بـمـاعـزـ مـنـ نـشـبـ <sup>(٣)</sup> وـافـرـ	فـدـيـتـكـ لـوـكـانـ يـجـدـيـ الـفـداـ
أـرـىـ غـيرـ إـحـسانـكـ الـغـامـرـ	اسـرحـ طـرـفـيـ حـلـوـيـ فـلـاـ

(1) ديوان السيد رضا الهنـديـ: صـ116ـ.

(2) مـلـثـ: منهـرـ.

(3) النـشـبـ: الـمـالـ.

## وغير ذيت بـاللين الطـاهر

وَلَا مُرِبٌّ لِأَنْسٍ بِالْعَامِرِ

**نـضـحـتـ فـؤـادـ مـنـ نـاظـرـيـ**<sup>(1)</sup>

وهذا الشاعر (السيد محمد آل السيد سليمان) ينحو نفس المنحى لغةً وأسلوباً وعاطفةً فيقول:

وَقَبْيٍ بِبَحْرِ الْهَمِ يَطْفُ وَوِيرَسْبٍ

# حست غماماً قط ره يت صب

وَلِمْ بَدْرٌ مِنْ وَارِي الْخَيَاءِ الْمُطْنِبِ

**فأوضح سطن اللحد وهو مغرب**

دماً قانياً عن ذائب القلب بعـب

٢١ - دراصلی از خواجه علاء الدین

<sup>(2)</sup> ﻢـ ﺔـ ﻪـ ﻭـ ﻮـ ﻭـ ﻮـ

نَشَّاتُ لِسْدِيكِ بِحَجَرِ الْعَلَاءِ

فلا العيش بعدك ياما مستطاب

ولَا التَّحَاوُدُ لِلنَّاظِرِ

وهذا الشاعر (السيد محمد آل السيد سليمان)

حشائى على نار الجوی تتقلب

## وَدَعْيٍ مُتَّبِعًا أَرْسَلَهُ مِنْ مَحَاجِرِي

طفقة ودة لم تنظر العين شخصاً

لقد غالى الدناء الذميمة شخصها

و سالت دموعه، يوم ساروا بنعشا

فالاتجاه سهل في الشيء

وهذا الشاعر (صالح الحعفرى) تتفجر عاطفة الأمومة عنده عن رباعية يقول فيها:

**مُثِيلٌ هَفَةٌ لَاقِتٌ بَرَا**

وَشَمْتُ<sup>(3)</sup> الْلَّطَافَ فِي عَيْنِكَ فَحَرَا

تلقیٰ اک الٰہ بکل بر

## شمت العطف بين يديك عطراً

(1) ديوان محمد علي اليعقوبي (ط1، 1975): 152 عنوانها "من وراء القبر" ارتجلها حين اجتاز على قبر والدته في وادي السلام بعد دفنه بقليل وكانت وفاتها يوم الثلاثاء 26 ربى الأول سنة 1342هـ

<sup>(2)</sup> الباللitas: محمد عل، العقوب (ط 1955) : 168/1.

(3) شمت: ملحت.

وذهبت الحب والإيمان صرفاً  
وما أحلاه لما لبساً ودرا

سألت الله أن يوفيك أجراً<sup>(١)</sup>  
ولم أملأك جزاءك غير أني

وأحسب أن قصيدة (محمد صالح بحر العلوم) في رثائه لأمه سائرة على نفس الأسلوب ولكنها في الوقت

نفسه لا يخلو من عاطفة صادقة عميقه في قوله:

رسالة منك فيها مما يعافي  
عيني على الدرب ترجو أن توافيني  
فيمن يعود إليه على تكوفي  
وانسنت ادرى بقلبي في تعلقه  
مررت من بعد أيام جرعت بها  
وكان لي أمّل أن لا تزيد على  
وما نصّورت أن الموت يسبقني  
وان نعيك والآلام توصل له  
جربت أقسى الرزايا في الحياة، فما  
لو أن لي ألف روح لافتديت بها  
مارأى يوماً وهذا كل تخميني  
إليك، سبق شغوف فيك مفتون  
إلي- يقط مع أوصالي بسكنين  
وجدت رزءاً كرزء الأم يدميني  
أمساً بامانه كانت تخذيني<sup>(٢)</sup>

وتصل بنا المسيرة في درب تلك المرثيات إلى قصيدة الشاعر (إبراهيم الواثلي) التي يختلف أسلوبها

وأفكارها عن القصائد التي قبلها، فهي إلى شدة العاطفة وتوهجها أقرب، حيث يقول من قصيدة عنوانها "أمهات"

<sup>(٣)</sup> حاول فيها أن يجمع شتات ما بعثره الحزن والهم:

فرحت بعدهك أطوي الليل سهراناً  
أطبقت للموت - لا أطبقت - أجفاناً

(1) ديوان صالح الجغفري: ص444، "مع أمي".

(2) ديوان محمد صالح بحر العلوم (ط1، 105/2: 1969)، من قصيدة "كانت مثلاً لخير الأمهات" نظمت عام 1946م.

(3) فقد الشاعر أمه وقد توفيت في ريف البصرة في 27 شعبان 1363هـ-16 آب من سنة 1944م فنظم هذه القصيدة يبكيها وهو في بغداد.

من الأمومة ظل كان فيناتا  
 سواه بالعاطفات الغر ملأننا  
 وكان يغمزنا حباً حباً وتحنانا  
 في الذهن عالقة أم أيـن نجوـانـا؟  
 نكـاء تعـصف ألامـاً وأحزـانـاً  
 وهذه مقاطع من قصيدة لـ (حسن البيـاقـيـ) أراها في عاطفتها وصياغتها أقل توهجاً وإشعاعاً، حيث يقول

فيها متسائلاً عن أمه التي فقدـها:

أـماـهـ لمـ غـنـتـ شـفـاهـيـ لـحنـ "ـأـماـهـ"

ارـنوـ وـملـءـ القـلـبـ أـنـاتـ وأـواـهـ

\* \* \*

روحـيـ تـناـجيـ فيـ سـكـونـ اللـيلـ: "ـ رـبـاهـ"

أـينـ الـيـ فيـ ظـلـلـهاـ يـنسـىـ الأـسـ قـلـبـيـ

أـينـ الـيـ بـسـنـائـهاـ اـهـدـىـ إـلـىـ درـبـيـ<sup>(2)</sup>

ويطرق الحزن أبواب شاعر من شعراء كربلاء هو (رضا صادق النقيـبـ) فيختطف منه الموت أمه، ليـمـسيـ  
 بـعـدهـاـ العـيـشـ موـحـشـاـًـ.ـ حيثـ نـجـدـ فيـ مـرـثـيـتـهـ التـالـيـةـ قـلـةـ التـوـهـجـ العـاطـفـيـ وـالتـأـنـقـ فيـ الصـيـاغـةـ فيـ قـوـلـهـ:

أـماـهـ أـمـسـيـ العـيـشـ بـعـدـكـ موـحـشـاـًـ  
 فـؤـاديـ مجـروحـ وـعـيـنـيـ تـدـمـعـ

(1) ديوـانـ إـبرـاهـيمـ الـوـائـليـ: صـ139ـ.

(2) المـرأـةـ فـيـ الشـعـرـ الـحـدـيـثـ - المـفـرـجـيـ: صـ63ـ عنـوانـهاـ "ـ تـرـنيـمةـ حـزـنـ".ـ

حنانًاً بأطفال يصيرون جزءاً  
وأكبادهم جرى غدت تقطّع

أفيقي من الليل الطويل لتنظيري  
من اليتم أطفالاً غدت تتوجع<sup>(1)</sup>

ونلمس من خلال أبيات الشاعر تلك، لهجة العتاب المريحة ولكن هذه المرة ليس على القدر أو الموت،

بل يعاتب أمه التي خلفت بعدها أطفالاً يتامى ليس لهم من يعيدهم، ولا من يعينهم على أحزانهم وعلى قسوة  
الحياة.

وكذلك الشاعر (عباس أبو الطوس) الذي يقول في رثائه لأمه بيتهن نظمهما عام (1953م):

خطفت أمي المنـون فـسيـلي  
يا دـمـوعـي وـزمـجـري يا كـرـوب  
كيف تـرـهـوـلـيـ الحـيـاةـ وـتـحـلـوـ  
والـأـسـيـ مـلـءـ أـضـلـعـيـ وـالـلـهـيـبـ؟<sup>(2)</sup>

ونعود إلى شاعر من شعراء بغداد هو (منير الذويب)<sup>(3)</sup> رثى أمه بقصيدة طويلة تسير على نفس النهج،

يقول فيها:

أضـعـتـ بـموـتـكـ حـلـوـ الحـنـانـ  
وطـيـبـ الرـجـاءـ وـصـفـوـ الـحـيـاةـ  
وأـصـبـعـ عـنـدـيـ النـعـيمـ الـحـيـبـ  
أـضـعـتـكـ حـلـوـ الـحـنـانـ  
فـوـاحـسـرـةـ حـلـماًـ مـنـ سـبـاتـ  
فـقـدـتـكـ يـاـ (أمـ)ـ يـاـ نـفـخـةـ  
مـنـ طـيـبـ يـاـ سـلـوـلـةـ لـلـحـزـينـ  
وـيـاـ زـهـرـةـ هـامـ فـيـ حـبـهـاـ  
زـمانـاًـ طـوـيـلـاًـ (إـلـهـ الـمـنـونـ)  
فـيـاـ زـهـرـةـ ضـجـ صـدـريـ بـهـاـ  
وـيـاـ آـهـةـ اـطـلـعـتـ لـلـحـنـينـ

(1) حصلت على نماذج شعرية لشعراء كربلاء عن طريق مقابلة شخصية مع الأديب الشاعر (سلمان هادي آل طعمه) وكان قد جمع نصوصاً عديدة عن الحقبة التي أدرستها من مجلات وجرائد كربلاء.

(2) نفسه.

(3) منير الذويب - ولد في بغداد 1922، لقب بشاعر الجيش والابتسامة. مقابلة شخصية.

فإذا كان يجدهي اليتيم الانين؟! فجعت بحبـي ولم يجدـني  
 يزيد لظاهـا تـواـلـي الـسـنـين فـذـكـرـاكـ عنـدـيـ لهـاـ وـقـدةـ  
 على حـلـمـ كـامـنـ فيـ الشـعـورـ اـضـعـتكـ أـمـيـ وـاحـ سـرـتـاهـ  
 منـ الأـرـضـ يـاـ ضـيفـ دـنـيـاـ القـبـورـ فيـ اـحـلـماـ - يـانـزـيلـ الـوـهـادـ  
 إلى عـبـرـةـ مـرـرـةـ فيـ الصـدـورـ تـحـولـتـ مـنـ بـسـمـاتـ الـحـيـاةـ  
 انـاخـ عـلـيـهـ اـظـلـامـ الـقـبـورـ<sup>(۱)</sup> إـلـىـ وـحـشـةـ فيـ سـهـولـ الـحـيـاةـ  
 والـشـعـرـ الـحـدـيـثـ الـمـسـمـيـ بـالـشـعـرـ الـحـرـ لمـ يـفـتـهـ أـنـ يـشـارـكـ فيـ ذـلـكـ اللـونـ مـنـ الـشـعـرـ، فـهـذـاـ الشـاعـرـ (بـدرـ  
 شـاـكـرـ السـيـابـ) يـشـارـكـ فيـ قـصـيـدةـ رـثـاءـ، وـلـكـ مـشـارـكـتـهـ فـيـمـاـ أـرـىـ مـلـمـ تـصـلـ بـهـ إـلـىـ وـهـجـ قـصـيـدةـ (مـحمدـ باـقـرـ  
 الشـبـيـبيـ) وـغـيرـهـاـ فيـ تـأـلـقـهـاـ العـاطـفـيـ، حـيـثـ يـقـولـ:

أمـاهـ لـيـتـكـ لـمـ تـغـيـبـيـ خـلـفـ سـوـرـ مـنـ حـجـارـ  
 لـاـ بـابـ فـيـهـ لـكـ أـدـقـ وـلـاـ نـوـافـذـ فـيـ الجـدـارـ  
 كـيـفـ اـنـطـلـقـتـ عـلـىـ طـرـيقـ لـاـ يـعـودـ السـائـرـوـنـ...

منـ ظـلـمـةـ صـفـراءـ فـيـهـ كـأـنـهـ غـسـقـ الـبـحـارـ<sup>(۲)</sup>

وهـذـهـ قـصـيـدةـ لـلـشـاعـرـ (عـبدـ الـوـهـابـ الـبـيـانـ) وـبـالـأـسـلـوبـ نـفـسـهـ فـيـقـولـ فـيـ ذـلـكـ:

"أـينـ مـامـاـ؟ـ"ـ وـأـطـرـقـ الـمـهـدـ يـبـكيـ  
 وـالـازـاهـيرـ وـالـنـجـومـ عـلـيـهـ  
 وـسـجـتـ صـيـحةـ السـمـاءـ وـطـنـتـ

(1) ديوان عبوس وابتسم؛ منير الذويب، بغداد، 1961؛ ص 56 "أمي الحبيبة" نظمها عام (1948).. مقابلة شخصية.

(2) السياب، دراسة حياته وشعره: ص 394-396.

وأما الشاعر (صفاء الحيدري) فهو يقول قصيدة طويلة في رثاء أمه، اقتطفت منها الأبيات التالية والتي

تسير كلها على هذا النسق:

ها هنا، فوق ترعة الامس كانت لي يا أم، دوحة جراء  
مسها حبك المطهر، فاستلقت، باكمامها رؤى خضراء  
وسقاها الحنان، من ثديك العف كؤوسا، خمورها انداء  
هي دنيا، سماؤها، روحك السمح، وآفاقها، هوى ورجاء  
أينها؟ لم تعد غير نجوى، ذكريات تجرهن السنون  
ومراث من الزهور وأكيليل دموع، على الثرى، وغضون<sup>(٢)</sup>

وهذا الشاعر (عطاء الأعظمي)<sup>(٣)</sup> يرثي أمه وقد سعر الحزن فؤاده فهطلت دموعه الغزار لتحول إلى

ديوان شعر حزين يكتب في مقدمته أهداء إلى روح أمه الطاهرة فيصوغ معاني ذلك الإهداء شعرا، يقول فيه:

كم رمت ان انظم فيك الرثاء  
وابعث النجوى حنانا إليك  
في صمت الخاطر حزناً عليك  
لكن ذراك تثير البكاء

(1) ديوان ملائكة وشياطين: عبد الوهاب البياتي، مج 1: ص 126 قصيدة "نم بقلبي".

(2) المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر (صفاء الحيدري): ص 354 من قصيدة "هي دنيا" وكتب الشاعر في مقدمة القصيدة اهداء يقول فيه "أيتها النائمة تحت الأطباق: إن كنت تسمعين فاسمعي هذه اللوعة الخرساء، تتفجر لأول مرة من قلب لم تعد فيه قطرة أمل، إبني ألقى اليوم جزاء تعذيبك، أيتها الأرملة الخرساء. إلى أمي فاطمة الشيخ إبراهيم الحيدري".

(3) عطاء الأعظمي - ولد في الموصل عام 1953، له ديوان (نور من الشرق). ينظر- معجم المؤلفين العراقيين، ص 397.

حـيـرـة وجـدـان كـسـيرـ كـيـب  
 دـمـعـاً عـلـى القرـطـاس بـادـي اللـهـيب  
 وـوـسـدـ الطـهـر عـلـى سـفـحـه  
 وـمـن دـوـالـيـه وـمـن نـفـحـه  
 بـلـ دون ذـاكـ الفـضـل " ذـاكـ الجـمـيل  
 فـهـلـ إـلـى عـفـوكـ يـيـ من سـبـيلـ؟<sup>(١)</sup>

وـقـةـ سـكـ الـأـقـلامـ فـي رـاحـتـي  
 اـخـطـ لـكـنـ مـنـ لـظـى عـبـرـي  
 أـنـ ثـرـىـ قـدـ نـامـ فـيـهـ الحـنـانـ  
 أـزـكـيـ مـنـ الـكـافـورـ وـسـطـ الـجـنـانـ  
 يـاـ أـمـ هـذـاـلـكـ بـعـضـ الـجـزـاءـ

وـفـيـ هـذـاـ الـبـابـ، بـابـ رـثـاءـ الـأـبـنـاءـ لـلـأـمـهـاتـ نـجـدـ مـحـلـاـ لـلـشـوـاعـرـ منـ النـسـاءـ يـرـثـيـنـ أـمـهـاتـهـنـ وـذـلـكـ بـسـبـبـ

عـمـيقـ مـنـ عـقـمـ التـأـثـرـ عـلـىـ فـقـدـ الـأـمـ، فـهـذـهـ الشـاعـرـةـ (ناـزـكـ الـمـلـائـكـةـ) تـقـولـ مـنـ قـصـيـدـةـ "ـ الزـهـرـةـ السـوـدـاءـ":

كنـزـنـاـ الغـالـيـ تـرـكـنـاهـ هـنـاـ

لحـظـاتـ ثـمـ أـسـرـعـنـاـ إـلـيـهـ

وـالـتـمـسـنـاهـ وـرـاءـ الـمـنـحـنـيـ

وعـلـىـ التـلـ فـلـمـ نـعـثـرـ عـلـيـهـ...<sup>(٢)</sup>

(1) ديوان نور من الشرق: عطا الأعظمي، الموصى، 1953: ص 1-2 "إلى أمي".

(2) قراراة الموجة: نازك الملائكة، مج. 2، ط. 1، 1971: ص 320-311 والشاعرة (نازك) قد اختلطت لنفسها طريقاً جديداً في قصيدة الرثاء حتى صارت معلماً بارزاً في الحركة الشعرية المعاصرة، حيث رثت أمها بثلاث مراتي الأولى منها (أغنية الحزن) والثالثة (مقدم الحزن)، وقارئ تلك المراتي يدرك أن المراتي غائبة عن القصيدة لكن يستدل عليها من المراارة التي كانت تقطر على الأبيات ونبرة الحزن التي غلفتها، وبذلك نلاحظ التغير في قصيدة الرثاء التقليدية، وذلك تبعاً لتغير ظروف المجتمع. ينظر في ذلك:

((الشعر النسووي في العراق مضامينه وخصائصه الفنية - من الحرب العالمية الثانية حتى ثورة قوز 1958)) رسالة ماجستير:

علي محمد حسين الخالدي، كلية الآداب، جامعة بغداد: ص 92-112.

وهذه شاعرة أخرى هي (وديعة الشبيبي) تخاطب أمها الراحلة فتقول مناجية طيف أمها الحاني

بقصيدة عنوانها " يا طيفها " :

يَا طِيفَ امْمِي حَانِيَاً	قَدْ شَعَّ فِي دُنْيَا وَجَوْدِي
يَا طِيفَ امْمِي غَالِيَاً	خَلَدْتَ كَالْأَبْدَ الْبَرِيد
نَادَيْتَنِي وَهُمْ سَتَّ فِي	سَمِعَيْ بِأَسْرَارِ الْخَالِد
وَمَلَأْتَ رُوحِي بِسَالْمَانِي	بِالْحُبِّ بِالْأَمْلَ الْسَّعِيد
كَنْ أَنْتَ وَحْدَكَ مَسْعِدِي	فِي عَالَمِي الرَّحِيبِ الْمَدِيد <sup>(١)</sup>

وهذه شاعرة ثالثة من الشواعر، اللواتي عثرت لهن على رثاء لأمهاتهن هي (صبرية الحسو) فوجدتها

تقول من قصيدة تبكي بها أمها، وتساءل كيف رحلت عنها، فتقول:

أَمَاهُ كَيْفَ تَرَكْتَنِي وَحْدِي بِبِيَادِ الْحَيَاةِ  
وَحْدِي أَهِيمُ بِلَا رَفِيقٍ كَيْ اسِيرُ عَلَى خَطَاهِ  
أَمَاهُ كَيْفَ رَحَلْتَ وَالْقَلْبُ الْحَزِينُ إِلَيْكَ ظَامِي  
أَبْدًا يَتَوَقَّ إِلَى الْحَنَانِ فَلَا يَرِي غَيْرَ الْأَوَامِ  
أَمَاهُ لَوْرَدُ الْبَكَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ الْذَاهِبِينِ  
لَأَذْبَتْ رُوحِي بِالْبَكَاءِ وَبِالتَّوْجُعِ وَالْأَنِينِ  
ظَمَائِي أَحْنَ، إِلَيْكَ دَوْمًا فِي سَكُوتِي فِي كَلَامِي  
وَبِيَقْظَتِي طِيفَ الْأَمْوَمَةِ لَا يَفَارِقْنِي أَمَامِي<sup>(٢)</sup>

(1) ديوان خواطر ملونه: وديعة جعفر الشبيبي (ط1، 1990): ص.77.

(2) ديوان قيد ولحن: صبرية عبد الرزاق الحسو: ص47، من قصيدة " أمي ".

ولو أردت أن أجمع ما عثرت عليه من القصائد الحزينة في رثاء الأمهات والآباء معاً لاجتمع لدى ديوان

شعر رائع يطفح بالحزن والمرارة.

ولكني ومن أجل أن أبقى محافظة على الموضوعية والمنهجية، بالإضافة إلى حجم الرسالة الذي لا بد من

مراقباته، اكتفيت بعرض نماذج من مراثي الآباء لأمهاتهم تاركة مراثي الآباء لآبائهم إلى بحث آخر أهمنى أن

يوفقني الله تعالى لإنجازه.

ومراقبة لاعتبارات الفنية والأدبية والذوقية التي ألمعنا في ثنايا هذه الرسالة، أرى لا بد لي من الإشارة إلى

بعض ما جاشت به قرائح أولئك الشعراء في رثاء آبائهم في النصف الأول من القرن العشرين الذي هو مدار هذا

البحث، فكانت قصائدهم قمة في شعر الرثاء؛ لعل الدرة اليتيمة بين تلك الدرر البدعة هي قصيدة الشاعر

(محمد باقر الشبيبي) التي يرثي بها أباه وعنوانها "اليتيمة" والتي مطلعها:

فديناك هل أنت الفقيد أم الذكر

أذكرك أم هذى القيامة والحر

إلى أن يقول فيها وما أروع قوله:

يلذله من فيك أن ينشد الشعر

يقولون أبنـه بـشعرـك إـنـه

برغم القـواـفي إـنـهـاـ أـدـمـعـ حـمـرـ

سـأـنـشـدـهـ مـنـ مـقـلـتـيـ قـصـيدـةـ

نـشـيـداـ وـأـحـشـائـيـ إـذـاـ سـكـبـتـ جـمـرـ

وـأـسـكـبـ أحـشـائـيـ عـلـيـهـ مـنـ الأـسـيـ

بـقـيـةـ عـهـ دـكـلـ أـيـامـهـ فـخـرـ

رـوـيـدـكـمـ يـاـ حـامـلـيـهـ إـنـهـ

فـفـيـ قـلـبـهـ مـنـ كـلـ نـاحـيـةـ عـصـرـ

تـلاـقـتـ بـهـ كـلـ الـعـصـورـ مـدـلـةـ

ويقول فيها:

وقفت بهذا الحفل ابكيك فلتوى  
اعرني بياناً يخلب اللب ساحراً  
هلم اي حي الوفود تزاحت  
إذا انشدوا الشعر البليخ تذكروا  
اي الحفل إلا أن يراك فراعه  
علي سبيل النظم وامتنع النثر  
وإلا فإني لا بيلان ولا سحر  
على الحفل واكتض الحمى ودوى القطر  
بانك موحيه فيمتنع الشعر  
جفاء - معاذ الله - بل راعه الذعر<sup>(١)</sup>

---

(1) الشاعر الثائر: الشيخ محمد باقر الشيببي: تأليف عبد الرزاق الهلالي، ط١، بغداد، 1965: ص123، وينظر- المختارات من الشعر العربي الحديث (مخطوط): محمد جواد الغبان: 42/1

## الخلاصة

- استهلت التمهيد بتعريف الأئمة والبنوة من وجهة نظر علم النفس والتربية والاجتماع، وأشارت فيه إلى مكانة الأم وشعر الأئمة والبنوة في العصر الجاهلي وعصر ما قبل العصر الحديث.
- وإذا كانت المظاهر الاجتماعية في العصر الجاهلي تدل على أن المرأة تابعة للرجل، فإن شخصيات نسائية كثيرة حفل بهن تاريخ الشعر الجاهلي.
  - وكان شعر الأئمة والبنوة في ذلك العصر لا يتعدي التعبير عن العواطف ومجيد الصفات التي تفرضها روح ذلك العصر.
  - وحين جاء الإسلام كرم الأبوين معاً وخص الأئمة المتمثلة بالمرأة بتكرييم شمل كل مراحل حياتها، فمنع وأدّها وأولى قضية زواجها كل اهتمامه، فكفل لها وحدها حق القبول أو الرفض، ومن مواقف الإسلام الحاسمة تجاه المرأة، عدم التفريق بين الأولاد من الذكور أو الإناث.
  - وطبع الإسلام شعر الأئمة والبنوة بطابعه الخاص، فمثلاً أشعار ترقيص الأطفال نجدتها اكتسبت حلقة جديدة تتناسب مع روح الإسم وأهدافه. كما بذل الإسلام جهوداً كبيرة في تهذيب العواطف الإنسانية فنجد الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وسلم) يبكي على ولده الفقيد "إبراهيم" ويحتسبه عند الله ولا يقول ما يسخط الله في عنفوان حزنه، فسن بذلك قانون العواطف الإنسانية المذهبة.
  - ووجدنا العصر الأموي عصر ترف وحضارة، أدى بكثير من النساء إلى دراسة العلوم الدينية والآداب، ومن أبرز ظواهر ذلك العصر كثرة الجواري والقيان، مما أدى إلى المنافسة الشديدة بينهن وبين الحرائر من الأمهات.

ولم يكن شعر الأمومة والبنوة في العصر الأموي ليختلف في أسلوبه وأغراضه عن الشعر في العصر الإسلامي، لأن العصر الأموي قريب من عصر صدر الإسلام، بل هو جزء منه وامتداداً له.

• وفي العصر العباسي ازدهرت الحياة الفكرية والاجتماعية وعم الرخاء والبذخ واتسع انتشار الجواري، فلا يكاد يخلو بيت من جارية، فأصبحت تلك الجواري سبباً مهماً من أسباب التنافس بينهن وبين гарائر، ولا يخفى ما في ذلك من انعكاس على حياة الأسرة.

وقد وجدت الموقف في العصر العباسي من البنات مضطرباً، بين محب وكاره لهن، وأسباب ذلك مرتبطة بمستوى التفكير الاجتماعي للأسرة. ولا يخفى أن الموقف من كره البنات تمثل فيه بقايا من الآثار الجاهلية. وأثبتنا من الشواهد الشعرية ما يدل على ذينك الموقفين المتبالين. ولفت نظري أثناء تصفحدي ديوان الصنوبرى - أنه رثى ابنته باثنى عشرة قصيدة تنبض بالعاطفة واللوعة، ولم أجده في المصادر من رثى ابنته بهذا العدد من القصائد.

والاحظت أن صورة الأم في أدب العصر العباسي مختلفة السمات والملامح تبعاً لاختلاف الظروف وتبالين النظرة إليها في أغراض الشعر المختلفة في ذلك العصر.

ولفت نظري ظاهرة أخرى في ذلك العصر أن الأم كانت أحياناً ضحية للخصومات بين الشعراة فيجعلون منها مجالاً للشتم والهجاء.

• بعد البحث المضني والتقصي الشديد في دواوين قرون الفترة المظلمة، لم أجده أشعاراً تخص الأمومة والبنوة لا من قريب ولا من بعيد.. ومما يزيد من ثبتي أن موضوعي يعبر عن أسمى عاطفة إنسانية، هذه العاطفة لم تجد لها مكان في دواوين شعراة تلك الفترة التي كان شعرها يتصرف بالتعقييد والتتكلف والجمود.

• إن شعر الأمومة والبنوة الذي تحتويه هذه الرسالة تتجلى فيه العواطف المتوجهة والمشاعر الصادقة، كما تتجلى في أسلوبه العفوية والسهولة والرقابة والعذوبة،

وبسبب ذلك فيها أرى أنه يعبر أنيب المشاعر الوجданية والعاطفية في الوجود الإنساني.

• وإن شعر الأمومة والبنوة في بحثنا هذا كان ميدانه الشعر العمودي والشعر الحديث معاً، فكلا شعراً

المدرستين عبروا بأساليبهم الشعرية عن أفكارهم تجاه الموضوع وإن كان الشعر العمودي أكثر وأوسع

تناولاً لتلك المواضيع.

• قبل تناولي فصول الكتاب، قدمت مدخلاً تساءلت فيه.. هل بقي شعر الأمومة والبنوة على ما هو

عليه في العصور السابقة؟، وقد تكفل بحثي من خلال فصوله الثلاثة الإجابة عن ذلك التساؤل، حيث

ظهر لي جلياً أن أسلوب الشعرا في العصر الحديث يختلف اختلافاً جوهرياً عن أساليب العصور

القديمة، بالإضافة إلى اختلاف البواعث والدواعي المحفزة لقول الشعر.

• كل فصل من فصول هذه الرسالة يتكون من عدة بحوث، ربما يكون شاركتني آخرون، ولكن بحوثي في

هذه الرسالة متاز بغزارة المادة التي أوصلتنى إلى نتائج جديدة تتطوّى على أمور مفيدة.

• اعتاد كثير من كتاب رسائل الماجستير والدكتوراه كما تبين لي ذلك من خلال تبعي، أن جميع الأشعار

التي تتعلق ببحوث وفصول رسائلهم لا يذكرون شيئاً منها بل يحيلون إليه في دواوين الشعراء أو

الصحف والمجلات المنشورة فيها. ولكنني خرجت على هذا التقليد فثبتت مختارات من كل قصيدة

تعلق بكل موضوع، ليعيش بكل موضوع، ليعيش القارئ الأجواء الشعرية كاملة ويرى بأم عينيه أنها

بالشكل الذي أشرت إليه.

• من ثنياً بحثي رأيت أن الأفكار العصرية الجديدة كان لها أثرها البالغ في بواعث الشعر ودعاعيه

وحتى الأغراض التي تناولها الشعر القديم اختلفت في العصر الحديث أساليبها وأهدافها، فالفاخر مثلاً

أصبحت مجالاته فخرًا بالوطن أو بالانتماء السياسي ونحو ذلك بعد أن كان فخرًا بالقبيلة، كما وجدت

أن بعض الأغراض الشعرية انحسرت انحساراً كبيراً كالهجاء.

- كما ظهرت لي في ثانياً البحث أغراض جديدة في شعر الأمومة والبنوة تناولها العصر الحديث، فرضتها طبيعة العصر ومستويات فكره، فجاء ذلك الشعر مشبعاً بالروح الوطنية ومتأثراً بالتطورات الاجتماعية.
- وبين لي من خلال البحث أن شعراً العراق المجددين في العصر الحديث تناولوا كثيراً من المشاكل الاجتماعية المتعلقة بالأمومة والبنوة بأفكار كثيراً ما يختلف بعضها عن بعض حسب تفكير وأراء الشاعر الذي يعرضها.
- وما لفت انتباهي وقوف الشعراء المعاصرين عند المشاكل الاجتماعية المعاصرة، مما لم يتعرض له غيرهم من الشعراء في العصور السابقة، فعالجو تلك المشاكل الاجتماعية الكثيرة كالزواج والطلاق والتزمل بقصائد أغنت الشعر المعاصر بما يعود على المجتمع بالنفع الكبير.
- ولفت انتباهي أيضاً أن النساء الشواعر عالجن المشاكل ذاتها كما عالجها إخوانهن من الشعراء.
- وظاهرة أخرى من ظواهر شعر الأمومة والبنوة في العصر الحديث أن الشعراء في العصور القديمة كانوا يضيقون كل الضيق بولادة البنات ويتوجهون بولادة الذكور، لكن شعراً العصر الحديث يتقبلون ولدهم الجديد بكل الفرح والرضا، سواء كان ذكراً أو أنثى.
- ومن الظواهر الجديدة في هذا الشعر، وقوف الشعراء المجددين بصرامة أمام ظاهرة الزواج بالإكراه وبيع المرأة كالسلعة الرخيصة، موقفاً حازماً يتناقض مع موقف الشعراء في العصور السابقة.
- خلال مقارنتي في بحوث الفصل الثاني بين الأمهات المتعلمات والجاهلات وخلال حديثي عن الحجاب، فرض نفسه علي الحديث عن المعارك الأدبية التي دارت في هذا القرن حول حجاب المرأة وتعليمها مما لم أجده في أي بحث معاصر مشابه.

- تميزت فترة دراستي لشعر الأمومة والبنوة بنزول المرأة العصرية إلى ميادين العمل، فبدا لي في ثنايا البحث انقسام الآراء حول ذلك فبين متطرف منادٍ بمشاركة الرجل في كل شيء من الأعمال - كالزلهاوي - وبين داعٍ إلى قيامها بالأعمال التي تناسب تركيبها الطبيعي والنفسي والجسدي، وبين محافظ يدعو إلى اكتفائها بالعمل المؤهلة له في إدارة البيت وتربية الأولاد؛ فأفرز ذلك الاختلاف من القصائد التي أثرت الشعر الحديث.
- وشاركت الشاعر من النساء في تلك الدعوات وعالجت بعضهن نزول المرأة للعمل وتركها رعاية الأبناء بيد الخادمات الجاهلات - كالشاعرة فطينة النائب -.
- ومن بين بحوثي التي اعزز بها في هذه الرسالة، البحث الذي يتعلق بوقوع المرأة في الخطيئة والآثار المترببة عليه، حيث تهيأ لي عرضه وما قيل حوله من الشعر الحديث بشكل لا أحسب أن أحداً قبلني قدّمه بالصورة التي قدمته فيها.
- إذا كانت وصايا الآباء الشعراء لأبنائهم موجودة في كل عصور الأدب العربي، فإنني لاحظت أن تلك الوصايا في العصر الحديثأخذت طابعاً جديداً ذا معالم منتزعة من روح العصر كالوصايا ذات المضامين الوطنية والاجتماعية مما يختلف كل الاختلاف عن مضامين الوصايا في عصور الأدب السابقة.
- إن أشعار الترقيص التي ناغى بها الآباء والأمهات أولادهم كانت موجهة للذكور والإثاث من الأولاد، وليس للذكور وحدتهم ورأيت بأن تسميتها بـ(أشعار المناغاة) بدل (أشعار الترقيص) هي تسمية جديدة أكثر انطباعاً على مضامين ذلك الشعر العاطفي.
- في شعر الأمومة والبنوة المعاصر مضامين جديدة أوحتها روح العصر، ومن بين تلك المضامين ما أوحاه التغرب للشعراء من الآباء، من قصائد مشحونة بالعواطف الملتهبة والمتدفقة شوقاً لأمهاتهم.
- ومن المضامين الجديدة التي أوحها العصر، الاحتفال بعيد المرأة العالمي، والاحتفال باليوم المخصص لعيد الأم وقد شارك في ذلك الشعراء والشاعر معًا.

•

وَمَا كَانَ حَرِيًّا بِلْفَتِ اِنْتَباهِي أَنَّنِي أَقْيَتُ الشِّعْرَ الَّذِي رَثَى بِهِ الْوَالِدَانِ أَبْنَائِهِمْ فِي الْعَصْرِ  
 الْحَدِيثُ كُلُّهُ مِنَ الْآبَاءِ فَقَطْ دُونَ الْأَمْهَاتِ، وَرَغْمَ تَبَعِي الْوَاسِعَ فِي مَرَاجِعِ الشِّعْرِ الْحَدِيثِ لَمْ أَجِدْ  
 قَصِيدَةً وَاحِدَةً لَأَمِّ مِنَ الْأَمْهَاتِ الشَّوَاعِرِ، وَأَوْصَلْنِي تَبَعِي إِلَى أَنْ شُعُراءَ هَذَا الْبَحْثِ عَلَى امْتِدَادِ  
 فَتْرَتِهِ الْزَّمْنِيَّةِ الَّتِي تَبْلُغُ ثَمَانِيَّةَ وَخَمْسِينَ عَامًا لَمْ يَتَوفَّرْ فِيهَا مِنَ الشَّاعِراتِ سُوَى سَبْعَ فَقَطْ،  
 يَقَابِلُهُنَّ خَمْسِينَ شَاعِرًا مِنَ الرِّجَالِ، وَبِالإِضَافَةِ إِلَى قَلَّةِ عَدْدِ تَلْكَ الشَّوَاعِرِ فَقَدْ شَاءَتِ الْأَقْدَارُ أَنْ لَا  
 تَفْجُعَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ بِمَوْتِ فَلَذَّةِ كَبْدِهَا، فَلِيُسَّ منَ الْمُسْتَغْرِبِ إِذْنَ أَنَّنَا لَمْ نَجِدْ قَصِيدَةً مِنْ أَمِّ فِي  
 رَثَاءِ وَلَدَهَا فِي الشِّعْرِ الْمُعَاصِرِ...  
 •

•

وَمَا يَلْؤُنِي اعْتِزاً وَفَخْرًا أَنَّهُ مِنْ خَلَالِ الشِّعْرِ الَّذِي قَمْتُ بِجَمْعِهِ لِيَكُونَ مَادَّةً رِسَالَتِي تَجْمِعُ  
 لَدِي مِنْ ذَلِكَ دِيوَانَ شِعْرٍ كَامِلٍ لِسَبْعَةِ وَخَمْسِينَ شَاعِرًا وَشَاعِرَةً، هُوَ دِيوَانُ شِعْرِ الْأَمْوَمَةِ وَالْبَنْوَةِ  
 فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، يُمْكِنُهُ أَنْ يُضافَ إِلَى الدِّوَاوِينِ الْأُخْرَى الَّتِي تَضُمُّ فَنَّاً مِنْ فَنُونِ الشِّعْرِ  
 الْحَدِيثِ.  
 •

## المصادر

- الأدب العصري في العراق العربي: رفائيل بطي، قسم المنظوم ج 1، ج 2، المكتبة العربية، بغداد، 1923، ط 1 - والمطبعة السلفية، مصر، القاهرة، 1923.
- أدب المرأة العراقية في القرن العشرين: بدوي طبانة، ط 2، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1974م.
- أساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث: منير بكر التكريتي، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1976.
- الإسلام وتنظيم الأسرة - ثبت كامل لأبحاث ومناقashات المؤتمر الإسلامي (الرباط)، الدار المتحدة للنشر، مطبعة الحرية، بيروت، 1971.
- الإسلام والحضارة العربية: محمد كرد علي، ط 2، القاهرة، 1950م.
- الإسلام والمرأة: سعيد الأفغاني، ط 3، دار الفكر، 1970م.
- أشعار الترقیص عند العرب: سعيد الديوه جي، طبع وزارة الإعلام، بغداد، طبع بيروت، 1967م.
- الأغانی، لأبي فرج للأصفهانی، طبعة دار الثقافة، بيروت، ط 5، 1981.
- الأمالي، لأبي علي القالی، طبعة دار الكتب، د. ت.
- الأمهات: د. أسعد احمد علي، بيروت، دار الرائد العربي، ط 2، 1981.
- الأمومة والطفولة في الإسلام: عبد الغني احمد ناجي، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، د.ت.
- الأمومة والعناية بالطفل: عامرة عبد الرزاق، ط 1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967.
- البلديات: محمد علي اليعقوبي، عميد الرابطة الأدبية في النجف، المطبعة العلمية في النجف، 1955م.
- بلاغات النساء، لأبي الفضل احمد بن طاهر الملقب بطيفور (ت 280هـ) مدرسة والدة عباس (الأول) القاهرة، 1980م.

- البيان والتبيين: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٥، الناشر مكتبة الخانجي، القاهرة، 1985م.
- البيت والمدرسة: محمود الجومرد، مطبعة الهدف، الموصى، 1960م.
- تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ، طبع دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، 1981م.
- تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ط٢، 1978م.
- تاريخ الشعر في العصر العباسي: د. يوسف خليف، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1981م.
- تحرير المرأة: قاسم أمين، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1970.
- تحرير المرأة العراقية بين شاعرين - الرصافي والزهاوي: خضر العباسي (صاحب جريدة بغداد)، منشورات دار المستنصرية، د.ت.
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى لأبي العلي محمد بن عبد الرحمن المباركى، مج٧، دار الفكر، ط٣، 1399هـ-1979م).
- تطور الفكرة والأسلوب في الأدب العراقي في القرنين التاسع عشر والعشرين: د.دواود سلوم، مطبعة المعارف، بغداد، 1959.
- تطور المرأة عبر التاريخ: باسمة كيال، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1981م.
- الحجاب والسفور: جعفر محمد النقدي، مطبعة الآداب، بغداد، 1348هـ
- الحماسة البصرية: البصري، طبعة بيروت، عالم الكتب، 1964م.
- خيري الهنداوي - حياته وشعره: د. يوسف عز الدين، بغداد، 1974م.
- الدر المنشور في طبقات ربات الخدور: تأليف، زينب بنت يوسف فواز العاملية، ط١، بولاق، مصر، 1312هـ
- ديوان أباريق مهشمة: عبد الوهاب البياتي، ضمن المجموعة الشعرية الكاملة، مج١، بيروت، دار العودة.

- ديوان إبراهيم الوائلي، بغداد، 1981م.
- ديوان ابن الرومي - تحقيق: د. حسين نصار، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مطبعة دار الكتب، 1974.
- ديوان أبو الحسن التهامي (ت416هـ) شرح وتحقيق: د. علي نجيب عطوي، نشر مكتبة الهلال، بيروت، 1986.
- ديوان أبي فراس الحمداني - رواية ابن خالوية، طبع دار صادر، بيروت، د.ت.
- ديوان أحلام الدوالي: حافظ جميل، بغداد، 1972م.
- ديوان احلام الفجر: عبد الصاحب الموسوي، مطبعة المعارف، بغداد، 1951م.
- ديوان أزاهير وأعاصير: كاظم الخلف، بغداد، 1984م.
- ديوان أغاني الشبيبة: زهير القيسى، بغداد، 1981م.
- ديوان أنسودة المطر: بدر شاكر السياب، بيروت، دار مجلة شعر، 1960م.
- ديوان البحترى: تحقيق وشرح - حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، مصر، ط2، 1972م.
- ديوان بشار بن برد - جمع وتحقيق: محمد طاهر بن عاشور، نشر الشركة التونسية، 1967م.
- ديوان البياتي: عبد الوهاب البياتي، ط بيروت، دار العودة، مج.1.
- ديوان جرير - بشرح محمد بن حبيب: تحقيق د. نعман محمد أمين طه، طبع دار المعارف، مصر، مج<sup>2</sup>، 1971م.
- ديوان الجواهري، جمع وتحقيق: د. إبراهيم السامرائي، د. مهدي المخزومي، د. علي جواد الطاهر، رشيد بكتاش، ط4، بغداد، 1973م.
- ديوان خطوات في الغربة: بلند الحيدري - ضمن المجموعة الشعرية الكاملة، بيروت، 1974م.
- ديوان خواطر ملونة: وديعة الشبيبي، ط1، بغداد، 1990م.
- ديوان رسיס الحب: فطينة النائب، بغداد، 1977م.

- ديوان الرصافي - بشرح مصطفى علي، بغداد، 1986م.
- ديوان رضا الموسوي الهندي (ت362هـ): جمعة السيد موسى الموسوي، وراجعه وعلق عليه د. عبد الصاحب الموسوي، بيروت، ط1، 1988م.
- ديوان الزاوية الخالية: مليحة عباس عمارة، بغداد، 1958م.
- ديوان زيد الأمواج: محمد مهدي البصیر، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977م.
- ديوان الزهاوي: بشرح مصطفى علي، بغداد، 1972م.
- : بقلم عبد الرزاق الهلالي، دار العودة، بيروت، 1972م.
- : د. محمد يوسف نجم، ط1، دار مصر للطباعة، 1955م.
- : دار العودة، بيروت، مج1، طبعة 1972.
- ديوان السياب، دار العودة، بيروت، مج.1.
- ديوان الشريف الرضي (ت404هـ) إصدار مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، مصورة على الطبعة الأصلية الأولى، د.ت.
- ديوان شظايا ورماد: نازك الملائكة، بيروت، مج2، ضمن المجموعة الكاملة، دار العودة، ط1، 1971م.
- ديوان الشعاع: وليد الأعظمي، بغداد، ط1، 1959.
- ديوان صالح الجعفري: جمع وتحقيق - علي جواد الطاهر وتأثير حسن جاسم، طبع وزارة الإعلام، بغداد، 1985م.
- ديوان الصنوبری: احمد بن محمد الحسن الضبي (334هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1970.
- ديوان ظلام الغيوم: صالح جواد الطعممة، المجموعة الأولى، مطبعة الرابطة، 1950م.
- ديوان عبد الحسين الأزري، حققه وضبط كلماته وترجم لاعلامه وعمل الفهارسه: مكي السيد جاسم وشاكرا هادي شكر، قدم له المرحوم علي الشرقي، مؤسسة النعمان، لبنان - بيروت، د.ت.
- ديوان عبد الرحمن البنا: مطبعة الفرات، بغداد، طبع 1345هـ - 1947م.

- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، شرح وتحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1958. (طبع الديوان لأول مرة في فينة عام 1902).
- ديوان علي مرفا الجراح: محمد جواد الغبان (ديوان مخطوط).
- ديوان علي الشرقي، جمع وتحقيق إبراهيم الوائلي، موسى الكرباسبي، يطبع وزارة الإعلام، بغداد، 1979.
- ديوان عواطف وعواصف: علي الشرق، بغداد، 1953م.
- ديوان الغد المشرق: حياة الزبيدي، مطبع دار الأخبار، 1952م.
- ديوان القرطوسي، عبد المنعم القرطوسي، مطبعة النجف، ط2، 1966م.
- ديوان قرارة الموجة: نازك الملائكة، مج2، ط1، ضمن المجموعة الكاملة، 1971م.
- ديوان قيد ولحن: صبرية وعبد الرزاق الحسو، بغداد، مطبعة الوفاء، 1959م.
- ديوان الكوميديا البشرية: اكرم فاضل، بغداد، 1948م.
- ديوان اللباب: الزهاوي، مطبعة الفرات، بغداد، 1928م.
- ديوان لهيب الروح، فطينة النائب، مطبعة المعارف، بغداد، 1955م.
- ديوان محمد رضا الشبيبي، عنيت بنشره الرابطة العلمية والأدبية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1940م.
- ديوان محمد صالح بحر العلوم، ط1965.
- ط1968، مطبعة دار التضامن، بغداد.
- ديوان محمد علي اليعقوبي: مطبعة النعمان، النجف، ط1، 1957م.
- ديوان محمد الهاشمي البغدادي: تقديم د. عبد الله البجوري، بغداد، دار الحرية للطباعة، 1977م.
- ديوان محمود الحبوبي: مطبعة دار النشر والتأليف، النجف، 1948م.
- ديوان المعبد الغريق: السياب، دار العلم للملايين، بيروت 1962م.
- ديوان ملاحِم وأَزهار: الشِّيخ مُحَمَّد بِهْجَةُ الْأَثْرِيِّ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

- ديوان المنشور: عباس شبر، تحقيق: جواد شبر، ط١، 1978م.
- ديوان يسمونه الحب: مليحة عباس عمارة، دار العودة، بيروت، ط١، 1972م.
- رباعيات الحبوي: ط 1948، النجف، ط 1951.
- الرثاء: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1959م.
- الرثاء في الشعر العربي - جراحات القلوب: محمد حسن أبو ناجي، ط 2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1402هـ.
- الرصافي (1867-1945م): د. داود سلوم، مطبعة الحكومة، بغداد، 1966.
- الزواج والطلاق في الإسلام: زكي الدين شعبان، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، (1384هـ-1964م).
- سلوة الحزين في موت البنات والبنين: لابن أبي حجلة التلمساني (725/776هـ) تحقيق: مخيم صالح، عمان، د.ت.
- سنن ابن ماجه (209-273هـ)، السعودية، حققه ووضع فهارسه بالكمبيوتر: محمد مصطفى الأعظمي، ط 2، 1984.
- سنن ابن داود: بشرح عون المعبد، لابن قيم الجوزية، دار الفكر، ط 2- 1968، ط 3- 1979م.
- سنن البهيمي - تأليف: أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البهيمي، الهند، دائرة المعارف العثمانية، 1355هـ - ج 10، مج 10.
- السباب - دراسة في حياته وشعره: د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت - لبنان، ط 2، 1972.
- شاعرات عراقيات معاصرات - سلمان هادي ال طعمة، ط 2، 1959، كربلاء، (نسخة مزيدة ومنقحة).
- شاعرات العرب: جمع وتحقيق: عبد البديع صقر، ط 1، 1967م.
- الشاعر الثائر محمد باقي الشيببي (1889-1960) تأليف: عبد الرزاق الهلالي، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، ط 1، 1965م.

- الشبيبي الكبير (الشيخ محمد جواد الشبيبي) حياته وشعره: حمودي الحمامي، ط١، النجف، 1972م.
- شرح ديوان الحماسة - للمرزوقي / تحقيق: احمد أمين - عبد السلام هارون: ط٢، طبعة القاهرة، 1968م.
- شرح ديوان الاخطل / تحقيق وشرح: إيليا حاوي، نشر دار الثقافة، بيروت، 1968م.
- شرح ديوان الفرزدق: إيليا حاوي، منشورات دار الكتاب اللبناني، ط١، 1983م.
- شرح ديوان المتنبي - للبرقوقي، ط٢، 1938، طبعة (مصورة) عن طبعة بيروت، دار الكتاب العربي، 1986م.
- الشعر والشعراء: لابن قتيبة، تحقيق: احمد محمد شاكر، طبع دار المعارف، مصر، 1966م.
- الشعر والشعراء في العراق (1900-1958): احمد أبو سعد، دار المعارف، بيروت، 1959م.
- الشعر العراقي الحديث - مرحلة وتطور: د. جلال الخياط، ط٢، بيروت، دار الرائد العربي، 1987م.
- الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه: يوسف عز الدين، المجمع العلمي العراقي، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965م.
- شعراً امويون: دراسة وتحقيق: نوري حمودي القيسي، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1982م.
- شعر البصرة في العصر الأموي - دراسة في السياسية والاجتماع: د. عون الشريف قاسم، دار الثقافة، بيروت، 1972م.
- شعراً ببغداد من تأسيسها حتى اليوم - علي الخاقاني، ط١، مطبعة أسعد، بغداد، منشورات دار البيان، 1962م.
- شعراً العراق المعاصر: غازي عبد الحميد الكيني: ج١، ط١، مطبعة الشباب، بغداد، 1957.

- ـ شعراً عراقيون: منذر الجبوري، الجمهورية العراقية، وزارة الإعلام، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1977
- ـ شعراً الغري: علي الخاقاني، النجف، 1954-1956.
- ـ صحيح البخاري بشرح الكرماني، طبع بالمطبعة البهية المصرية، 1937.
- ـ صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالقاهرة، د.ت.
- ـ طبقات الشعراء - لابن المعتر، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، طبع دار المعارف، مصر، 1956م.
- ـ الطلاق أبغض الحال إلى الله: عز الدين بحر العلوم، بغداد، 1958م.
- ـ العائلة والقرابة والزواج ((دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة والقرابة والزواج في المجتمع العربي)): د. إحسان محمد السحن، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1981.
- ـ العصر الإسلامي: شوقي ضيف، ط 7، دار المعارف بمصر، القاهرة، 1963م.
- ـ العقد الفريد - لابن عبد ربه الاندلسي، شرح وضبط وتصحيح: احمد أمين، احمد الزين، إبراهيم الأبياري، ط 2، القاهرة، 1952، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، العقد الفريد، طبعة أخرى، طبعة بيروت، تحقيق: محمد سعيد العريان.
- ـ عيون الأخبار - لابن قتيبة، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973.
- ـ قوات الوفيات - محمد بن شاكر الكتبى (ت 764هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، طبع دار صادر، بيروت، 1973م.
- ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال - للعلامة علاء الدين علي المتقى بن حسام الدين الهندي البرهان الفوري - ت 975هـ)، ضبطه وفسر غرييه الشيخ - بكري حياني، صححه ووضع فهرسه ومفتاحه الشيخ - صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط 5، بيروت، (1401هـ - 1981م).

- لسان العرب - لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (630هـ - 711هـ) طبعة مصورة عن طبعة بولاق، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة.
- لطائف المعارف: فيها مواسم العام من الوظائف: تأليف زين الدين رجب الحنبلي، بيروت، دار الجيل، 1975م.
- المجتمع الإنساني في ظل الإسلام: محمد أبو زهرة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1388هـ.
- المجموعه الشعريه الكامله: ط2، 1390هـ- 1968م.
- المجموعه الشعريه الكامله: صفاء الحيدري، بيروت، د. ت، مؤسسه ايف للطباعة والتصوير.
- المجموعه الشعريه الكامله: عاتكة الخزرجي، الكويت، 1986.
- المجموعه الشعريه الكامله: محمد مهدي البصیر، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1977.
- المحاسن والماسي: للبيهقي، طبع دار صادر، بيروت، 1970.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبغاء - لابي القاسم حسين بن محمد الراغب الاصبهاني، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.
- محاضرات الشعر العراقي الحديث: عبد الكريم الدجيلي، بغداد، 1959.
- مختارات من ديوان الشاعر عبد الستار القره غولي، ط1، وزارة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1955م.
- مختارات من الشعر العربي: محمد جواد الغبان (روائع الشعر الحديث) " كتاب مخطوط".
- المرأة بين البيت والمجتمع: البهـيـ الخـوليـ، مـكتـبةـ دـارـ العـروـبةـ، طـ3ـ، القـاهـرةـ.
- المرأة الجديدـ: قـاسـمـ اـمـينـ، طـبعـ القـاهـرةـ، 1900ـمـ.
- المرأة عبر التاريخ: منoticـ بـيرـ، تـرـجمـةـ هـزـيـتـ عـبـودـيـ، دـارـ الطـلـيـعـةـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ، بـيـرـوـتـ، طـ1ـ، 1979ـمـ.
- المرأة العربية عبر التاريخ: احمد عبد احمد، دار التضامن، ط1- 1975، ط2- 1976م.
- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: عبد الله عفيفي، مطبعة الاستقامة، القاهرة، د.ت.

- المرأة في أدب العصر العباسي: واجدة مجید عبد الله الأطرقجي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1981م.
- المرأة في الشعر العراقي الحديث: احمد فياضي المفرجي، مطبعة الجامعة، بغداد، 1958م.
- المرأة في القصة العراقية: شجاع مسلم العاني، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- مروج الذهب للمسعودي: تحقيق: محمد محى الدين عبد الحميد، ط٤، القاهرة، 1964م.
- المستظرف في كل فن مستظرف: لأبي فتح الابشيهي (ت 850 هـ)، طبع بيروت، د.ت، طبعة دار إحياء التراث العربي.
- مسند احمد بن حنبل - وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، المكتب الإسلامي.
- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصناعي (ت 2011هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، من منشورات المجلس العلمي، ط١، 1392هـ-1972م.
- المعارك الأدبية حول الدعوة إلى تحرير المرأة في الشعر العراقي الحديث: محمد جواد الغبان (كتاب مخطوط) قدم إلى مؤسسة عبد الحميد شومان المملكة الأردنية الهاشمية، 31/8/1996م.
- معجم العلوم الاجتماعية: إبراهيم مذكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- معجم ألفاظ القرآن الكريم - إصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة، طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط٢، 1970م.
- معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: د. احمد زكي بدوي، مكتبة لبنان، 1978م.
- المعجم الوسيط - إصدار مجمع اللغة العربية في القاهرة.
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم: لاحمد بن مصطفى، ط١، 1985م.

- مفردات غريب القرآن للاصفهاني، أعده للنشر وأشرف على طبعه د. محمد احمد خلف الله، مكتبة أنجلو المصرية، 1970م.
- المفضليات: المفضل الضبي، تحقيق: احمد شاكر وعبد السلام هارون، مطبعة المعارف، مصر، ط٦، 1979م.
- من شعراًونا المنسيني: عبد الله الجبوري.
- المنمق في أخبار قريش - محمد بن حبيب (ت 2245) تحقيق: خورشيد احمد فارق، طبعة عام الكتب، بيروت، ط١، 1985م.
- المنهل الصافي في شعر الرصافي: مختارات أدبية اجتماعية تاريخية أخلاقية للشاعر معروف الرصافي، ط٣، مطبعة المعارف، بغداد، 1964م.
- مواهب الجليل لشرح مختصر خليل لأبي عبد محمد بن محمد الخطاب (ت 954هـ)، مكتبة النجاح، ليبيا - طرابلس، د.ت.
- الملوتح في مأخذ العلماء على الشعراء: المرزباني، جمعية نشر الكتب العربية، القاهرة، 1934م.
- نازك الملائكة - دراسات ومختارات: د. عبد الرضا علي، بغداد، ط١، 1987.
- النساء العربيات: كرم البستاني، بيروت، دار صادر للطباعة والنشر، 1964م.
- نقد وتعريف: عبد الله الجبوري، بغداد، 1962م.
- الوحشيات: لأبي قمام الطائي، تحقيق: عبد العزيز الميموني - محمود محمد شاكر، طبع دار المعارف، ط٣، 1987م.
- وفيات الأعيان - لابن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، طبع دار صادر، بيروت، 1968م.
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: تأليف - المحدث المتبحر الإمام المحقق العلامة الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت 1104هـ)، عني بنشره وتحقيقه وتذليله الفاضلة لمحقق الشیخ محمد الرازی مع تعليقات تحقيقية للشيخ ابن الحسن الشعراوی، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بيروت، د.ت.

## قائمة الرسائل الجامعية

- الأمومة والبنوة في التراث العربي حتى نهاية القرن الأول الهجري: رسالة ماجستير، تقدمت بها: انعام داود سلوم، جامعة بغداد، كلية التربية للبنات، قسم اللغة العربية، 1990م.
- التيار الاجتماعي في الشعر العراقي الحديث بين الحربين العالميتين (1914-1945م): رسالة ماجستير تقدمت بها: ابتسام عبد السatar محمد، القاهرة، كلية اللغة العربية، 1979م.
- حركة التطور والتجدد في الشعر العراقي الحديث منذ عام 1870م حتى قيام الحرب العالمية الثانية رسالة ماجستير تقدمت بها: عربية توفيق لازم إلى كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة عام 1958... وقطعت كتاب في مطبعة الإيمان، بغداد، ط١، 1971.
- الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى عام 1958م - دراسة نقدية، أطروحة ماجستير: يوسف الصانع، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم اللغة العربية، 1974م.
- الشعر النسووي في العراق وخصائصه الفنية من الحرب العالمية الثانية حتى ثورة تموز 1958، رسالة ماجستير: علي محمد حسين الخالدي، كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم اللغة العربية.
- الصلات الأسرية في الشعر العربي قبل الإسلام، رسالة ماجستير تقدم بها: حميد ادم ثويني إلى مجلس كلية الآداب، جامعة بغداد، قسم اللغة العربية، 1981م (مطبوعة بالرونيو).
- الصورة الأدبية في الشعر الأموي، رسالة ماجستير تقدم بها: محمد حسين علي الصغير، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1975م.
- الفكر الاشتراكي في الأدب العراقي، رسالة ماجستير تقدم بها: عبد اللطيف عبد الرحمن، جامعة بغداد كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1976م.

- المرأة في الشعر العراقي الحديث (1900-1960)، رسالة دكتوراه تقدمت بها: عربية توفيق لازم، جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1983.
- عمل المرأة وأثره على دورها في الأسرة (دراسة اجتماعية ميدانية على النساء العاملات وغير العاملات في مدينة بغداد) رسالة أعدتها: فريال بهجت عزيز، القاهرة، جامعة عين شمس، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، 1981 م.

### المجلات والصحف

- مجلة الاعتدال: محمد علي البلاغي، النجف، 1357هـ-1385م، مجل 5.
- مجلة أفق عربية، السنة الرابعة عشرة، 1989.
- مجلة البيان: علي الخاقاني، النجف، 1974، الاعداد 29-30، 17-21، السنة الأولى والثانية، دار البيان.
- مجلة كلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية، السنة الثانية، ع 2، 1395هـ - 1975م، مجلة حولية تصدرها اللجنة الثقافية بالكلية، منشورات جامعة قار يونس.
- مجلة المرأة الحديثة: حميدة الأعرجي، السنة الأولى، 1936، ع (3-2-1) رئيس تحريرها: فاضل قاسم راجي (صحيفة أسبوعية نسائية جامعة).
- جريدة الهاتف: جعفر الخليلي، النجف الاشرف، 1942.



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

رابط بديل [lisanerab.com](http://lisanerab.com)



# دار دار للنشر والتوزيع



مجمع العساف التجاري - الطابق الأول

خليوي : +962 7 95667143

E-mail: darghidaa@gmail.com

E-mail: info@darghidaa.com

تلع العلي - شارع الملكة رانيا العبدالله

تلفاكس : +962 6 5353402

ص.ب : 520946 عمان 11152 الأردن

[www.darghidaa.com](http://www.darghidaa.com)